الفجيرة Al-Fujairah

تصدر كل شهرين عن هيئة الفجيرة للثقافة والإعلام

العدد الثالث سبتمبر 2017 | ISSUE No.03 - September

غازي القصيبي
سياسي بعتادٍ ثقافي

الشامسي.. الطالع من شمس الشعر إلى دفء القصائد

آثار شاهدة على تاريخ الفجيرة

الديجافو..
ظاهرة السؤال اللغز وتعدد الإجابات

الإعلام الرقمي ومنصات التواصل الاجتماعي
المعرفة وأسئلة الحداثة المستمرة

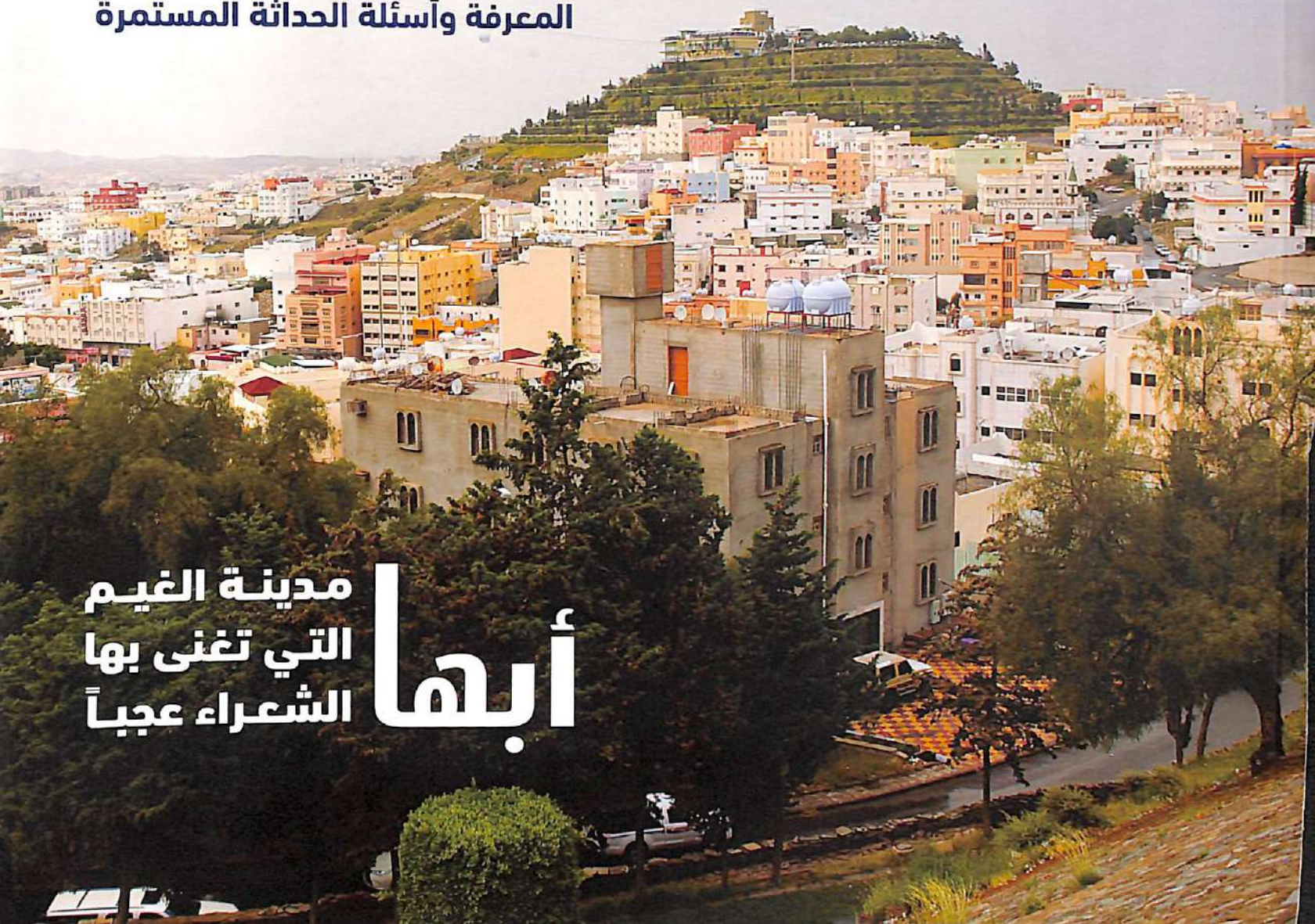

أبها
مدينة الغيم التي تغنى بها الشعراء عجباً

تصوير: تيتو شاجي

عشبة جلجامش التي قطفها عبدالحسين عبدالرضا

د. راشد بن حمد الشرقي

بهدوء يرحل أولئك الذين يصنعون لحيواتنا إيقاعاتها في الضحك والمتعة والاسترخاء، لست أولاً من اصطلح على تسميتهم بصناع الابتسامة ولست أيضاً الوحيد الذي يتبادر لذهنه السؤال عن سر التناقض غالباً بين حياة النموذج هذا ورحيله، ولكنني أضع مجمل أسئلتي على محمل الاحتمالات فأقول:

ربما هذا الفيض من التنقل بين عوالم الشخصيات المتباينة التي يقع على الممثل أداؤها ما يثقل كاهله بمرارات شتى تساوق تلك التي يعيشها أشخاص حقيقيون لهم نفس الصفات ويقعون تحت تأثير نفس الظروف، وهذا يعني أن الممثل - وهذا ما أرجحه - يخرج بعد انتهائه من أداء دور معين محملاً ببعض ما كان يمثل؛ لأن الممثل إنسان أولاً بل هو أكثر الناس حساسية بمشاعره لأنه كائن يتعامل مع شغاف الأشياء وافتراضات تشكلها وليست كما هي على أرض الواقع وهذا احتمال أسس له السؤال، وثمة احتمال آخر ربما يكون هو سر هذا الرحيل

الموجع بصمته وهدوئه المطلق فلربما أن الفنان «الممثل» يستنفد طاقته الحياتية كاملة، وهو يشحذ فيها كامل قدراته في كل مرة لكي يرقى لإعجابنا كجمهور ويستأثر باهتمامنا والغاية الأنبل إمتاعنا وتحقيق أسمى غاياته في إفادتنا وحثنا على السؤال والاستنتاج والتعلم، وما إلى ذلك من غايات نبيلة يحاول الفن متماهياً مع الدرس أن يصنعها.. هذا وأسئلة أخرى واستنتاجات أستقصي فيها آثار أولئك الذين يتقدون لإضاءة العتمات التي تزحف على خط سير الحياة ودون ضجيج يرحلون.

رحل عبدالحسين عبدالرضا ولم ترحل ضياءاته المميزة في مجمل أعماله الفنية التي ستحفظها ذاكرة الجماهير الفنية، سيعيش طويلاً في ذاكرة كان له منها فيض المسرة وحاضرة المفارقة حسن الفكاهة، وإدراكاً منها لقيمته؛ فقد كانت هيئة الفجيرة للثقافة والإعلام قد احتفت بالراحل المبدع في حياته حين اختارته الشخصية المكرمة في مهرجان الفجيرة الدولي للمونودراما بدورته السادسة عام 2014، لقد كانت تلك الحفاوة تكريماً بمقتضى الذاكرة المعافاة به فناناً دؤوباً قريباً من الناس يخاطبهم بلغاتهم ليس بمترفع او متعال، لقد استطاع الفنان عبد الحسين عبد الرضا أن يحاكي هموم الناس ويرسم أفاق أحلامهم ويؤول رؤاهم بالتفاؤل الذي تلوح به ملامحه إليهم، بصمت رحل أبو عدنان مودعاً دنيا كان فيها أميناً على نبيل أهدافه وخرج منها بحب الناس مستودعاً الله جمهوره وأحبته دون صوت أو شكوى تكسر للريح أنملة خاطر، أدبر عبدالحسين عبدالرضا لدنيا ملأها ضحكاً وسعى ليفيض بها على جمهوره سروراً وبذرها ولو بطيب الظهور حبوراً، دون حقيبة ولا مودعين وبلا جواز سفر.. لانقاط تفتيش ولا وجوه تعيد إليه دين الابتسامات التي كان فذاً في رسمها على وجوههم.. رحلة بلا رقم يحدد مسارها ولا رفقة تؤنس وحشة طريقها إنها الخاتمة الوعد الحق.. إلى جوار رب جليل بقدر محتوم سار الرجل الفنان الذي سيقيم في ذاكرة الفن طويلاً.. له الرحمة والغفران.. وبالأكف التي ترجمت له الشكر والامتنان بالمصافحة عما قدم لنا نتوجه بها إلى الكريم بالدعاء أن يتغمده بواسع الرحمة.. سنكتب بمذكراتنا إن عشبة الخلود التي أضنى جلجامش نفسه في البحث عنها ربما كانت إرثاً فنياً يخلفه الفنان خلفه كما يخلفه العالم والمثقف والأديب.. إنها أثر الإنسان بعده، ويا له من أثر..

الفجيرة Al-Fujairah

العدد (03) سبتمبر 2017

تصدر كل شهرين عن

هيئة الفجيرة للثقافة والإعلام

الإشراف العام

د. راشد بن حمد الشرقي

رئيس التحرير

حمدان كرم الكعبي

مدير التحرير

فيصل جواد

سكرتير التحرير

عبد العزيز بوبر

e-mail: fcm@fcma.gov.ae

Tel.: 09-2222678

التصميم والإخراج

qindeel_uae

qindeel_uae

qindeel.uae

qindeel.ae

قنديل | Qindeel

08
حاكم الفجيرة
يشيد باعتماد 2018
عام زايد

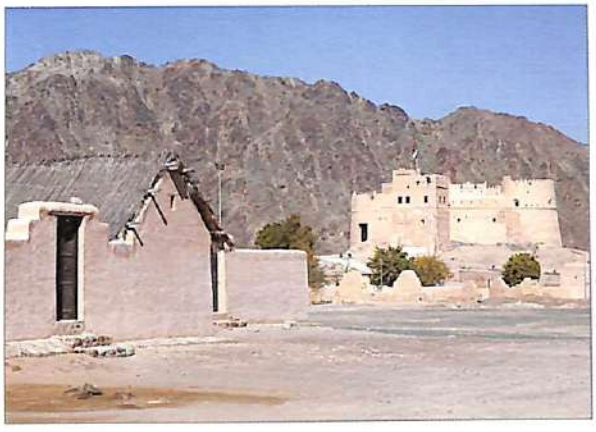

12
آثار شاهدة على تاريخ الفجيرة

16 جدل تطور الديانة السومرية

22 أبها.. مدينة الغيم
التي تغنى بها الشعراء عجباً

32 غازي القصيبي..
سياسي بعتادٍ ثقافي

المحتويات

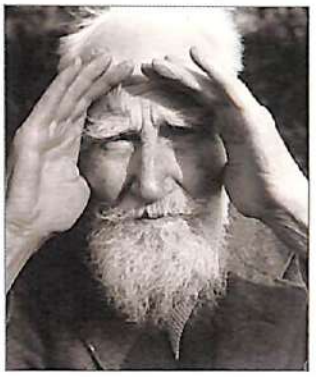

36
جورج برنارد شو..
الساخر من القدر بأثر رجعي

26 الشامسي..
من شمس الشعر
إلى دفء القصائد

42 رسول حمزاتوف.. عاشق داغستان
الذي كتب فيها نشيد حبه الوطني

- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر سواء نشرت أم لم تنشر.
- لا تقبل المواد المنشورة في الصحف والمجلات والمواقع الإلكترونية.

اليماحي:
سنصعد مع ماردونا

72 الفرق بين مواقع التواصل
ومواقع الإعلام الجديد

62 القراءة السريعة..
مفتاح للمعرفة واستغلال للوقت

76 هوية إماراتية جديدة
في الرواية الإماراتية

حاكم الفجيرة يشيد باعتماد 2018.. عام زايد

ثمن صاحب السمو الشيخ حمد بن محمد الشرقي عضو المجلس الأعلى حاكم الفجيرة، توجيهات صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، حفظه الله، بأن يحمل العام 2018 في دولة الإمارات العربية المتحدة شعار «عام زايد»؛ ويكون مناسبة وطنية تقام للاحتفاء بالمغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيَّب الله ثراه، مؤكداً أن «التزامنا اليوم بشعار «عام زايد» هو التزام بالحفاظ على ثقافة التميز واستدامة تحسين أدائنا وتحقيق الريادة في شتى مجالات العمل، بوصفها جزءاً من ثقافتنا الوطنية التي نشأنا عليها في دولة الإمارات العربية المتحدة، بهدي فكر زايد وتوجيهاته وممارسته العملية في البناء والتنمية».

ورأى صاحب السمو حاكم الفجيرة أن «تجربة المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، مليئة بالعبر لجيل اليوم والغد،

تتجاوز كونها علامة بارزة في تاريخ الإمارات، لتكون دستور عمل يصلح لكل زمان ومكان، إذ أنها قامت على الاستثمار بالإنسان وقيمه الحضارية»، مشيراً إلى أن «تجربة الدولة المنشودة في فكر زايد، لم تكن ممارسة مرحلية بهدف تحقيق أهداف آنية، وإنما كانت استراتيجية عمل طويلة الأمد تهدف إلى إحداث نقلة نوعية بدولة الإمارات على درب التقدم والازدهار لتستحق بجدارة مكانتها في مصاف الدول المتقدمة. ونفخر اليوم أننا في هدي فكر زايد واستراتيجيته في بناء الدولة، بتنا نُعرف بأننا دولة الإنجازات الكبرى، التي لا تتوقف عن إبهار العالم بكل ما هو جديد وعصري ومبتكر».

ودعا سموه إلى أن «يكون «عام زايد» عام العمل المتميز بكل مستوياته المحلية والعالمية، وعام تحقيق المزيد من الإنجازات، والمضي بها على نحو متصاعد لتكون بوابةً لآفاق أوسع، تنتقل معها الإمارات من موقع المؤثر في المشهد الحضاري العالمي إلى قيادة العالم في تشكيل هذا المشهد».

ولي عهد الفجيرة: لنجعل «عام زايد» عام ريادة الإمارات

أكد سمو الشيخ محمد بن حمد بن محمد الشرقي، ولي عهد الفجيرة، أن «توجيهات صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، بأن يحمل عام 2018 في دولة الإمارات العربية المتحدة شعار: عام زايد، ويكون مناسبة وطنية تقام للاحتفاء بالقائد المؤسس المغفور له بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيَّب الله ثراه، تشكل فرصة غالية لإحياء القيم العليا، التي مثلتها قامته الخالدة، ونهج العطاء والبذل الذي أرساه فعلاً وممارسة». وقال سموه: «لنجعل عام زايد عام الريادة الإماراتية في كل المجالات، بقيادة صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، وإخوانه أصحاب السمو حكام الإمارات، فريادة العالم المتحضر كانت حلم المغفور له بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيَّب الله ثراه، منذ أن أطلق مشوار البناء

والنهضة في الإمارات، وتحقيق هذا الحلم سيكون أبلغ تقدير وتحية لروحه الخالدة». وشدد سموه على «أهمية أن تبرز فعاليات هذه المناسبة الوطنية، ومبادراتها، رؤية المغفور له بإذن الله، في بناء الدولة والنهضة المباركة، التي قادها منذ أوائل سبعينات القرن الماضي، وأن ترسخ الثوابت والأسس التي وضعها في بناء الاتحاد كركيزة أساسية للنماء والتنمية في الإمارات، والتي وضعت في أولوياتها تعزيز روح المواطنة الإيجابية، ومواكبة تطلعات الناس وتلبية متطلباتهم». ودعا سموه إلى «تمثل قيم زايد، رحمه الله، بوصفها ثقافة إماراتية مستمرة، تتجسد في أسمى معانيها خلال (عام زايد)، عبر منظومة عمل تؤكد مكانة الدولة في العالم، بوصفها عاصمة للعطاء الإنساني العالمي والعون للأمم المحتاجة، ونموذجاً يحتذى في بناء الإنسان والاستثمار فيه».

راشد الشرقي: «عام زايد» استنهاض للذاكرة وإدراك لحاضرنا

أكد سمو الشيخ راشد بن حمد الشرقي، رئيس هيئة الفجيرة للثقافة والإعلام، أن مبادرة «عام زايد» تأتي انسجاماً مع ما يكنه شعب الإمارات لشخصية المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه، من حب فاق كل حدود الوصف بنسبية المعايير منطلقاً إلى آفاق المطلق. وقال تلك إشارة ذات دلالات عميقة لمدى ارتباط شعب بأسره بنموذج القائد الذي مثله منطلقاً من انتمائه له، ومجتهداً لأجله ليقترح السعادة عنواناً لحياة الشعب الذي أفنى عمره لأجله. وأضاف أنها الفرصة الأعظم لأن تردد الحناجر قصائد ازدحمت بها النفوس والقلوب في حب الأب الذي انطلق من رؤيته في تأسيس دولة الفرادة والتميز من بناء الإنسان الذي بدوره يتصدى لعملية البناء الحضاري والمدني، بما يضع الإمارات في الصف الأول بين دول العالم، بل في مقدمة هذا الصف من حيث رفاهية العيش، والشعور بالسعادة والانتماء للخير وبوادره في الوقوف مع شعوب العالم ممن تقتضي ظروفهم العون من الأيادي البيضاء.. موضحاً أن هذا كان ديدن شعب سعت قيادته لوضعه في هذا المقام المكتنز سمواً ورفعة. وقال: «لنجعل من «عام زايد» عاماً لاستذكار القيم النبيلة التي خلفها فينا زايد القائد، وهو يزرع فينا أسمى المعاني الوطنية، وزايد الأب الذي علمنا معنى أن نكون أسرة واحدة، يوحدنا حب الإمارات والتراحم والتلاحم بين أبناء الأسرة الإماراتية الكبيرة، وزايد المعلم الذي رسخ درسه حباً في القلوب التي تعلقت به وحملته رمزاً لقائد، وعزاً لوطن» وذكر أن مبادرة «عام زايد» مناسبة لأن نبحر في فيض حكمته، ونغوص في بحر معانيها، فنستخرج كنوز المعرفة، وميزان العدل، تجليات الرحمة عناوين لحياة جيل صاعد، وجيل منتج، كما أراد له الأب المؤسس، طيب الله ثراه، لدولتنا الحبيبة. ولفت الشيخ راشد إلى أننا مدعوون لأن نتأمل قيم المبادرة السامية التي أطلقها صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، حفظه الله، لنجعل «عام زايد» استنهاضاً للذاكرة الجمعية، وإدراكاً لحاضرنا الزاهر الذي يمثل نتاج بناء الأب المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه.

ولي عهد الفجيرة يفتتح مركز الاتصال التابع لوزارة الخارجية والتعاون الدولي بالفجيرة

افتتح سمو الشيخ محمد بن حمد بن محمد الشرقي ولي عهد الفجيرة، يوم الأحد 2 يوليو 2017، المركز الموحد للاتصال التابع لوزارة الخارجية والتعاون الدولي في إمارة الفجيرة.

ويعنى المركز باستلام مكالمات مواطني الدولة على مدار الساعة والرد على استفساراتهم شكواهم ومقترحاتهم أو طلب المساعدة العاجلة في حالات الطوارئ. وأكد سمو الشيخ محمد بن حمد الشرقي أن دولة الإمارات بقيادة صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة «حفظه الله»، وصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي «رعاه الله»، وصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، باتت تتبوأ مكانة مرموقة على خريطة الإنجازات التنموية والحضارية وتعد مركزا لتقديم خدمات عالمية بارزة مواكبة بذلك التطورات العالمية في مجال التنمية الشاملة والمستدامة. وأشاد سموه خلال افتتاحه مركز الاتصال الموحد التابع لوزارة الخارجية والتعاون الدولي، باستراتيجية الوزارة برئاسة سمو الشيخ عبد الله بن زايد آل نهيان وزير الخارجية والتعاون الدولي، الرامية إلى تعزيز تطبيق أعلى معايير الجودة والأداء الحكومي المتميز في الخدمات والإجراءات ومواكبة التقدم التكنولوجي والتقني العالمي في مجالات عدة.

ويأتي إطلاق المركز تنفيذا لتوجيهات سمو الشيخ عبدالله بن زايد آل نهيان الذي وجه بإنشاء مركز الاتصال الخاص بوزارة الخارجيه والتعاون الدولي بإمارة الفجيرة، بحيث يكون المركز حلقة الوصل بين الديوان العام للوزارة والبعثات التمثيلية للدولة في الخارج.

وينسجم إطلاق مركز الاتصال مع توجهات حكومة دولة الإمارات بإسعاد مواطنيها حيث يهدف المركز للارتقاء بمستوى الخدمات المقدمة للمتعاملين وتحقيق أعلى درجات رضا الجمهور وسعادتهم، وحددت الوزارة بالتعاون مع مؤسسة الإمارات للاتصالات الرقم 800 44444 لخدمة مواطني الدولة على مدار الساعة خلال أيام الأسبوع.

محمد الشرقي يكرم « تايكواندو الفجيرة » لإنجازاته في « بطولة أندية العالم »

كرم سمو الشيخ محمد بن حمد بن محمد الشرقي ولي عهد الفجيرة – في مكتبه بالديوان الأميري – أبطال فريق التايكواندو في نادي الفجيرة للفنون القتالية بمناسبة فوزه بكأس أفضل نادٍ وحصوله على ست ميداليات في «بطولة أندية العالم للتايكواندو» والتي أقيمت في المملكة الأردنية الهاشمية. وهنأ سموه اللاعبين بإنجازهم المتميز مشددا على ضرورة الحفاظ على هذا النجاح وخوض منافساتهم المقبلة بأعلى درجات المثابرة والالتزام. وحثهم على الالتزام بتوجيهات صاحب السمو الشيخ حمد بن محمد الشرقي عضو المجلس الأعلى حاكم الفجيرة بأن تكون الأخلاق الرياضية السمة الأبرز لهم عند تمثيل اسم دولة الإمارات في جميع المحافل الرياضية وأن يعملوا بجد لنيل المراكز الأولى في البطولات الرياضية بما يتناسب ومكانة الإمارات في العالم. وتوجه سموه بالشكر والتقدير لأسرة النادي ولجهازيه الفني والإداري ولاعبيه على الجهود التي بذلوها لتحقيق هذه النجاحات.. داعيا إلى ترسيخ حضورهم العربي والعالمي بتحقيق المزيد من الإنجازات ونيل أفضل الميداليات.

غرفة الفجيرة تبحث عقد مؤتمر عربي للتطوير العقاري والصناعي

ناقشت غرفة تجارة وصناعة الفجيرة الترتيبات بشأن تنظيم المؤتمر العربي الثالث للتطوير والاستثمار العقاري والصناعي في إمارة الفجيرة، خلال الفترة من 4 - 5 أكتوبر القادم تحت شعار (الاستثمار مستقبل واعد للتنمية المستدامة)، وتنظمه الغرفة واتحاد غرف التجارة والصناعة في دولة الإمارات العربية المتحدة بالتعاون مع مجلس الوحدة الاقتصادية العربية التابع لجامعة الدول العربية، والاتحاد العربي للتطوير والاستثمار العقاري. تم ذلك خلال الاجتماع الذي عقد في مقر الغرفة برئاسة سعادة خليفة خميس مطر الكعبي رئيس مجلس إدارة الغرفة، بحضور سعادة كل من أحمد سالم آل سودين رئيس الاتحاد العربي للاستثمار والتطوير العقاري وسلطان جميع عبيد نائب مدير عام الغرفة وعدد من الخبراء والاستشاريين العقاريين. وطرح خلال الاجتماع العديد من المحاور حول المواضيع التي سيتم مناقشتها خلال المؤتمر، والتي تتركز حول المفاهيم الحديثة للمباني الخضراء والذكية ومفاهيم الاستدامة في مجال صناعة البناء والاستفادة من الطاقات الجديدة والمتجددة؛ للحفاظ على البيئة ومقومات التنمية العقارية والصناعية في إمارة الفجيرة، وتنوع الموارد والتنمية الصناعية المستدامة في الوطن العربي ومنظومة التمويل العقاري في الدول العربية. وأشاد الحضور بنجاح المؤتمرين السابقين اللذين عقدا تحت الرعاية الكريمة لصاحب السمو الشيخ حمد بن محمد الشرقي عضو المجلس الأعلى حاكم الفجيرة، وبما حظيا باهتمام من سموه.

وكان المؤتمران السابقان قد شهدا حضوراً ومشاركة فاعلة من وفود دول مجلس التعاون الخليجي والدول العربية الشقيقة، و شخصيات بارزة منهم، معالي الدكتور عبد اللطيف بن راشد الزياني الأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج العربية ومعالي عمرو موسى الأمين العام الأسبق لجامعة الدول العربية ومعالي السفير محمد محمد الربيع الأمين العام لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية ممثل جامعة الدول العربية، وممثلي الاتحادات والمنظمات والمؤسسات والمطورين العقاريين من الدول العربية.

إطلاق كلية للهندسة وتخصصات في البتروكيماويات والموانئ بجامعة الفجيرة

أعلن الدكتور محمد غرس الدين مدير جامعة الفجيرة عن إطلاق كلية للهندسة في الجامعة مع بداية العام الأكاديمي، وذلك بالتعاون مع جامعة الإمارات، كتخصص جديد يخدم جميع الطلاب المواطنين الجدد والراغبين في دراسة الهندسة دون تحمل الأعباء والجهد لدراسة التخصص خارج الإمارة، لافتاً إلى أن إطلاق الكلية الجديدة جاء ليتوافق مع احتياجات سوق العمل في الإمارة والمنطقة الشرقية.

وأضاف أن الجامعة ستطرح تخصصات هندسية مثل هندسة البتروكيماويات، نظراً لوجود مصانع عديدة في الفجيرة تعمل بهذا التخصص، وكذلك الأمر بالنسبة للموانئ، حيث يتوافر تخصص لهندسة الموانئ من أجل رفد ميناءي الفجيرة الجوي والبحري بخريجين مواطنين دارسين لكل التخصصات الهندسية التي يحتاجونها.

كما ستوفر كلية الهندسة تخصصات إضافية في الهندسة الكهربائية، نظراً لوجود عدد من محطات الكهرباء والماء في منطقة قدفع وغيرها، وهي بحاجة ماسة إلى الكوادر المواطنة للعمل بها.

وأكد مدير عام جامعة الفجيرة، أن توجيهات صاحب السمو الشيخ حمد بن محمد الشرقي، عضو المجلس الأعلى حاكم الفجيرة، تدعو إلى الاهتمام الكبير بكل التخصصات العلمية التي يحتاجها سوق العمل في إمارة الفجيرة والمدن المجاورة، والسعي إلى دراسة السوق قبل افتتاح أي مساقات دراسية جديدة، خاصة أن جامعة الفجيرة التابعة للحكومة المحلية تهتم كثيراً بضرورة إيجاد وظائف للكوادر الوطنية تكون على دراية ودراسة علمية، للتوظيف في كل المواقع ذات الصلة. وذكر غرس الدين أن الجامعة مهتمة كذلك كثيراً بسوق العمل المحلي، وأن جميع المساقات الدراسية يتم تدريسها بطرق علمية متقدمة.

تنظيم سباق الفجيرة للجري في ديسمبر المقبل

أعلن بنك الفجيرة الوطني عن بدء الاستعدادات لإطلاق النسخة الأولى من سباق الفجيرة للجري، والذي سيقام يوم الجمعة الموافق الأول من ديسمبر تزامناً مع احتفالات الدولة باليوم الوطني السادس والأربعين. وسيحظى الفائزون بالمراكز الثلاثة الأولى من مختلف الفئات على ميداليات وكؤوس ضمن فئات السباق الثلاث المتمثلة في 3 كلم و5 كلم و10 كل، وسيحصل أصحاب المراكز العشرة الأولى في سباق العشرة كيلومترات على جوائز نقدية، حيث يحصل الفائزان بالمركز الأول للسيدات والرجال على مبلغ 10 آلاف درهم لكل منهما .فيما يحصل الفائزون بالمركز الثاني وحتى العاشر من فئتي السيدات والرجال على جوائز نقدية تتراوح بين 500 و7500 درهم.

بنك الفجيرة الوطني
National Bank of Fujairah

حكومة الفجيرة توقع اتفاقية شراكة لتنفيذ المدينة الذكية في الإمارة

وقعت حكومة الفجيرة اتفاقية شراكة مع مجموعة مينبوينت للاستثمارات التجارية ونيراس العالمية للاستشارات، تستهدف تنفيذ مشروع المرحلة الأولى من المدينة اللوجيستية الذكية "smart logistic city" في إمارة الفجيرة. وقع الاتفاقية في العاصمة الدنماركية كوبنهاغن سعادة محمد سعيد الضنحاني مدير الديوان الأميري بالفجيرة مدير عام مؤسسة الفجيرة للاستثمار ممثلاً لحكومة الفجيرة وكارول مارسينكويسكي رئيس مجلس إدارة شركة نيراس بحضور مارتن نيدرسون المدير التنفيذي للشركة. ويقام المشروع الضخم في مرحلته الأولى على مساحة مبدئية تصل إلى 68 ألف متر مربع، على أن تكون هناك توسعة شاملة على ثلاث مراحل خلال السنوات الخمس المقبلة وستكون بداية المرحلة الأولى نهاية العام 2018 وفق اتفاقية الشراكة. وأكد سعادة الضنحاني أن المشروع الذي سيقام على أرض إمارة الفجيرة يعكس الحضور الاستثماري والاقتصادي الدولي للإمارة والرؤى المستقبلية للتنمية الشاملة فيها، وذلك وفق توجيهات صاحب السمو الشيخ حمد بن محمد الشرقي عضو المجلس الأعلى حاكم الفجيرة ودعم سمو الشيخ محمد بن حمد بن محمد الشرقي ولي عهد الفجيرة. وأشار الضنحاني إلى أن البيئة الجاذبة للاستثمار والقوانين الاقتصادية المرنة في الفجيرة أسهمت في إطلاق الكثير من المشاريع الاستثمارية المختلفة والتي تعد المدينة الذكية إحداها، لافتاً إلى أن المدينة الذكية ستسهم بشكل كبير في دعم المشروعات الاقتصادية لدولة الإمارات العربية المتحدة على نطاق الشرق الأوسط.

حكاية من سكن الديار

آثار شاهدة على تاريخ الفجيرة

د. أحمد خليفة الشامسي

لم يكتب أجدادنا أسماءهم على أوراق البردي ولا على ألواح الطين مثلما فعل المصريون والعراقيون القدامى. إنما كتبوها في قلوب أبنائهم و أحفادهم، ولن تجد شعباً يكن لأسلافه ما نكنه نحن، ولو جهلنا الكثير عن هذا التاريخ.

وفي هذا المبحث واتباعا للمنهجية العلمية في التأريخ والتأصيل لسكان الفجيرة، سنبدأ بالآثار الماثلة في تاريخ من سكنوا هذه الإماراة. والحديث حول هذه الآثار يفرض علينا سرد تاريخ الكشوف والبعثات الأثرية المتعاقبة، وما أسفرت عنه من نتائج لتكتمل الصورة وتتضح. ثم نتناول ما ذكره المؤرخون الكلاسيكيون والإخباريون والبلدانيون العرب، فضلاً عن الرحالة الأجانب بين القرنين 15 و 19 ميلادي الذين تحدثوا عن جزيرة العرب ككل وككيان واحد وعن هجرات القبائل، ولا يختلف ما حصل لإمارة الفجيرة عن غيرها من إمارات الدولة والبلدان العربية المختلفة من هجرات أولية من قبائل الجنوب واتخاذهم الفجيرة موطناً.

حظيت دولة الإمارات العربية المتحدة منذ منتصف خمسينات القرن العشرين باهتمام علماء الآثار الغربيين، نظراً لتزايد الأهمية العالمية للمنطقة من الناحيتين الاقتصادية والاستراتيجية، إذ شهدت حضوراً قوياً لبعثات التنقيب الآثاري، واهتماماً مكثفاً بالدراسات والبحوث المختصة بها.

تبدأ قصة الاكتشافات الأثرية في دولة الإمارات عندما عثر تامبل هايلارد ممثل شركة أبوظبي النفطية على مجموعات من أكوام الحجارة في جزيرة أم النار بإماراة أبوظبي. وعندما وجه المغفور له الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان حاكم إمارة أبوظبي حينذاك الدعوة لفريق الآثار الدنماركي الذي كان يعمل في البحرين. وفي فبراير من عام 1959 قدم الفريق الدنماركي برئاسة ب.غلوب و جيفري بيبي إلى الموقع الذي شخص فيه تامبل أكوام الحجارة ، وبدراستها تبين أنها مقابر جماعية شيدها سكان المنطقة قديماً، وأطلق عليها مصطلح مقابر أم النار.

وسرعان ما دفعت نتائج بعثة الآثار الدنماركية في أم النار المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وكان حينذاك نائب الحاكم في العين، إلى دعوة الفريق الدنماركي لاكتشاف مقابر أخرى مماثلة بالقرب من مدينة العين. وكشفت التنقيبات الأثرية حينها

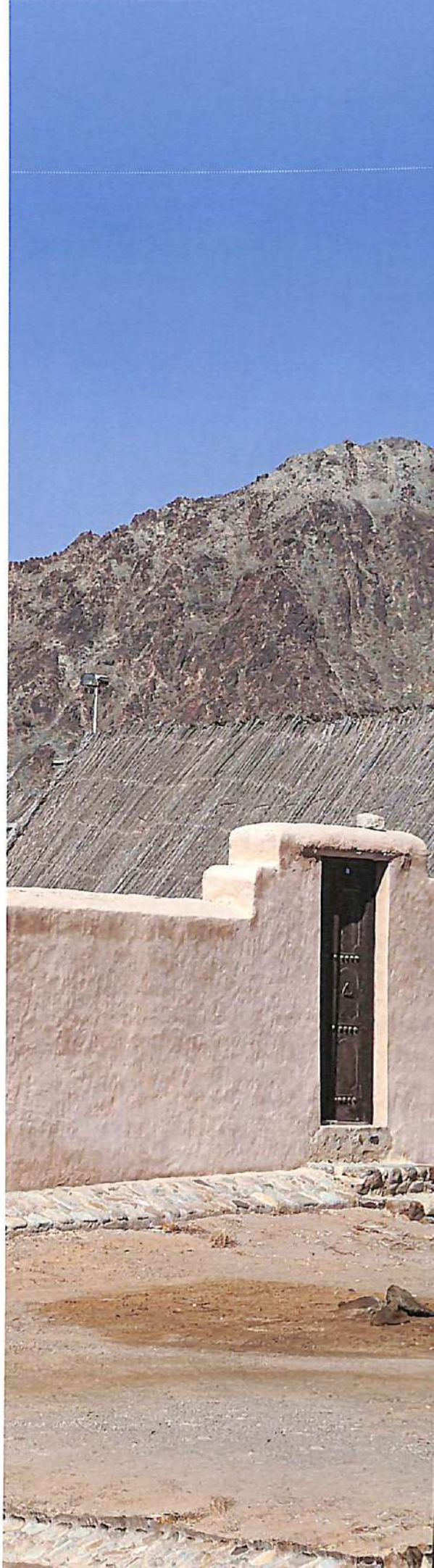

> نشأت فكرة إنشاء متحف الفجيرة في بداية السبعينات من القرن الماضي ليضم ما اكتشفته البعثات الأثرية التي تعاقبت على الإمارة

> حظيت دولة الإمارات العربية المتحدة منذ منتصف خمسينات القرن العشرين باهتمام علماء الآثار الغربيين، نظراً لتزايد الأهمية العالمية للمنطقة من الناحيتين الاقتصادية والاستراتيجية

عن مئات المقابر في جبل حفيت التي تؤرخ بأواخر الألف الرابعة قبل الميلاد.

امتد الاستطلاع الدنماركي فيما بعد وشمل مختلف مواقع الآثار داخل حدود الدولة. فحظيت إمارة الفجيرة كغيرها من الإمارات باهتمام كبير لدى المؤسسات وهيئات الآثار العالمية من مختلف الأقطار.

وبحلول عام 1962 بدأت رحلة الاكتشافات الأثرية في الفجيرة، عندما عثر بعض المواطنين في مهلب بمدينة دبا على لقىً أثرية متنوعة تشمل أدوات مصنوعة من الحجر الناعم والفخار وبعض السهام البرونزية، بالاضافة إلى بقايا عظام آدمية، وحينها قدم فريق الآثار الدنماركي إلى الإمارة برئاسة بيبي، من أجل إلقاء نظرة على الموقع، وسرعان ما تبين من خلال الفحص المبدئي لهذه الموجودات أنه قبر جماعي، أرخت محتوياته بالألف الثاني والأول قبل الميلاد.

وفي نهاية ستينات القرن الماضي قامت الآثارية بياترس دي كاردي بإجراء مسوحات أثرية بإمارة الفجيرة ، أسفرت عن تحديد بعض المواقع الأثرية بقرية البدية دون إجراء تنقيبات في هذه المواقع.

وفي منتصف سبعينات القرن الماضي، قامت بعثة الآثار العراقية والتي كانت تعمل تحت إشراف دائرة الآثار والسياحة في العين ببعض التحريات الأثرية في إمارة الفجيرة، حيث أجرت بعض المسوحات الأثرية لعدد من السلاسل الجبلية القريبة من المدينة، وقد ركزت البعثة أعمالها في قريتي قدفع ومربح ورغم أن النتائج لم تكن مشجعة إلا أنها اهتدت إلى بقايا مستوطنة من العصر الإسلامي الحديث في قرية قدفع. وفي الأراضي الواقعة بين قريتي وم و ضنحة الجبليتين بالقرب من مدينة دبا كشف المسح الأثري الذي أجراه كل من وليد ياسين التكريتي و لفكانك كوكل في عام 1984 عن مجموعة مقابر يرجح من خلال طرازها أنها ترجع بتاريخها إلى الألف الثالث ق.م.

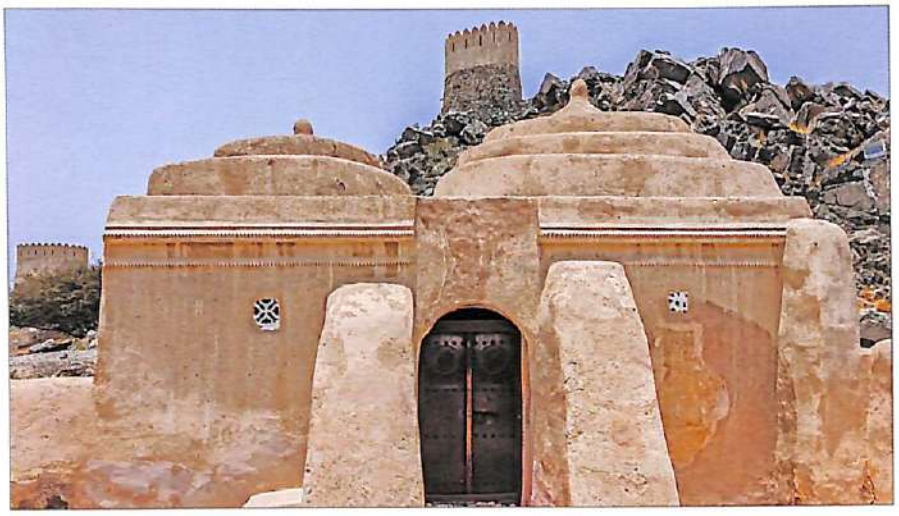

وفي عام 1986 وبينما كان أحد المزارعين في قرية قدفع يقوم بالحفر في أرضه الزراعية، إذ به بالمصادفة يكتشف قبرا جماعياً على شكل حدوة حصان، ويحتوي على أعداد كبيرة من المواد الاثرية، وعلى الفور تم الاتصال بالديوان الأميري فسارع إلى الاتصال بدائرة الآثار والسياحة في العين ، التي أوفدت خبيراً هو وليد ياسين التكريتي ليفحص الموقع، حيث تم استخراج مجموعة من القطع الآثارية الثمينة، بلغ مجموعها ما يقارب الخمسمائة وخمسين قطعة.

وسرعان ما أبدى صاحب السمو الشيخ حمد بن محمد الشرقي عضو المجلس الأعلى حاكم الفجيرة اهتماماً بالغاً بهذه الآثار، وزار الموقع الذي تم اكتشافه وجرى التنقيب فيه، ثم أمر سموه بإنشاء متحف في الإمارة يضم هذه المكتشفات الثمينة. وفي شهر يونيو من عام 1989 تمت صيانة هذا الموقع بالتعاون من إدارة الآثار والسياحة في العين وأعيد بناؤه ليتسنى للباحثين دراسة شكله الهندسي.

وخلال بعض الزيارات التي كان يقوم بها وليد ياسين التكريتي إلى المسجد الأثري في قرية البدية، وأثناء فحص الأبراج المحيطة به والرسومات المنقوشة على الحجر لاحظ وجود بقايا أبنية داخل المقبرة الواقعة خلف المسجد في المنطقة السهلية، وحين فحص هذه الأبنية تعرف على أحدها حيث بدا لديه من خلال شكله وطريقة بنائه أنه مدفن من المدافن الألف الثاني ق.م.

سنحت فرصة العمل بهذه القرية في عام 1987 حيث وضعت دائرة الآثار والسياحة في بالعين برنامجاً للعمل في إمارة الفجيرة بالتعاون مع الديوان الأميري فيها، وتم تنفيذ هذا البرنامج من قبل الباحث وليد ياسين. وأسفرت التنقيبات عن اكتشاف خمسة مواقع أثرية ، تم التنقيب في ثلاثة منها وهي: بدية 1 وبدية 2 وبدية 5.

وأثارت هذه الاكتشافات الأثرية المتلاحقة اهتمام بعض البعثات الأوروبية، مثل مؤسسة ليختنشتاين السويسرية التي وقعت اتفاقية مبدئية مع حكومة الفجيرة للتنقيب والمسح في 15 إبريل من عام 1987. وعلى الفور بدأ فريق الآثار السويسري في العام نفسه بإجراء تنقيباته في الإمارة برئاسة بير كربود. وأسفرت التنقيبات عن اكتشاف مجموعات من المقابر في وادي الفي وأخرى عن موقع طريقة يعد في الوادي نفسه .

نقب الفريق السويسري للآثار في عام 1988 في منطقة البثنة وأسفرت أعماله عن اكتشاف العديد من المقابر ، لعل أشهرها المقبرة الجماعية التي تأخذ شكل حرف تي بالإنجليزية، بالإضافة إلى التنقيب في حصن البثنة.

وحظيت هذه الاكتشافات الأثرية باهتمام ومتابعة صاحب السمو الشيخ حمد بن محمد

الشرقي، الذي رأى ضرورة إنشاء قسم خاص بالآثار من أجل المحافظة على تراث وآثار الأجداد، ومن أجل التأكيد على الهوية الثقافية والحضارية لأبناء الفجيرة أمر سموه في العام 1988 باستحداث قسم خاص في الديوان الأميري، وسرعان ما أعطى توجيهاته بإنشاء متحف في المضيف القديم للحكومة. الذي تطور بعد ذلك إلى متحف الفجيرة، الذي تكمن أهميته فيما يضمه من قطع أثرية تؤرخ لحقب طويلة من الزمن القديم ويعد من أهم المتاحف في دولة الإمارات العربية المتحدة.

نشأت فكرة إنشاء متحف الفجيرة في بداية السبعينات من القرن الماضي ليضم ما اكتشفته البعثات الأثرية التي تعاقبت على الإمارة، إذ أنشىء في البداية متحف صغير، عبارة عن غرفة واحدة ملحقة بمكتبة خالد بن الوليد العامة التي أنشئت عام 1969 وكان تحت إشراف الديوان الأميري، ويضم بعض الأنواع من الأسلحة والأواني الفخارية والنقود وأدوات الزراعة.

وفي 27 من مايو 1991 أصدر صاحب السمو الشيخ حمد بن محمد الشرقي عضو المجلس الأعلى حاكم الفجيرة قراراً يقضي بإنشاء إدارة للتراث والآثار من أجل الحفاظ على تراث الإمارة المتمثل في القلاع والحصون والمساجد الأثرية القديمة، وصيانة المتحف ومقتنياته والإشراف على التنقيبات الأثرية بالإمارة . وقد قامت إدارة التراث والآثار بإعادة هيكلة المتحف ، لاستيعاب القطع الأثرية التي أسفرت عنها أعمال التنقيب الأثري بالإمارة.

وفي 30 نوفمبر عام 1991 افتتح صاحب السمو حاكم الفجيرة المتحف رسمياً، وكان حينها يتكون من قاعة كبيرة لعرض القطع الأثرية والتراثية. وفي عام 1998 انتهت إدارة التراث والآثار من عمليات التوسعة بالمتحف، بإنشاء قاعتين كبيرتين للآثار وثلاث قاعات للتراث، كما تم إنشاء قسم للترميم، ومختبر، وقسم آخر لعمليات التنقيب عن الآثار وكان لتعليمات سموه أثر بالغ الأهمية لدى بعثات التنقيب عن الآثار، فاستقدم العديد منها، ونخص بالذكر: بعثة الآثار السويسرية ، والفرنسية ، والأسترالية ، والألمانية وغيرها.

وبين عامي 1992 - 1993 قامت بعثة الآثار السويسرية بالتنقيب في حصن مضب وأسفرت أعمالها عن اكتشاف العديد من المخلفات الأثرية ، والتي أرجعت تاريخ الحصن إلى حدود الألف الأول ق. م.

وفي منطقة جبل وم أسفرت عمليات المسح الأثري بواسطة فريق الآثار الأسترالي عام 1994 عن اكتشاف مجموعة كبيرة من المقابر المقببة الشكل، والتي يعود تاريخها إلى حدود الألف الثالثة ق. م.

وفيما بين عامي 1996 - 1997 وبموجب اتفاقية التبادل العلمي المشترك مع إدارة التراث والآثار والمتاحف في الإمارة، قامت بعثة آثار أسترالية بالتنقيب في موقع أوحلة وأسفرت أعمال التنقيب عن اكتشاف بقايا حصن كبير يؤرخ بالألف الأول ق. م، بالإضافة إلى اكتشاف عدد من المقابر التي تؤرخ بحدود الألف الثالثة ق . م.

وبالتعاون مع إدارة الآثار والتراث بحكومة الفجيرة، بدأت بعثة آثار فرنسية تتبع المركز الفرنسي الوطني للبحوث العلمية سي ان آر اس برئاسة بينوست برنامجاً من أجل البحث والدراسة في أنماط وطرق استخدام منطقة البثنة في العام 2000 واستمرت حتى العام 2005 على مرحلتين: الأولى: أجرت خلالها تنقيبات واسعة في الحصن. والثانية: أسفرت عن اكتشاف بقايا بنائية لمعبد.

وقامت إدارة التراث والآثار بإمارة الفجيرة بإجراء المزيد من التنقيبات الأثرية في المواقع المنتشرة في أنحاء الإمارة، حيث عمل الفريق المحلي التابع للإدارة برئاسة الباحث صلاح علي حسن على المزيد من التنقيبات ولم يدخر جهداً في سبيل اكتشاف تراث الأجداد. وذلك حرصاً منها على كتابة تاريخنا وإبراز ماهيته الحضارية ولتكون خير شاهد على عظمة الأجداد.

> امتد الاستطلاع الدنماركي وشمل مختلف مواقع الآثار داخل حدود الدولة، فحظيت الفجيرة باهتمام كبير لدى المؤسسات وهيئات الآثار العالمية

> نقب الفريق السويسري للآثار في عام 1988 في منطقة البثنة وأسفرت أعماله عن اكتشاف العديد من المقابر ، لعل أشهرها المقبرة الجماعية التي تأخذ شكل حرف T

جدل تطور الديانة السومرية

خزعل الماجدي

تكمن الجذور المباشرة للديانة السومرية في ديانة (أريدو) التي أعلنت عبادة إنكي وأنشأت المعبد الأول وسلسلة المعابد الأخرى بعده وتكونت المؤسسة الدينية وكهنتها والحكماء السبعة فيها وغير ذلك.

وحين جاءت مرحلة ثقافة (العُبيد) حصل التحوّل نحو عبادة الإله إنليل وبدا كما لو أن إنقلاباً (أخوياً) حصل من إنكي إلى إنليل، بل وظهرت إلهة أم هوائية وليست مائية هي (إم) أو (إم دوجد) التي نرى أنها الإلهة الأم لشعب العُبيد الآموري في أرجح تقدير .

كان ذلك تبدلاً نوعياً جدلياً في الديانة السومرية أفضى إلى نتيجة ثالثة ظهرت مع ثقافة أوروك التي أعلت من شأن الإله (آن) إله السماء كإله شامل للكون يحمل في تكوينه الذكوري عناصر السماء من ضوء وهواء ومطر. وظهرت إلى جانبه الإلهة (إنانا) ومعنى اسمها (ملكة السماء) والتي كانت تظهر وكأنها ابنة (آن) وتتماهى مع صفات زوجته أيضاً. ولكن وضعها كابنة له هو المرجّح خصوصاً أن ملامح الإلهة (آنتي) بدأت بالوضوح كزوجة للإله (آن).

وقبيل المنعطف الكبير الذي أعلن الحضارة السومرية كحضارة تأريخية كانت عناصر الديانة السومرية قد اكتملت بمكوناتها الأساسية والثانوية بشكليها الرسمي والشعبي، وكان الإله إنليل يرسم الملامح القومية للشعب السومري ويصبح ملك الآلهة في حين يبتعد (آن) كإله عالمي شامل.

أما دموزي الذي كان وراء نشوء فكرة (آدم وحواء) بأسطورته الشهيرة مع إنانا، فقد ظل ملهماً للشعب السومري في أعياده وخصبه وتكاثر حيواناته وأزدهار حقوله مثلما كان ملهماً لهم في موته وبعثه والنواح عليه وهو في العالم الأسفل أو الأعلى.

حصل ذلك في العهد السومري القديم وفي فجر السلالات، لكننا نلمح حادثةً نادرة في (أور) ارتبطت بملكها (آبار – كي) (حوالي 2650 ق.م) الذي دفن بطريقة احتفالية تراجيدية مع حاشيته بعد قيامه بطقوس الزواج المقدس متشبهاً بإله الخصب الميت (دموزي) الذي نزل، هو الآخر، إلى العالم الأسفل. ربما يكون الملك قد مات موتاً طبيعياً لكن المؤكد أن حاشيته وزوجته (بو – آبي) لاقوا مصيراً قاسياً عندما تناولوا السم في المقبرة السفلية وماتوا وهم في أجمل أناقتهم وكأنهم يرحلون إلى عرسٍ كبير في عالم الظلام، وربما كان ذلك لضمان الخصب في البلاد.

هذه الحادثة لم تتكرر في آثار بلاد الرافدين وظلّت إشارة يتيمة على طقس «شاذ» لم يكن من العادة استمراره والتقيد به، بل كانت طقوس الموت أو طقوس الزواج المقدس تجري بطريقة أخرى. يقودنا هذا إلى فهم جدل تطور الديانة السومرية بطريقة أكثر تعقيداً فربما كان الأمر متعلقاً بمعتقدات سكاتولوجية جديدة لها علاقة بالخلود ما بعد الموت وهذا أمر غير مألوف في الديانات الرافدينية فقد ظهرت محاولات الخلود قبل الموت وليس بعده، لكنه مألوف جداً في الديانة المصرية القديمة.

التحول الجدلي المهم في الديانة السومرية حصل، لاحقاً، عندما حاول (لوكال زاكيري) تغيير النظام السياسي من دولة المدينة إلى الدولة المركزية الواحدة وضغط على خصوصيات المدن السومرية ومنها (كيش) النافرة عن تقاليد سومر ومعها (سبّار) . وهو ما دفع (سرجون الأكدي) للثورة عليه وفرض واقع الدولة الأكدية السامية التي تحولت إلى إمبراطورية إقليمية ورسخت عبادة آلهة شمسية على رأسهم (شمش).

لم يتعارض (شمش) مع (إنليل) كلياً لكنه تعارض تماما مع ما تبقى من العقائد القمرية الراسبة في عقائد تموز، وتحولت إنانا إلى (عشتار) المحاربة المتجهمة وذبل التنوع الروحي في الديانة الأكدية ومال نحو الجفاف والحرب والقسوة والشمولية.

بعد سقوط الدولة الأكدية ونهوض سومر، من جديد، في لجش دبّت الحياة من جديد في المعابد السومرية ونهضت سومر في سلالة أور الثالثة معليةً شأن الإله القمري (ننار، سين) الذي أصبحت زقورته في أور بمثابة مركزٍ لاهوتي كبير.

أعادت الديانة السومرية في طورها

> التحول الجدلي المهم في الديانة السومرية حصل، لاحقاً، عندما حاول (لوكال زاكيري) تغيير النظام السياسي

> أصبح من الواضح أن الهيولى الأولى أنتجت الكون الذى كان غير مميز إلى سماء وأرض

القمري هذا الاعتبار لإنانا العاشقة الرقيقة مثلما هي داحرة الأعداء. وعادت أسطورتها مع دِموزي وأصبحت تقرن بالإله القمر والدها. وظهرت الديانة السومرية منسجمة بعناصرها الهوائية (إنليل) والقمرية (ننار) والشعبية (دِموزي)، وكان هذا الطور الأخير لها بمثابة وداع أخير لديانة عظيمة انتشرت عناصرها وأساطيرها في العالم القديم كله وأُعيد إنتاجها في ذلك العالم وفق التركيب الاجتماعي والروحي والسياسي الخاص لكل مجتمع. لكننا نرى، بعد قراءة متأملة، أن أهم مكان تمثلت فيه الديانة السومرية بعد سقوطها خارج وادي الرافدين كان مصر فقد كانت مصلاً سرّياً سرى في جسد الديانة المصرية وشكّل باطنها في هياكل ومحافل أوزيريس (نظير دِموزي) تحت جعجعة القيم الشمسية التي كانت تحفل بها ديانة مصر.

ولا شك أن ديانة البعل الشامية/ السورية كانت هي الأخرى من ثمار الديانة السومرية عن طريق ربط إنليل بدِموزي في شخصية بعل وبذلك حلّ الشاميون العقدة المستعصية بين نقيضين ظلا، في الديانة السومرية، محط تناقض وإرباك.

القراءة المتأنية في شجرة القيم الدينية السومرية الناضحة من نسل الآلهة تعطينا الكثير من الاستنتاجات المهمة التي تمكننا من فهم أعمق لطبيعة الدين السومري.

الدين السومري هو أول نتاج ديني منظم ودقيق لما بعد الإنقلاب الذكوري الذي حصل في العصر الحجري النحاسي (كالكوليت) ولذلك يجب أن لا نحلله خارج هذا السياق ونفرض عليه أن يكون ديناً مضاداً للذكورية ومنتمياً للإنثوية أو مضاداً للشمسية والهوائية ومنتمياً للقمرية والمائية. لكننا، مع ذلك، نلمح هذه العناصر المتضادة متعايشة نسبياً في غلبة ذكورية شمسية هوائية وهذا أمر طبيعي لأنه تحصيل حاصل ثورة دينية كبرى حصلت لصالح الذكورية الشمسية الهوائية في الكالكوليت والتي أعقبت العصر الأمومي في النيوليت والذي كان يمتاز بنزعة أنثوية قمرية مائية.

تخبرنا شجرة القيم (الموضوعة أعلاه) بأن (نمّو) إلهة المياه المالحة التي كانت موجودة قبل خلق الكون ممثلة لمرحلة الكاؤوس الهيولية التي كانت تمثل الغموض واللاتميّز (Undiffreintiated)، وحين تحركت هذه الإلهة وبدأت الخليقة نتج عن ذلك ظهور السماء (التي كانت تمثل النور والخير) والأرض (التي كانت تمثل الظلام والشر)، ولنلاحظ هنا أن هذه بذرة مناسبة للفكرة الغنوصية التي تعارض بين النور والظلام والخير والشر.

بفضل الآلهة ظهرت القيم الأولى ممثلة بالهواء الذي كان يرمز للسلطة وللماء الذي كان يرمز للحياة، ونتج عن صراع وتعايش تلك القيم المبدئية ما يمكن أن نسميه بـ(القيم العليا) وهي أربعة تناظر العناصر الأربعة (الجمال، الحق، الخصب، الحب).

ثم جاءت المرحلة الثالثة فظهرت القيم الأرضية، حيث ظهرت قيم الشفاء والوفرة من الجمال، وقيم القوة من الحق، وقيم الحضارة من الخصب وقيم الولادة والتكاثر من الحب.

لكن جدل الوجود فرض ظهور قيم مضادة لهذه القيم الأرضية (ذات الأصول السماوية) ولذلك ظهرت قيم العالم الأسفل وهي القيم السفلية (الشر، المرض، الطوفان، الموت). وبهذه الأخيرة عاد الجدل الغنوصي بين الخير والشر.

هذه القيم السومرية المنشأ كانت على مدار التأريخ القديم مصدر إلهام روحي وديني وفلسفي في العالم بأكمله من الهند والصين حتى مصر واليونان فقد تبلورت أشكال هذه القيم في متون مدونة ظهرت في حضارات الشعوب من خلال تجاربها الخاصة بها.

نُضجت هذه القيم من النظام الثيولوجي للسومريين من أجل تفسير الوجود ونشأته ولم تكن للعظة الأخلاقية، لكنها أنعكست في الأخلاق السومرية ورسمت هذا الشعب الذي كافح بقوة من أجل وضع اللبنات الأساسية لقيم الدين والحضارة الإنسانية.

العمق الفيزياوي والبايولوجي للمثولوجيا السومرية

قبل ان ننتهى من تتبع شجرة الألهة السومرية والأساطير المرتبطة بها التى ذكرناها والتى سنذكرها لابد لنا من فحص العمق الفيزياوى والبايولوجى الذى يكمن خلف هذه المثولوجيا وخلق تسلسل الآلهة فيها .

لو اننا حولنا تلك الشجرة الإلهية الوارفة إلى مفردات طبيعية دون ذكر أسماء الألهة لنتج لنا هذا العمق الفيزياوى والبايولوجى والفكرى كما فى هذا المخطط:

العمق الفيزياوي والبايولوجي لشجرة الآلهة السومرية

أصبح من الواضح أن الهيولى الأولى أنتجت الكون الذى كان غير مميز إلى سماء وأرض ثم ظهر الهواء الذى فصل بين الأرض والسماء ونتج عن ذلك ايضا ظهور المياه على الارض باعتبارها المادة الذكورية السماوية.

وبذلك ظهرت العناصر الأربعة (الهواء والنار والماء والتراب) من السماء والارض وسيطر على الكون بشكل أساس عنصر الهواء ومعه النار ونتج عنه عوالم الكواكب والظلام.

أما الأرض فسيطر عليها عنصرا الماء والتراب اللذان ظهرت منهما أشكال الحياة بمختلف ألوانها النباتية والحيوانية والبشرية ثم ظهرت أدوات ونواميس العمران على الارض.

إن ما تدفع به الطبيعة من كوارث وفيضانات وزلازل وعواصف وأمراض سببها سلالة إنليل وإن ما تحاول أن تصلحه الطبيعة وتحييه وتصد الكوارث عنه صار من حصة سلالة إنكي.

وعلى ضوء الذى تحدد نقول بإن ظهور الأسطورة الشعبية السومرية (دموزى وإنانا) كما قلنا هو لقاء بين نسلين متعارضين لا نفترض أن يحصل بهذه الطريقة فلو أن إنانا تزوجت أخا لها أو من نسل إنليل ولو ان دموزى تزوج من احدى بنات إنكى لما كان قد حصل كل هذا الذى حصل بين دموزى وإنانا.

إن إنانا التى ظهرت من نسل إنليل الهوائى المتقلب، الذى فيه ما يقود إلى العالم الأسفل، غير دموزى المنحدر من نسل مائى مخصب حي ومخضر وهذا اللقاء كان لابد أن تنتج عنه دورة صراع أزلية. أو أوربوس ينغلق وينفتح بين إنليل و إنكى الهواء والماء إنه صراع بالنيابة بين أخوين متضادين وتكمن خلف هذا الصراع أسرار عميقة يعبر عنها بصراع الموت والحياة وهذا فى رأينا أول بذور فكرة العود الابدى.

نفي الخوارق والمعجزات في الديانة السومرية

ظهرت الكثير من النزعات غير العلمية في تفسير التاريخ ، وأكثرها شهرة وإغواءً للعامة تلك النزعات التي تقول بوجود كائنات فضائية هي السبب في ظهور الحضارات البشرية، وهي بذلك تضع معجزات خارقة تعطل قدرة الإنسان في التقدم والتطور وتضع بدلها الخوارق والمعجزات، وهي منظور آخر أشبه بالنزعات الدينية في تفسير التاريخ بطريقة حديثة ومواربات لاتخفى على الإنسان المدرك والذي يملك تصوراً علمياً متوازناً عن تطور الإنسان وتاريخه.

عربات الآلهة 1968 للكاتب Chariots of the Gods وقد ظهرت مثل هذه التفسيرات في كتاب السويسري (إريك فون دانكن)، ويمكننا تلخيص أفكار الكتاب بوجود مخلوقات متطورة هبطت مند آلاف السنوات على الأرض، من الفضاء الخارجي، والتقت الإنسان وقامت بتعليمه أسس الحضارة والعلوم الخاصة بالفضاء والكواكب والصناعة. ولكي يثبت دانكن «صحة فكرته يرى وجود قاسم مشترك بين الأديان والفلكلور الشعبي للكثير من الأمم والأساطير القديمة والتي دلت عليه النقوش والآثار القديمة كالأهرامات وخطوط نازكا ومعاضد أيدي الآشوريين وآثار السومريين التي تصور مجموعة من الكائنات الغريبة وغيرها وأنها لابد أن تكون من مجموعة من المخلوقات الذكية الفضائية وعلمت البشر وأنها أثرت في المحكيات والقصص الدينية كما في (العهد القديم) أو التوراة.

العلماء يرفضون جميع أفكار فون دانكان وينتقدونها و يضعونها في قائمة العلوم المزيفة والاستنتاجات المغلوطة المنحوتات القديمة. وقد كتبوا كتباً كثيرة تفند وتسفه أفكاره، واتهموه بأنه سرق أفكار الكاتب الفرنسي روبرت شاروا وغيره.

ثم قام، بعده، زكريا ستشن ZechariaSitchin بتوليف نظرية تدعو إلى السخرية حقاً تقضي بأن السومريين ماهم إلا نتاج تصنيع جيني حدث قبل عشرات الآلاف من السنين بين الآلهة القادمين من كوكب بعيد جداً

> جاء ستشن ليعيد الهيبة للتراث اليهودي عبر تأويلات مفبركة وهو بذلك يبدو كمن يعيد صرخة جوزيف هاليفي الذي جنّ جنونه عندما أعلن اكتشاف الحضارة السومرية لأول مرة

> القراءة المتأنية في شجرة القيم الدينية السومرية الناضحة من نسل الآلهة تعطينا الكثير من الاستنتاجات المهمة

عن الأرض هو الكوكب الثاني عشر الذي يدور حول الشمس واسمه نبيرو (وهو فرض خيالي صنعه ستشن لاصحة له علمياً)، حيث يرى في روايته الخيالية عبر كتاب أسماه مجازا (كتاب إنكي المفقود) أنه منذ حوالي 445 ألف سنة مضت، هبط رجال فضاء هم (آلهة الأنانوناكي السبع في الأساطير السومرية) من كوكب نيبرو إلى الأرض بحثا عن الذهب لكي يسدّوا بغباره ثقباً في فضائهم المخترق والذي بدأ يسبب لهم الموت وقلة الخصوبة. هبطوا على بحار الأرض، ونزلوا الشواطئ وأسسوا مدينة إريدو (Eridu) التي يرى أن معناها «بيت الغربة». ثم توسعت المستوطنة الأولى وصارت مركزاً لمراقبة البعثة والفضاء، ومركزاً لعمليات البحث عن المعادن. بسبب قلة العاملين هناك فقد لجأ رجال الفضاء للهندسة الوراثية لتصميم عم البدائيين من الإنسان البدائي الذي كان يسكن جنوب مابين النهرين وهو جنس الإنسان المعروف آنذاك في العالم كله، وكونوا، بعد أن خلطوا جيناتهم بجينات ذلك الإنسان البدائي مايعرف بالإنسان العاقل، ثم جاء الطوفان المدمرالذي اجتاح الأرض على إثر خلافات وحروب بين الأنوناكي؛ وأصبح رجال الفضاء آلهة، ومنحوا الإنسان نواميس حضارة. وبعدها، بحوالي أربعة آلاف سنة، تم القضاء على جميع ماتم إنجازه في كارثة نووية نشبت بين هؤلاء الأنوناكي.

ونستدل من هذا أن السومريين أبناء جنس متفوق قادم من الفضاء ، ولايمكننا هنا عرض تفاصيل نظريته البائسة هذه والتي فبركها من لصق وتأويل خاص به لمايقرب من 800 نص رافديني مسماري لكي تتطابق مع أحداث التوراة حول الخليقة، علماً بأن زكريا ستشن يهودي تركي وغير مختص، أكاديمياً، بالسومريات أو بوادي الرافدين ، وقد حشد له مناصروه العنصريون (من اليهود والصهاينة) كل وسائل الإعلام ومنها الإنترنت لكي يشيعوا أفكاره وكتبه ومحاضراته لأنها تعيد إثبات صحة ماجاء في التوراة بعد أن فندتها المكتشفات الآثارية ووضعت تاريخياً علمياً آثارياً للعالم القديم وبداية حضارته بعيدا عن المؤثرات التوراتية التي كان يحفل بها التاريخ قبل ظهور علم الآثار.

بعد أن اكتشف العلماء أن اليهود بنوا تراثهم الديني والدنيوي على سومر وبابل، وأصبحت لعبة سرقة سومر وتراثها مكشوفة. ويفضح هذا السطو على سومر وتراثها من قبل اليهود كتاب بعنوان (انتحال سومر: كيف خدع اليهود الجنس البشري Sumerian Swindle وهو بثلاثة أجزاء والذي يكشف تفاصيل انتحال اليهود لتراث سومر بشكل خاص (انظر G-d 2010).

G-D,TheSumerian Swindle (How .1.The Jews Betrayed Mankind) ,vol (2010) Bamboo Delight Company

جاء ستشن ليعيد الهيبة للتراث اليهودي عبر تأويلات مفبركة وهو بذلك يبدو كمن يعيد صرخة جوزيف هاليفي الذي جنّ جنونه عندما أعلن اكتشاف الحضارة السومرية لأول مرة ،من قبل عالم الآثار أولبرايت، لأنه كان يهودياً ولايرى غير الساميين في وادي الرافدين بناة لحضارة البشرية.

ونرى أن وجهة نظر زكريا ستشن تستخف بعقولنا وترمي بعرض الحائط تلك الجهود العلمية الجبارة التي قام بها الآثاريون ومتخصصو اللغات القديمة طيلة أكثر من قرن ونصف، وقد سخر من أفكاره كل هؤلاء العلماء الكبار واعتبروها محض رواية متخيلة.

المنظورالأخلاقي والقيمي للديانة السومرية

بعد رحلتنا الطويلة في تفاصيل الديانة السومرية لا بد لنا من تحديد الطابع الأخلاقي لها ولا بد من تقييمها.

امتاز السومريون بطابع أخلاقي متوازن ورصين مكنهم من بناء حضارة يمكن أن نعتبرها (أم النواميس الحضارية) فقد وضعت، لأول مرة، الكثير من الضوابط الأخلاقية العالية والرفيعة لسلوكٍ راقٍ ومتطور جعلها

تنفرد، لزمن طويل، كحضارة أصيلة ألهمت شعوباً كثيرة لنباء حضاراتها الخاصة بها.

ويمكننا القول، دون تردد، أن الديانة السومرية هي أكثر الديانات القديمة تسامحاً وأقلها عنفاً، ولا نكاد نلمح فيها ما يشوب سيرتها المشرقة ومحاولاتها لجعل الإنسان سعيداً.

صحيح أنها تورطت في وجود هذا الكم الهائل من الآلهة الذي أربك وشوّش نظرتها الدنيوية العلمانية للحياة، لكنّ هذا الأمر لا نستطيع أن نحملها وزره وهي تعيش في ظروف شق الظلام الأبدي الذي وسم عصور ما قبل التأريخ.. وربما جاءت الآلهة الكثيرة كمكازات لدفع الظلام وهزيمته أولاً ثم بناء نواميس الحضارة. ما زلنا نرى أن قِدم الديانة السومرية وبكوريتها يجب أن يؤخذا بنظر الاعتبار في تقييمها إذ لا يمكن مقارنتها مباشرة بأديان أو فلسفات ظهرت بعدها بالآف السنوات كالغنوصية والمسيحية وقبلها البوذية والتاوية والبراهمية.. لكن هناك ما تسرب منها بشكل مباشر أو غير مباشر بسبب قدمها وانتقال معطياتها إلى شعوب العالم القديم.

ما يهمنا التأكيد عليه في تقييم هذه الديانة هو التوازن بين القيم الروحية والمادية والتوازن داخل القيم الروحية بمختلف النزعات التي تبدو منتاقضة لكن الديانة السومرية احتفظت بقدر عالٍ من الانضباط والتوازن في جميع هذه المتناقضات مع بعضها كنوعٍ من تمثل واستيعاب النزعات المتضادة في الإنسان نفسه وتطلعاته.

أفراح الوطن

عسى أفراحك يالوطن عواده ... وعيد الوطن يعله علينا يعود
مني تحيه مقدمه كالعاده ... مغلفه بعطرٍ ودهن العود
الكم تحيه و السلام إزياده ... تفوح من عطر الزهر و ورود
أزفها إلقادتي والساده ... والشعب يلي ملبين الهود
من ثم أسجد له على السجاده ... الله ربي الخالق المعبود
أدعيله إلي أعلنوا استشهاده ... يرزقه ربي ابجنان و خود
لي واهبٍ روحه فدى لبلاده ... تحت الثرى من بينهن للحود
والله ينصر جندنا بمجاده ... والحق لأهله ف اليمن بيعود
دام التحالف به رجال وقاده ... شيوخنا مع جيشنا المفنود
عساه يومٍ بالفرح و سعاده ... يزيد به هذا الفرح بزود
أفراحنا دايم تجي بزياده ... تعمنا طول الدهر و تعود
الطامع الحاسد عساه افواده ... نار الهشيم إلي تبث العود
ويهابنا كل خاين و يحاده ... وكل طامعٍ متعديٍ لحدود
لا يفتكر إنا على لوساده ... نحلم شراتهَ ف الليالي السود
العز معنا مقندٍ بقناده ... ونرقى الشوامخ عاليات الطود
عسى أفراحك يالوطن عواده ... وعيد الوطن يعله علينا يعود

محمد بن نهيول بن خميس الكندي
شاعر إماراتي ونائب رئيس جمعية شعراء الإمارات

أبها مدينة الغيم التي تغنى بها الشعراء عجباً

فريال عبدالله رشيد

على قمة سلسلة جبال الحجاز تتربع مدينة أبها، حاملة على جنباتها في فصل الشتاء رياحاً موسمية روسية المنبع، عابرة لبحر قزوين، مثيرة تيارات باردة تستكمل مسيرتها متجهة إلى الخليج العربي، إلى الجنوب، لتتقابل مع تيارات المحيط الهندي، لتغير اتجاهها مقيمة في غرب سلسلة جبال الحجاز.

وتتفرد مدينة أبها دون سواها من مناطق المملكة العربية السعودية، بمناخ جعلها مدينة جاذبة للسياح من مختلف بقاع الأرض، للاستمتاع بأجوائها الماطرة، حيث يتميز مناخها بهطول الأمطار بشكل يومي في فصل الربيع، وأسبوعيا في فصل الصيف لتصل درجات الحرارة إلى 25 درجة مئوية كحد أقصى، وتتساقط الثلوج على قممها في نهاية فصل الخريف وبداية الشتاء لتضعها تحت ظروف من البرد القارس هبوطا بدرجات الحرارة إلى مابين «-4» إلى «-6» درجة مئوية.

ونظراً لما تتميز به أبها من مناخ معتدل، كان له الدور في تنوع محاصيلها الزراعية، وتعدد أنواعها واختلافها، حيث تنتعش فيها زراعة الذرة، الخوخ، التين، البرشومي،

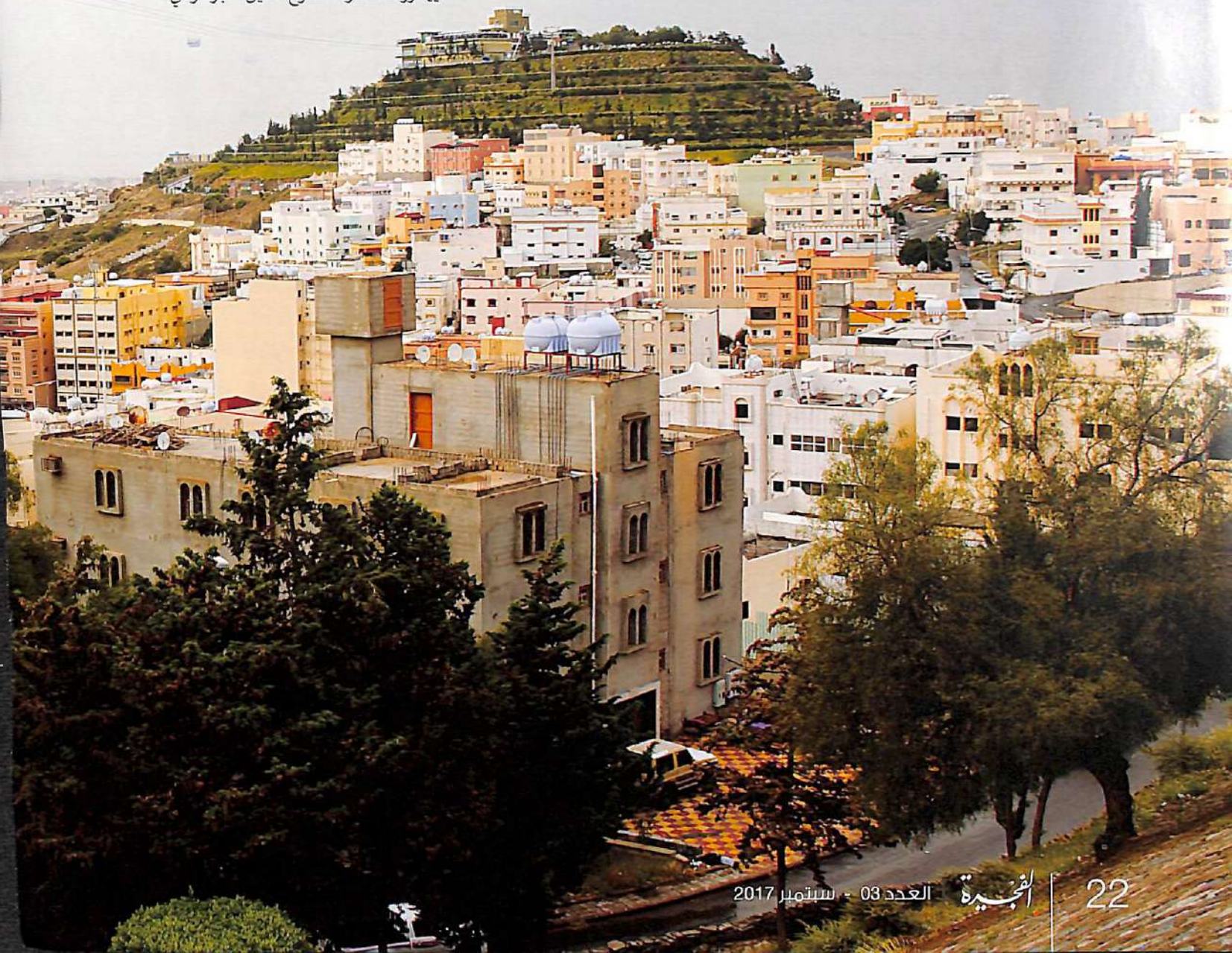

المشمش، الرمان، العنب، التفاح، الليمون وغيرها، تتوزع على طول مساحتها البالغة حوالي 5100 هكتار.

ورجوعا إلى حقب من التاريخ، فتعتبر أبها من المدن القديمة المنشأ، كلوحة تاريخية عريقة تميزها معالم أثرية تتنوع مابين القرى والتحف والقلاع التاريخية، ليجد السائح منبعاً للأثريات التي تحكي ثقافات أصول أبها قديماً، حيث ورد ذكرها في كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني، كما كانت تسمى قديما «إيفا»، وكانت تشكل مركزاً تجارياً مهماً في القدم، ليستمر تاريخها عبر الزمن ويبدو ذلك واضحاً من خلال المعالم الأثرية التي تجعل منها معلما تراثياً متكاملاً، أضحى واجهة سياحية جاذبة في مختلف المواسم.

ومن أهم المعالم الأثرية التي تميز أبها عن مثيلاتها، القلاع الأثرية والتاريخية، مثل قلعة أبو خيال الأثرية، قلعة شمسان، وقلعة الدقل التاريخية، متحف ألمع للتراث، قرية المفتاحة، مركز الملك فهد الثقافي، قصر الملحة وقصر شدا الأثري، إلى جانب الأسواق الشعبية منها سوق الثلاثاء، سوق ربوع آل يزيد، سوق سبت بني رزام وسوق الجمعة الذي يتميز باحتوائه على مختلف البضائع الشعبية، ونظراً لما يميز أبها من مناخ معتدل، فإن هذه المعالم كان لها نصيب من التفرد المناخي في اعتداله.

وتعتبر أبها المقر الإداري وعاصمة منطقة عسير جنوب غرب المملكة العربية السعودية، وتسمى عروس الجبل نظراً لارتفاعها، كما تسمى سيدة الضباب وكذلك أبها البهية لما تتميز به من جمال طبيعي.

مدينة الغيم، التي تغنى بها الشعراء واصفين جماليات إبداع الخالق في ماخلق فيها من معالم ساحرة، تتجسد في المظاهر الطبيعية الخلابة، التي تكسو جنباتها، وتزينها بحلة عروس، خاطبها الشعراء بعبارات غزلية تغنت بحسنها بأجمل الألحان، «أميرة الغرابة» كما وصفها الشاعر صالح الزهراني في قصيدته «رسالة إلى أميرة الغرابة» قائلاً:

«أبها» يصير المدى غيماً ووشوشة

> سيدة الضباب وعروس الجبل هكذا يحلو لعشاقها القول فيها

وفي دمي يا نشيدي يغرق البلد
«أبها» هواكِ غريبٌ لن يفسره
شعرٌ ولن يجتلي أسراره أمد
هواك لحن جميل لا نظير له
عندي وعزفٌ على الأشواق منفرد
«أبها» تظل عيونُ «الفجر» ضاحكةً
وأعينُ «الليل» فيها يعرك الرمد
«أبها» تظل سواقي الحب مورقة
ويذهب الزيف يا ليلاي والزبد
في داخلي ألف سرٍ عن محبتنا
في موطنٍ حارساه الحب والرَّشَدُ

وفي مواطن أخرى، يخاطبها الشاعر أحمد الصالح مناجياً رونقها، مستثيراً عشقه لها، حيث يقول:

أبها لها في مدار السحب منزلةٌ
سريرُ هدهده نفح الصَّبا فَهَما
أبها وهذا ثراءُ الحسن أبدعه
من أبدع الكون أرضاً أخصبت وسما
تلفتت أعين العشاق مبصرة
ما أبهج العين أو أغرى بها القدما

وحين تضيء أبها في ليلة غائمة، تفوح منها رائحة الغيم ورائحة المطر، وتتراقص أغصان الشجر حين يداعبها النسيم البارد، فتتهيأ لاستقبال زخات المطر، يا «عروس الربا»هكذا وصفها الشاعر غازي القصيبي، قائلا:

يا عروس الربا الحبيبة أبها
أنت أحلى من الخيال وأبهى
كلما حرك النفوس جمال
كنت أزكى شذا وأنضر وجها
وإذا ما ارتمى على الجفن حلم
كنت في حلمنا أرقى وأشهى

ومع دنو المساء، تطل أبها بحلة جديدة مع نفحات الغيث الهادئ، وتتوارى خلف الغيم في مشهد آسر، حيث ضحكات صغارها وخطوات المارة في شوارعها وممراتها، لتتشكل لوحة سياحية جاذبة، تحيي زمن الماضي الأصيل.

وكانت أبها منذ القدم، مركزاً تجارياً هاماً، يضم مختلف المعالم والأبنية الأثرية من قلاع وحصون قديمة يعود عمر بعضها إلى مئات السنين، كما كانت تعد في الماضي من أهم الأسواق التي يجتمع فيها سكان المنطقة من جبال الحجاز وسهول تهامة، وتعد أحد قرى قبيلة عسير القديمة، كما تتميز بتنوع لهجاتها وفقاً لتنوع التضاريس، وتعد اللهجة الجنوبية من اللهجات المنتشرة في الجزيرة العربية.

ويتوزع السكان في مدينة أبها وعلى ضواحيها والقرى والمراكز التابعة لها، حيث يقدر عدد سكانها بما يقارب نصف مليون أي 421921 نسمة بحسب تقديرات عام 2015، ويمتهنون أنشطة الزراعة والرعي، فيما يعمل بعضهم في قطاعات حكومية أخرى، وبفضل العدد الكبير لسكان مدينة أبها، فإنهم يتوزعون على مناطقها، ويقضي أغلبهم العطلات الأسبوعية في المناطق الريفية الهادئة في جبال تهامة وجبال الحجاز.

«الجبل الأخضر» في أبها، معلم سياحي جاذب، يقع في وسط مدينة أبها، يرتاده السياح لأعلى قمته للاستمتاع بالمشهد الذي يطل على أبها بأكملها، ونظراً للارتفاع الكبير، تحيط السحب بقمة الجبل، وقد زين بمدرجات خضراء محاطة بإضاءة خضراء، كل ذلك جعل أبها من أبرز المناطق السياحية في المملكة العربية السعودية، لما تتمتع به من مناخ معتدل وطبيعة خلابة، إضافة لما تتوفر فيها من معالم الجذب السياحي، من منتجعات سياحية ومطاعم ومتنزهات وفنادق، ومعالم أخرى مثل منتزه السودة السياحي، الذي يقع في قرية السودة في أبها؛ حيث يوجد جبل تهلل، والذي يصل ارتفاعه إلى ثلاثة آلاف متر فوق سطح البحر، كما يتميز منتزه الأمير سلطان في أبها بكثافة أشجاره، باحتوائه على أشجار عرعر المعمّرة التي يصل عمر بعضها إلى مائة وخمسين سنة، وتطل بعض منتزهاتها على منحدرات مثل منتزه أبو خيال، الذي يطل على منحدرات عقبة ضلع، وعلى مدينة أبها، ويعد عامل جذب للسياح الذين يتسلقونه، حيث يحتوي على متحف للحيوانات والنباتات، إلى جانب العديد من الاستراحات والمطاعم السياحية.

لنحتفِ بهم أحياء

رغد عبد

كل صباح أجدد شهيتي وأنا أقبل على العمل كمثل أول يوم ابتدأت العمل فيه وأتمسك بقوة العاشقين بأصل هوايتي التي لا أظن إلا أنها مختلفة عن سواها، وذلك بسرعة الإنجاز لكل المهام المتعلقة بوظيفتي، وكعادتي أيضاً أغتبط كلما وجدت على مكتبي دعوة لفعالية ثقافية أو فنية أو رياضية، وذلك أنني أحتفي بالموهوبين الذين حباهم الله بمواهب توزعتها الأنشطة تلك، ولا فرح يعدل فرحي ويبث النشوة بي كمثل الذي يفعله حضوري تكريم مبدع. ولكن الذي أطفأ كل حماس لديَّ ذات صباح هو الدعوة التي وجدتها على مكتبي وتقتضي حضوري تكريم المبدع الراحل... لأول مرة أسرح بتفكيري في ميدان الأسى والأسف على الكثير مما اعتدنا عليه والأكثر مما مررناه به مرة تلو الأخرى حتى استسغناه أخيراً، والأمر أننا كثيراً ما نتعامل مع الأشياء بلا زوادة السؤال.

فجرياً على عادة المثقلين بأعباء المتوارث من أسمال العادات، نتواصل والعادات تلك ومثيلاتها التي وجدت لنفسها مساحة لمتسلسل التقليد فينا، فبتنا نحرص على ديمومتها وكأنها فرض عين أو إرث يجب المحافظة عليه وأن أي محاولة لتجاوزه قد تحسب تخطياً للتقليد وربما خلخلة في موازين الإرث بكل متشكلات غثاثته. الأمثلة كثيرة ولا شك؛ من تلك التي تشير إلى تمسكنا بما تسلسلنا بأخذه خلفاً عن سلف وليس أدلَّ من تكريم الميت بعد تخطيه حياً مثلٌ واضح البيان على ذلك، ولا تسع الصفحة هذه بمحدودية تناولها ولا بكم كلماتها أن تكون كفيلة ببيان ما يظهر مقدار السوء في خطوة من هذا القبيل، وإن بدت في ظاهر النظر إليها كريمة تحت عنوان تكريم المبدع الراحل، العجب يفترض السؤال الأهم، هل من طبع الإنسان الاتكاء على ما يقترحه غيره حين يجد بهذا المقترح مخرجاً لمأزق وجد نفسه أسيره؟ أم إنها الخطوة التي تقترب المشاعر فيها من الرفوف العالية للصدق باعتبار أن خلافات المبدع الناتجة عن غيرة منافسيه أو لؤم حاسديه تختفي بعد موته، وبذا فإنه يتحول إلى الفقد الذي تجتمع عنده القلوب من كل الملل على اختلاف مشاعرها؛ تلك المشاعر التي استظهرها الموت حتى ليشمل قسماً من تلك التي كانت تسجر على نار البغض والضغينة ذات خلاف أو عداوة أو ربما تنافس مضمور في دفائن المسكوتات. والسؤال الآن: ماذا يعني أن تكرم ميتاً لم يكن له حتى استقراء مثل هذا التكريم في حياته؟ بل ربما لم يخطر له بخاطر حتى يوم وقف على حافات موته متأملاً في لحظات كل تاريخه السابق وكل متخيلاته في العيش اللاحق، ملامسة وإن كان القصد منها نبيلاً ولكنها تبدو كما لو كانت رسالة اعتذار عن تقصير بحق راحل قد كانت تحف بخطوه الحمائم بينما الآخرون مشغولون بخطو مختلف. إننا بحاجة لاقتراح التقليد ونحتاجه مكرساً ونسعى لترسيخه، ولكن يجب أن يكون التقليد ملامساً لشغاف إنسانيتنا ومؤكداً آدميتنا في الالتفات للمختلفين بشكل مختلف كي يتساوق الاختلافان الناظر بكل مبتكرات جمالياته والناظر إليه منا بكل مستمدات ذائقته الجمالية، معلوم أن الإنسان يسعى ما وسعه السعي لأن يشعر بقيمة منجزه ويحيا نشوة الحفاوة به لا أن يودع شوط حياته وفي نفسه شيء مما يتمنى كل مجتهد وباحث ومبدع أنى كان فضاء إبداعه. موجع أن نجعل الاحتفاء بالمبدع عنواناً يبعث فينا الإحساس بالخيبة ومضاعفة الوجع بالفقد مما يفقد التكريم معناه ويجرده من نبله.. ليكن للأحياء حق الحفاوة وللميت الكرامة.

الشامسي.. الطالع من شمـــــ

رائد الحديدي

علي بن رحمة الشامسي المولود في منطقة الحمرية التابعة لإمارة الشارقة في عام 1930م، عاش عمراً رافق فيه الحرف وتعكز خلاله على المخيال ونهل من مناهل الصدق ليكون شعره قريباً من الناس وكان وإن آثر نفسه فيه ليعيش دهراً وآخر خالداً بارثه الشعري الذي سيظل مادة تتلقفها الذائقة الشعرية بمزيد من الإعجاب والإنشداد لكل مايحفل به من دقة نظم وصور شعرية زاخرة بالوصف الأجمل لمكنون الشعور الإنساني حينما تكون علامته الفارقة الحب، فضلاً عن دماثة خلقه التي يشيد بها من عرفه ومحقق إنسانيته التي تطابقت والقيم التي يدعو إليها شعراً في باب الفروسية والاعتداد بالنفس ومحاكاة القيم النبيلة،

ـــــس الشعر إلى دفء القصائد

ليس سهلاً أن تختار بداية منها تنطلق وأنت تكتب في شاعر بحجم الشامسي ولايليق به أن تقدمه بطريقة تقليدية متسلسلة لأنه لم يكن متسلسلا في ارتقائه فقد صنعت اسمه قصائده التي لم يكن مخططا لنتاجها وكأنها كانت تستدعي الشاعر وليس بمستدع لها بنفسه، ومثل سواه ممن قصدوا مقاعد الدرس فقد تلقى في بداية حياته تعليماً تقليدياً فالتحق بالكتاتيب وتعلم قراءة القرآن الكريم وختمه على يد «سالم بن سعيد المزروعي» ليتمكن بعدها من إتقان القراءة والكتابة، كماحضر في صباه مجالس الشعر والأدب، فجرت تأثيرات الشعراء عليه محركة جذور موهبته التي بدأت تتلمس الانسجام بين روحه من الداخل والشعراء الذين كانت تعج بهم مجالس الشعر التي ظل حريصا على ارتيادها وكان ينظر إليهم من علٍ يراهم فيه كما صوره إعجابه بهم ونمت موهبته وترعرعت وبدأ كتابة الشعر وهو ابن خمس عشرة سنة. وأكثر من تأثر بهم من الشعراء وأولع بأشعارهم الشاعران عبيد بن زعيل وخليفة بن جمعه المعروف بالخليفي.

كان والده يعمل في البحر، وقد التحق للعمل معه وكان عمره حينها سبعة عشر عاماً. وبعد انهيار سوق اللؤلؤ والكساد الذي أصاب هذه التجارة لم يجد مناصا من البحث عن مهنة أخرى ففي فترة الخمسينات عمل في الحرس وفي الستينات عمل مراسلًا في إذاعة صوت الساحل. ثم عمل في إذاعة الشارقة وقدم برنامج «في أحضان البادية» كما شارك بإلقاء القصائد في برنامج «فنون شعبية»، وشارك أيضاً في استحداث وإعداد برنامج مجلس الشعراء الذي كان يقدمه تلفزيون دبي في أواخر الستينات مع المغفور له حمد خليفة بوشهاب وكان المجلس يضم يومها عدداً كبيراً من رواد الشعر الشعبي في الإمارات «راشد الخضر والجمري وابن زنيد وابن سوقات وابن ياقوت والكوس وغيرهم».

وشهد البرنامج تعثرا بسبب مغادرة البعض من الشعراء له، وابتعاد البعض، ورغم ذلك ظل «ابن رحمه» منشغلا في عطائه ومنتجا كما هائلا من مشاركاته في البرنامج إلى أن توقف في أواخر التسعينات. بعدها شارك في إعداد وتقديم العديد من البرامج الإذاعية الشعبية المهتمة بالشعر والتراث الشعبي.

فقد عاصر عدة أجيال شعرية، وساهم في تطوير القصيدة النبطية ومحتضنا لشعرائها الشباب،

كما كان من مؤسسي مجلس الشعر الشعبي إلى جانب سالم الجمري وحمد بوشهاب وطناف. تميز شعره بعفويته وسلاسته وخلوه من أي تكلف وقد كان مفرط الشفافية بمفردته الشعرية نافذ الصدق إلى متلقيه عبر قصائده وقد عزى الكثير من الشعراء والمتابعين له كل تلك الصفات التي حفلت بها قصائده إلى تطابقها معه في التعامل وطيبته اللامتناهية وكرمه الباذخ فكأن قصائده كانت تشبهه في جل صفاته فهو الشاعر الذي تطابق وشعره. ويعتبر من الشعراء الذين كرسوا للتقليد فقد كان سنوياً يدعو الشعراء إلى مأدبة يقيمها لهم في منزله جاعلاً من المناسبة لقاءً سنوياً يتبادل الشعراء فيه جديدهم ويتناقلون أخبار بعضهم ويطلعون على نتاج الشباب بينهم ومما يحسب له سعيه المستمر لإذابة كل أشكال الخلافات التي تنشأ بين الشعراء لسبب أو لآخر وما أن يتبادر إلى علمه

> شب شعراً في الخامسة عشرة فخطفه البحر في السابعة عشرة

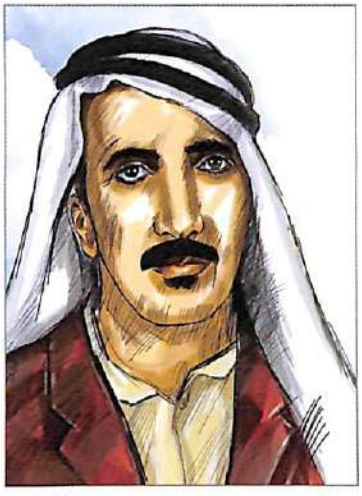

الجمري

> حين تماهت ذاته وقصائده كان يترجم حاله في شعره حتى بدا كأنه لسان حاله

أن اثنين من مجتمعه الشعري اختلفا في أمر ما فإنه سرعان مايبادرهما بدعوة ينهي بحكمته وصفاء نواياه كل خلافاتهما لذا فإن الشعراء ومن باب ثقتهم بصفائه ونقائه ظلوا ينظرون إليه على أنه النموذج الفاضل والمربي الحكيم الذي يحكم بين الشعراء كلما احتاجوا إلى حكمة المنصف والإنساني فقد كان مخلصاً في خلق الأجواء الأخوية التي تنم عن حب أصيل وسمو نفس وعفة قلب تناسب من كان مبدعاً بقامة علي بورحمة الشامسي..

إن هذه المقاربة من مبدع ونتاجه لهي محاولة المبدع للتحليق عاليا ولاشك أننا حينما نكتب عن شاعر بحجم ابن رحمة فإننا نتناول ماكان له في فضاء القصيدة ومايحسب له فيها فللشامسي قيمة أدبية كبيرة فقد كان شاعراً تماهي قصائده الوجدانية وجدانه والعاطفية الموغلة في البوح مكتنز عواطفه بمشاعره الفياضة عذوبة ورقة قصائده على بلاغة الصورة وبساطة المفردة وسلاسة البناء الشعري

حمد خليفة بو شهاب

فقد تصدى لها الكثير من المطربين حيث قدمت بأصوات مختلفة لمجموعة كبيرة من المطربين أبرزهم ميحد حمد ومحمد البلوشي وآخرين.

لقد أبدع الشامسي في كتابة الشعر تحت تأثير سلطة بيئته عليه فهي التي أمدته بكل مايكفل نتاجه الشعري وكان هذا بينا في قصائده وفي النموذج التالي من قصيدة «غناتي» حيث يبدو ذلك جلياً وكأنه يوجه بوصلة قلبه صوب تلك البيئة الأم متمثلة بالأرض التي يحب وينتمي والتي تمنحها حبيبته صفة تبريرية لحبه لها بيد أن العلاقة هنا إشارية فهي تشير إلى الكل المكتمل حبيبة ووطنا وحب حقيقي لالبس فيه والتي أداها بروعة مماثلة لروعة القصيدة المطرب «ميحد حمد» لتقيم في الذاكرة الجمعية لجيل عاصر إنتاج الأغنية ردحاً طويلاً من الزمن:

أحبك يا نظر عيني عناتي
وأحب الأرض لي تمشي عليها
وأحبك حتى أكثر من حياتي
وأسوم الروح لجلك واشتريها

وعلي بن رحمة الشامسي استطاع أن يوظف المفردة الإماراتية توظيفا حسيا وجماليا بحيث يغدو التفوه بها مغازلة لكل القصص المتوارية خلف القصائد كذلك كان متقنا في التعبير عن أدق تفاصيل حياة أبناء الإمارات وحاول في ذلك أن يكون شاعر الأجيال لأنه كان يتوجه بخطاب قصائده للجميع دون استثناء ودونما أي تخصيص فئوي فقد كان ينطلق في رؤاه من الإمارات وإليها شاعراً لكل الفئات العمرية، لذا فقد جاءت قصائده صادقة عفوية، قريبة منا إلى الحد الذي نشعر انها محملة بهمومنا ومعبرة عما يكتنف خلجات نفوسنا لثرائها اللغوي وشفافيتها.

لعل من يطلع على ديوان «غناتي» يجد فيه مواكبة لحركة الحداثة لروح الشباب في القصيدة، ولم يكن هذا إلا جنوح «ابن رحمة» لمواكبة اي تطور ناشئ في الحركة الاجتماعية والتغيير الذي يطرأ على المشهد الشعري بغية خلق موازنة اجتماعية/ أدبية بين حركات التجديد الاجتماعي والتجديد الإبداعي، وسط كل ذلك يظل الوجدان يخفق حنيناً لكلمات شاعر مثل:

إذا مريت صوب الدار لوّل
أشوف الدار تذريها الذراري
وأخف السير في دربي وأحوّل
وأطالع من يمين ومن يساري

وكان ابن رحمه متعلقاً بحياة البدو والصحراء تعلقاً كبيراً ولذلك نجد تردده الدائم على مثل هذه المناطق كما نجده يعبر عن ذلك في قصائده التي يتغنى فيها بالبر والبدو ومن ذلك قوله:

أحب البر وأشد الرحايل
وأدور قلب ضايع في البوادي

تناول ابن رحمه معظم أغراض الشعر الشعبي، ومعظم نصوصه الشعرية مرتبطة بالمكان سواء أكان حقيقياً أم رمزياً أم خيالياً. وقد شكل فن الونه الإماراتي نوعاً من المرجعية لديه وهذا ما جعل التعاطي مع نصوصه غنائيا ذات وقع على المستمعين خصوصا من لديهم ذلك

بن سوقات

المخزون التراكمي المكاني المرتبط بالإمارات والخليج.

لذلك يمكن القول إن النص الشعري لديه كان وفيا لفن الونه الذي يحمل في خصائصه الداخلية أجواء من قبيل الحميمية العاطفية الجياشة والميل نحو الشجن والاستذكار الإنساني للعلاقات ذات الصفاء الروحي والعاطفي و لوعة الفراق وهذه كلها اجتمعت في قصائد الشاعر، مما جعلها تجد قبولًا وانتشاراً جماهيرياً وجمالياً حتى يومنا هذا. وقد نجح الفنان ميحد حمد الذي غنى له قصائد مثل: (يوم أمر واطلع دياره)، (ويا قمر سود الليالي)، و(احبك انظر عيني غناتي)، (وإذا مريت صوب الدار الأول)، (يابوخدود إنعام)، في ترجمة تلك المشاعر والأحاسيس كما أوردها ابن رحمه.

اهتم ابن رحمه الشامسي بتدوين قصائده، وقد صدر له في حياته ديوانان كان الأول في فترة الثمانينات عن وزارة الإعلام والثقافة وحمل اسم (ديوان الشاعر علي بن رحمه الشامسي) وضم خمساً وعشرين قصيدة، أما الديوان الثاني صدر في عام 1995م واسمه (غناتي) وضم تسعة وخمسين قصيدة.

الراحل علي بن رحمه الشامسي كان نموذجاً يعكس التلازم بين ما يعيشه وما يكتبه مقاربا الأشياء بشكل روحاني.وعلى الصعيد الشخصي فله من الفضائل مايضع شخصيته في موقع القبول والإعجاب الأول فلم يكن ليبخل بالنصيحة ومساعدة الشعراء بالمشاركة في برامجه الشعرية، وكان مؤمنا بأن انتشار الشاعر بين الناس ومعرفتهم له بمثابة جواز مرور نحو العطاء والتفاعل مع المجتمع.

تبسطه مع الشعراء الجدد من جيل الشباب واحتضانه لهم فضلا عن وقوفه ودعمه لكل الأجيال الشعرية التي عاصر وجودها ونتاجها الشعري كان كفيلا لأن يضعه في ذوات الأخرين موضع الود والمحبة ذلك أن هذا التواضع الآتي من فهم وظيفة الشعر والشاعر والإنسان معاً أوصله إلى الآخرين من خلال ما كان يقوم به ومن خلال دفعه بالعناصر الشعرية الإماراتية لتكون امتداداً لروحه كحق مشروع لكل شاعر قادر على أن يخلق زمناً جميلًا كما يراه وخصوصا حين يكون الشعر هو بوابة ذلك الجمال.

الجمري يترجم بعضه في أقواله:

- بدأت في كتابة الشعر قبل خمسين سنة تقريباً وكان عمري خمسة عشر عاماً و كنت مولعاً بسماعه حيث كنت أرتاد المجالس الشعرية وأستمع إلى ما يدور فيها من حوارات وردود ومساجلات بين الشعراء.. أستمع إلى جديد الشعر وقديمه.. وكان الشعراء يمتدحون القصائد الجيدة ويتوقفون عندها ويقومون بالرد عليها شعراً وذلك تقديراً للشاعر والقصيدة، كنت أقول في نفسي هل يمكنني أن أبدع مثل هؤلاء الشعراء وهل أستطيع مجاراتهم فيما يقولون.. وبعد فترة بدأت في محاولاتي وبدأ هاجس الشعر يزورني وتمخضت البداية عن قصيدة نالت استحساناً كثيراً من الشعراء.. وعمر هذه القصيدة عمر بدايتي، أي نصف قرن من الزمن لذلك لها مكانة خاصة في نفسي أقول فيها:

باني قصر في راس حبه
واخطف الوادي معاليه
احب واداوي المحبه
وخلي بكاس الود بسجيه
درب الهوى كل تعبّه
وانا شرات الصوف بطويه

ومن شدة تعلقي بالشعر كنت أكتب قصائد بدل الدرس الذي كان يمليه علينا المطوع فطلب والدي وقال له: ابنك أتعبني

> خلا شعره من التكلف فانساب سلساً إلى ذاكرة الشعر الجمعية

> كتب قصائد تشبهه فتحققت مطابقته وإياها

وأعجزني فأنا أدرس لهم أشرح وهو مع القصيد يسرح وكل هذا لم يزدني إلا إصراراً على مواصلة طريق الشعر..

– الشعر يمكن أن يورّث كتراث وليس كإبداع.. فالشاعر إذا ترك ديواناً شعرياً لأبنائه فبالإمكان الاستفادة منه أي أن يجني الأبناء مردوداً مادياً من الديوان أما أنه يورث الإبداع نفسه فلا أعتقد.

– الشعر الغنائي ليس فناً حديثاً إنما هو فن قديم جداً حيث كان البدوي يتغنى به على ظهر ناقته في الصحارى ويردده النهام في البحار مع (الغاصة) وتسمعه على شفاه العذارى في أيام العيد وهن يتأرجحن على المريحانات المعلقة على جذوع الرول والسدر فكل هذا فن غنائي موروث.

– تميز الماضي بالبساطة والجمال رغم صعوباته (وامحانه) أما هذا الزمن فإن رأيي فيه قلته شعراً:

هذا الزمان يا هو عجوبات
يارب تكفينا بلاويه

– لا يمكن تعلم الشعر دون وجود موهبة ربما يستطيع المرء أن يكون راوية ينقل أخبار الشعراء والشعر وفنونه وأحكامه.. لأن الإبداع يحتاج الى قريحة وبدونها يصبح الأمر عقيماً.

الشعر لم يتركني في حالي فهو معي في حلي وترحالي لا يفارقني أقول الآن وبصراحة لا أستطيع ترك الشعر.. لقد تقاعدت من عملي في الجمارك لكن الشعر ليس مهنة إنما دمي الذي يجري في عروقي فهل يستطيع الإنسان الاستغناء عن دمه؟

شعره:

رحل الشامسي وظل شعره علامة فارقة في تاريخ الأدب الشعبي وبساطته جواز مروره إلى الأفئدة ولاشك أن المهتم بنتاج المشهد الشعري الشعبي يحفظ عن ظهر قلب الشاعر الذي منح القصائد ملح الوجدان ، وهذه هواجسه في قصائده تحكي سيرة حسه المتدفق.

راشد الخضر

من قصائده

غناتي

احبك يانظر عيني غناتي
واحب الارض لي تمشي عليها
واحبك انته أكثر من حياتي
واسوم الروح لجلك وأشتريها
ويوم اذكرك وانا في صلاتي
يداخلني الفكر واشك فيها
ويوم أذكرك في حزت مقاتي
اترك وجبتي لو اشتهيها
معي ذكراك له ذوق وحلاتي
دوا الفراق والروح ايحيها
اداويبه جروحٍ مخفياتي
فلا غيرك طبيبٍ يعتنيها
ولو سا زين تعرفٍ واجباتي
دروب الحق تاخذ وتعطيها
فلا تنحل بعض المشكلاتي
ونا دعواي حاكمها وليها
عليه الحق بشهود وثباتي
لكن اشهودها منها وفيها
ولولا الخوف ودرا العاجباتي
واخاف الناس يكثر بي حكيها
لطبّعها بعاصوف الشراتي
وخلي مويها يطمي عليها
وخل يكون لي في الكائناتِ
تقول الناس هذا مدعيها

اذا مريت

اذا مريت صوب الدار لول
اشوف الدار تذريها الذواري
اخف السير في دربي واحول
واطالع من يميني ومن يساري
واعيد الشوف واذكر عام لول
واشم الدار واتقفر لشاري
تقول الدار ماضيكم تحول
ولا يبقى لكم في الدار طاري
على اللوحات ممنوع التجول
وجيش الحب معلن بالطواري
مثل ما قال راعي الوصف لول
كلام الليل يمحيه النهاري
الا ياليت ذاك الوقت طول
وخلا الماي في مجراه جاري
صروف الوقت والدنيا تهول
تشف لحد والباجين خاري
وتاخذ من حقوق الناس لول
وتعطي حد ولو هو ما يداري
وتبع الحب ما يبغي تسول
ولا تيبه فلوس ولا اجاري

اشتغل قلبي

يا نسيم البر لمذني
لا تذكرني بطرواهم
خلني مرتاح في فني
وابدع ابياتي لعيناهم
مره اصيح ومره اغني
واشتغل قلبي بذكراهم
من عقب ما كنت متهني
في سرور ودايم وياهم
هكذا الايام خلني
محترم لذات دنياهم
ودعوني وسافروا عني
ما هقيت القلب ينساهم
بات دمع العين لاهني
حيث لني ماصبر بلاهم
والصخر من ونتي وني
من كثر شوقي برورياهم
يا رسولي بندبك عني
صوب لي بيحل دعواهم
خص بن ذيبان متعني
ذاك لي بيرد شكواهم
الدهر بو سالم امحني
والهجر بيح اقصاهم
فيك يعله ما خسر ظني
يالخوي ما طيح فرقاهم

وجهات نظر اقتصادية للإعلام

د.مها مصطفى

إن مناهج الكلاسيكة للنظريات الاقتصادية غالباً ما توجه الانتقاد لتخصيص قيمة نقدية محددة -نفقات- لممارسة أنشطة العلاقات العامة ضمن ميزانية المؤسسة على أساس أن الفوائد المستقبلية لهذه النفقات غير مؤكدة وقد لا تؤدي إلى ارتفاع المبيعات أو نمو المؤسسة. وذلك بأعتبار أنها لا تحقق العائد المطلوب على الاستثمار.

غير أن نُهَج الاقتصاد النيوكلاسيكي غالباً ما يميل إلى اعتبار أن العلاقات العامة هي وظيفة استراتيجية كأي وظيفة استراتيجية أخرى داخل المؤسسة الحديثة، إذ تعد هذه النُّهَج الأنشطة التي تقوم بها العلاقات العامة استثماراً طويل المدى للمؤسسة يركز على الجمهور والحفاظ عليه خاصة في ظل بيئة تنافسية معقدة ذات متغيرات ومحددات تؤثر في أعمال هذه المؤسسات مما يتطلب من الأخيرة تكييف قدراتها ووضع سياسات تعزز من فرص بقائها في عالم اليوم، ووفقاً لهذه النُّهَج فإن اعتبار العلاقات العامة استثماراً يحتم بالضرورة وجود نفقات محددة لممارسة هذه الأنشطة في ميزانية المؤسسة وما يترتب على ذلك من قياس التأثيرات الملموسة لنفقات أنشطة العلاقات العامة على مؤشرات أداء المؤسسة من حيث الفاعلية وتحقيق أهدافها. إذ تحتاج ممارسة أنشطة العلاقات العامة إلى الميزانية وقياسها من حيث الفاعلية. مما يؤدي إلى ضرورة إدراج مفاهيم اقتصادية مثل التكاليف والإيرادات في مجال العلاقات العامة.

إن العلاقات العامة والإعلام من خلال البعد الاقتصادي تهتم بشرح كيفية مساهمة إدارة العلاقات العامة في تحقيق مكاسب اقتصادية شاملة للمؤسسة. حيث يؤثر الاقتصاد بشكل مباشر على برامج العلاقات العامة وصنع القرار؛ وعلاوة على ذلك، يمكن أن تكون طريقة التفكير الاقتصادي والمفاهيم الاقتصادية مفيدة لممارسة أنشطة وبرامج العلاقات العامة. ويمكن أن يكون ذلك من تصنيف العلاقة بين العلاقات العامة والاقتصاد من خلال خمس وجهات نظر مختلفة تؤكد على أهمية دور العلاقات العامة في حماية الاستثمار وتكاليف المعاملات في المؤسسة وهي:

تحاول وجهة النظر الأولى شرح العلاقات العامة من وجهة نظر علم الاجتماع: إن العلاقات العامة هي المشاركة في أنشطة البناء الاجتماعي للمؤسسة وهي استخلاص للنظريات العلمية الاجتماعية المتجذرة في نظرية الاقتصاد الجزئي منها نظرية الهيكلية الوظيفية.

أما وجهة النظر الثانية فتحاول توضيح عوامل بيئة اقتصاد السوق التي تؤثر في ممارسة أنشطة العلاقات العامة حيث ترى أن العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية والقانونية (التشريعية) والبيئية التي تعمل المؤسسة داخلها هي محددات هامة لتطوير وممارسةالمهنة والتي تؤثر على عملية العلاقات العامة.

وجهة النظر الثالثة توجه العلاقات العامة باعتبارها نشاطاً مكملاً للأنشطة الأخرى في المؤسسة أي التركيز على سياق التفكير التكاملي في العلاقات العامة.

وجهة النظر الرابعة أوضحت أن العلاقات العامة كوظيفة إدارية تعنى ممارسة العلاقات العامة لوظائف الإدارة الرئيسية مثل التخطيط والتنظيم والاتصال الإداري والتقويم ،أي دمج العلاقات العامة في النظرية الإدارية لتحقيق غايات معينة وأغراض محددة تحقق أهداف المؤسسة، من خلال استثمار القوى البشرية والإمكانات المادية المتاحة من أجل الوفاء بتطلعات الفرد والجماعة، فالإدارة هي المرتكز الرئيس في تطوير الأفراد والجماعات، والعامل الحاسم في تحقيق التنمية في المجالات كافة، إن الإدارة هي إنجاز المهام من خلال الأخرين.

وجهة النظر الخامسة تتعلق بإدراك الجمهور للصورة الذهنية للمؤسسات حيث تربط تعريف نشاط العلاقات العامة بالآثار الاقتصادية المباشرة التي تجنيها المؤسسة.

شقة الحرية وأبو شلاخ.. أبرز تركاته الأدبية

غازي القصيبي.. سياسي بعتادٍ ثقافي

في 15 من أغسطس المنصرم حلت الذكرى السابعة لوفاة الشاعر والأديب والسياسي السعودي غازي القصيبي، الذي ترك أثراً عميقاً في ذاكرة السعوديين والعرب.القصيبي الذي اختلفت عليه الآراء في حياته وشهدت له بالانتصار بعد وفاته يعد واحداً من أبرز رموز المشهد الثقافي العربي، وصاحب شخصية مضيئة وفريدة تشع بالحياة، جمعت السياسة والإدارة والأدب . كما كانت له في كل مجال بصماته الخالدة العصية على عوامل الزمن.صاحب «العصفورية» و«شقة الحرية» و«حياة في الإدارة» استأثر بتجربة حضارية ورحلة زاخرة مر فيها بسجالات فكرية عدة ، ليرحل عن الحياة معبراً عن رضاه وقناعته بما ألم به من مصاب أسماه « الهزيمة» رافضاً تسميته بغير ذلك.

طفولته

في بيئة مشبعة بالكآبة كما يصفها القصيبي كانت ولادته التي وافقت اليوم الثاني من شهر مارس عام 1940 ذلك الجو الكئيب كانت له مسبباته، فبعد تسعة أشهر من ولادة غازي توفيت والدته، وقبل ولادته بقليل كان جده لوالدته قد توفي أيضاً وإلى جانب هذا كله كان بلا أقران أو أطفال بعمره يؤنسونه، في ذلك الجو، يقول القصيبي «ترعرعت متأرجحاً بين قطبين أولهما أبي وكان يتسم بالشدة والصرامة، كان الخروج إلى الشارع محرّما على سبيل المثال، وثانيهما جدتي لأمي، وكانت تتصف بالحنان المفرط والشفقة المتناهية على الصغير اليتيم.» ولكن لم يكن لوجود هذين المعسكرين في حياة غازي الطفل تأثير سلبي كما قد يُتوقع بل خرج من ذلك المأزق بمبدأ إداري يجزم بأن «السلطة بلا حزم تؤدي إلى تسيب خطر، وأن الحزم بلا رحمة يؤدي إلى طغيان أشد خطورة». هذا المبدأ، الذي عايشه غازي الطفل طبقه غازي المدير وغازي الوزير وغازي السفير أيضاً فكان على ما يبدو سبباً في نجاحاته المتواصلة في المجال الإداري،ولعل هذه الطفولة التي لم تكن مثالية لطفل يتيم بلا أقران في عمره، حيث يفصل بينه وبين أقرب إخوته 5 أعوام، هي التي منحته عزلة مبكرة وهدوءا حتى انتقل مع أسرته إلى المنامة، وهناك تشكلت مرحلة مهمة في حياته على المستوى الشخصي والفكري، وصفها الطفل القادم من الأحساء بالصدمة الحضارية وكتب في الهفوف -أمّ النخيل- مدينته الأم :

أتذكُرينَ صبيًا عادَ مُكتهلا
مسربلاً بعذابِ الكونِ .. مُشتملا؟
أشعاره هطلتْ دمعاً ... وكم رقصتْ
على العيونِ ، بُحيرات الهوى ، جَذلا
هُفوفُ! لو ذقت شيئاً من مواجعه
وسّدته الصدرَ .. أو أسكنته الخُصَلا
طال الفراقُ.. وعذري ما أنوءُ به
يا أمّ! طفلُك مكبولٌ بما حَمَلا
أمَّ النخيل ! ... هبيني نخلةً ذَبُلتْ
هل ينبتُ النخلُ غضّاً بعد أن ذَبُلا ؟!
يا أمُّ .. رُدّي على قلبي طفولَته
وأرجعي لي شباباً ناعماً أفلا
وطهّري بمياهِ العينِ .. أوردتي
قد ينجلي الهَمُّ عن صدري إذا غُسِلا

تعليمه

لم يستمر جو الكآبة ذاك ولم تستبد به العزلة طويلاً بل ساعدته المدرسة على أن

يتحرر من تلك الصبغة التي نشأ بها ليجد نفسه مع الدراسة بين أصدقاء متعددين ووسط صحبة جميلة. في المنامة كانت بداية مشواره الدراسي حتى أنهى الثانوية، ثم حزم حقائبه نحو مصر وإلى القاهرة بالتحديد وفي جامعتها انتظم في كلية الحقوق، وبعد أن أنهى فترة الدراسة هناك والتي يصفها بأنها غنية بلا حدود ويبدو أنها كذلك بالفعل إذ يُقال أن رواية شقة الحرية التي كتبها، والتي كانت هي الأخرى غنية بلا حدود تحكي التجربة الواقعية لغازي أثناء دراسته في القاهرة. حصل القصيبي بعدها على درجة البكالوريس من كلية الحقوق في جامعة القاهرة.

عاد إلى السعودية يحمل معه شهادة البكالوريوس في القانون وكان في تخطيطه أن يواصل دراسته في الخارج وأصرّ على ذلك رغم العروض الوظيفية الحكومية التي وصلته وكان أهمّها عرضاً يكون بموجبه مديراً عاماً للإدارة القانونية في وزارة البترول والثروة المعدنية إلا أنه رفضه مقدماً طموح مواصلة الدراسة على ما سواه. كان أباه حينها قد عرض عليه الدخول في التجارة معه ومع إخوته إلا أنه اعتذر اعتذر لأبيه عن ذلك أيضاً فما كان من الأب الذي كان شديد الاحترام لاستقلال أولاده كما يصفه ابنه إلا أن يقدّر هذه الرغبة بل وساعده بتدبير أمر ابتعاثه الحكومي إلى الخارج وهذا ما تم، وفي 1962 ونحو لوس أنجلوس في الولايات المتحدة الأميركية كانت الوجهة هذه المرة وفي جامعة جنوب كاليفورنيا العريقة قضى ثلاث سنوات تتوّجت بحصوله على درجة الماجستير في العلاقات الدولية.

وفي أميركا وأثناء دراسة الماجستير، جرّب غازي منصباً إداريا للمرة الأولى وذلك بعد فوزه بأغلبية ساحقة في انتخابات جمعية الطلاب العرب في الجامعة، وبعد رئاسته لها بأشهر أصبحت الجمعية ذات نشاط خلاق، بعد أن كانت الفرقة سمتها نظراً للوضع الذي كان يعيشه الوطن العربي آنذاك والذي يؤثر بالطبع على أحوال الطلاب العرب.

عاد إلى الوطن وعمل أستاذاً جامعياً ثم إكمل الدراسة وحصل على الدكتوراه بعد فترة عملية، كان قرار غازي من بين خيارات عدة، فعاد إلى الرياض عام 1964 وإلى جامعتها تقدّم آملا بالتدريس الجامعي في كلية التجارة ولكن السنة الدراسية كانت قد بدأت قبل وصوله، ما جعل أمله يتأجل قليلاً حتى السنة التالية، وفي تلك الأثناء قضى غازي ساعات عمله اليومية في مكتبة الكلية بلا عمل رسمي وقبيل فترة الامتحانات الجامعية جاء الفرج حاملاً معه مكتباً متواضعاً ومهمة عملية لم تكن سوى لصق صور الطلاب على استمارات الامتحان وقام حامل الماجستير في العلاقات الدولية بتلك المهمة عن طيب خاطر.

وقبل بدء السنة التالية، طلب منه عميد الكلية أن يجهّز نفسه لتدريس مادتي مبادئ القانون ومبادئ الإدارة العامة إلا أنه وقبيل بدء الدراسة فوجئ الأستاذ الجامعي الجديد بأنه عضو في لجنة السلام السعودية اليمنية التي نصت عليها اتفاقية جدة لإنهاء الحرب الأهلية في اليمن وكان أن رشح اسمه كمستشار قانوني في الجانب السعودي من اللجنة دون علمه، ليأتي أمر الملك فيصل باعتماد أسماء أعضاء اللجنة فلم يكن هناك بدّ من الانصياع لهكذا عضوية، ومع أوائل العام 1966 كانت مهمة اللجنة قد انتهت ليعود المستشار القانوني السياسي إلى أروقة الجامعة، وكلف حينها بتدريس سبع مواد مختلفة. وفي 1967 غادر نحو لندن ليحضّر الدكتوراه هناك، وكتب رسالته حول حرب اليمن التي يقول فيها:

ألومُ صنعاءَ... يا بلقيسُ... أمْ عَدنا ؟!
أم أمةٌ ضيعت في أمسها يَزَنا؟!
ألومُ صنعاء ... لوصنعاءُ تسمعني!
وساكني عدن... لو أرهفت أُذُنا
وأمةً عجباً... ميلادها يمنٌ
كم قطعتْ يمناً... كم مزقتْ يمنا
ألومُ نفسيَ... يا بلقيسُ... كنت فتى
بفتنة الوحدة الحسناء... مفتتنا
بنيت صرحاً من الأوهام أسكنه
فكان قبراً نتاج الوهم ، لا سكنا
وصغتُ من وَهَج الأحلام لي مدناً
واليوم لا وهجاً أرجو ... ولا مُدُنا
ألومُ نفسيَ ... يا بلقيسُ ... أحسبني كنتُ
الذي باغت الحسناء ... كنتُ أنا !

> في بيئة مشبعة بالكآبة كما يصفها القصيبي كانت ولادته التي وافقت اليوم الثاني من شهر مارس عام ١٩٤٠ ذلك الجو الكئيب كانت له مسبباته

> إلى السعودية عاد يحمل معه شهادة البكالوريوس في القانون وكان في تخطيطه أن يواصل دراسته في الخارج وأصرّ على ذلك رغم العروض الوظيفية الحكومية

الأستاذ

مع بداية العام 1971 عاد غازي القصيبي للعمل في الجامعة بعد أن حصل على درجة الدكتوراه من لندن في المملكة المتحدة وأدار بعد عودته بقليل مكتباً للاستشارات القانونية كان يعود لأحد أصدقائه ومن خلال هذه التجربة التي يعترف غازي بأنه لم يوفق فيها تجارياً، يبدو أنه وفق بشأن آخر وهو التعرف على طبيعة المجتمع بشكلٍ أقرب من خلال تعامله مع زبائن المكتب.

في تلك الفترة أيضاً كانت الفرصة قد سنحت للكتابة بشكل نصف شهري في جريدة الرياض مع إعداد برنامج تلفزيوني أسبوعي يتابع المستجدات في العلاقات الدولية وكان لظهوره الإعلامي دور في ترسيخ هذا الاسم في ذاكرة العامة، وفي تلك الأثناء كذلك شارك القصيبي مع مجموعة لجان حكومية كانت بحاجة لمستشارين قانونيين ومفاوضين مؤهلين من ضمنها لجان في وزارة الدفاع والطيران ولجان في وزارة المالية والاقتصاد الوطني وغيرها، في تلك الحقبة من بداية المشوار العملي الحقيقي كان لابد وأن يكون لبزوغ هذا الاسم ثمن وكان كذلك بالفعل إذ انطلقت أقاويل حول عاشق الأضواء وعاشق الظهور ويعلق القصيبي على ذلك بالقول» تعلمت في تلك الأيام ولم أنس قط أنه إذا كان ثمن الفشل باهضاً فللنجاح بدوره ثمنه المرتفع... أعزو السبب لظهور هذه الأقاويل إلى نزعة فطرية في نفوس البشر تنفر من الإنسان المختلف الإنسان الذي لا يتصرف كما يتصرفون.» وبعد أقل من عام كان على الأستاذ الجامعي أن يتحول عميداً لكلية التجارة وهو المنصب الذي رفضه إلا بشرط هو ألا يستمر في المنصب أكثر من عامين غير قابلة للتجديد فكانت الموافقة على شرطه هذا إلى جانب شروط أخرى رحب بها مدير الجامعة، وبدأت تنمو الإصلاحات في الكلية ونظامها وسياستها بشكلٍ مستمر وبنشاط لا يتوقف، حتى عاد أستاذاً جامعياً بعد عامين.

في الوزارة

وفي 1973 كان القرار في الانتقال من الحياة الأكاديمية إلى الخدمة العامة في المؤسسة العامة للسكة الحديدية وكان سبق أن عرض عليه العمل مديراً عاماً للجوازات والجنسية ولكنه رفض أما إدارة مؤسسة السكة الحديدية فأثارت شهية الإداري الذي ولد داخل الأكاديمي على حد وصف القصيبي، وقبل أن يتضح له أنه بدأ شيئاً فشيئاً يتحول إلى وزير تحت التمرين كان قد التقى مرات عدة مع الأمير فهد آنذاك حتى أنه شرح له في إحدى المرات فلسفة المملكة التنموية وكأن ذاك درس للطالب النجيب لينتقل نحو مجلس الوزراء وهذا ما حدث بالفعل في عام 1975 ضمن التشكيل الوزاري الجديد إذ عُيّن وزيراً لوزارة الصناعة والكهرباء ويذكر المواطن من ذلك الجيل أن الكهرباء حينها دخلت كل منزل أو على الأقل غالبية المنازل في السعودية وخلال فترة وجيزة، كذلك كان من أهم إنجازات تلك الفترة نشوء شركة سابك عملاق البتروكيماويات السعودي، وكانت قد ظهرت آنذاك العلامة المميزة لغازي القصيبي وهي الزيارات المفاجئة.

اعتراف

يعترف غازي الوزير أنه لم يكن بوسعه تحقيق ما حققه لولا الحظوة التي نالها لدى القيادة السياسية للبلد وهذه الحظوة لم تكن بالطبع لتأتي من فراغ وتوطدت أكثر أواخر العام 1981 حين تقرر تعيين غازي وزيراً للصحة وهو ما تم بعد تولي الملك فهد مقاليد الحكم عام 1982، ويقول الوزير الجديد حينها في هذا الشأن:«كانت ثقة الملك المطلقة التي عبر عنها شخصياً وفي أكثر من وسيلة ومناسبة هي سلاحي الأول والأخير في معارك وزارة الصحة.» وفي تلك الوزارة كانت التغييرات حثيثة ومتلاحقة نحو الأفضل، ظهر غازي في تلك التغييرات كإنسان أكثر من كونه وزير أو إداري وربما كان لطبيعة العمل الإنساني في وزارة الصحة دور كبير في هذا، كان من الأمثلة على ذلك إنشاء جمعية أصدقاء المرضى، برنامج يقوم على إهداء والدي كل طفل يولد في مستشفيات الوزارة صورة لوليدهم بعد ولادته مباشرة مع قاموس للأسماء العربية هذا فضلاً عن تعزيز عملية التبرع بالدم وبث ثقافتها وتحفيز المواطنين نحوها كذلك ظهرت لمسات روحانية كتعليق آيات من القرآن داخل المستشفيات وتوزيع المصاحف على المرضى المنومين.

ولكن الأكيد أنه ومع كل تلك النجاحات التي ما زالت آثار نتائجها باقية حتى اليوم لم تكن النهاية سعيدة إذ صدر أمر ملكي بإعفاء الوزير القصيبي من وزارة الصحة وكان ذلك في أواسط عام 1984

السفير

وبعد شهر واحد فقط صدر تعيينه سفيراً للمملكة العربية السعودية في مملكة البحرين بناءً على رغبته، وبقي كذلك لثمان سنوات حتى صدر قرار تعيينه بعد استشارته - سفيراً للمملكة العربية السعودية في بريطانيا وظل هناك طوال إحدى عشرة سنة ليعود من السلك الدبلوماسي نحو الوزارة، وزيراً للمياه ثم المياه والكهرباء بعد أن دمجتا في وزارة واحدة لينتقل أخيراً نحو وزارة العمل.

أوسمة

مُنح وسام الكويت ذو الوشاح من الطبقة الممتازة عام 1992 ومُنح وسام الملك عبد العزيز وعدداً من الأوسمة الأخرى من دول عربية وغير عربية، كما لديه اهتمامات اجتماعية مثل عضويته في جمعية الأطفال المعاقين السعودية حيث كان أحد مؤسسيها وكان عضواً فعالاً في مجالس وهيئات حكومية،

وصاحب فكرة تأسيس جمعية الأطفال المعاقين بالمملكة العربية السعودية، كما عمل بلا مُرتب في آخر 30 سنه من حياته حيث تم تحويل مرتباته إلى جمعية الأطفال المعاقين، وذكره معلمه والأديب عبد الله بن محمد الطائي ضمن الشعراء المجددين في كتابة دراسات عن الخليج العربي قائلاً: أخط اسم غازي القصيبي وأشعر أن قلبي يقول ها أنت أمام مدخل مدينة المجددين، وأطلقت عليه عندما أصدر ديوانه أشعار من جزائر اللؤلؤ الدم الجديد، وكان فعلاً دماً جديداً سمعناه يهتف بالشعر في الستينيات، ولم يقف، بل سار مصعداً، يجدد في أسلوب شعره، وألفاظه ومواضيعه. ويعد كتابه حياة في الإدارة أشهر ما نشر له وتناول سيرته الوظيفية وتجربته الإدارية حتى تعيينه سفيراً في لندن، وقد وصل عدد مؤلفاته إلى أكثر من ستين مؤلفاً كما له أشعار متنوعة.

الشاعر والكاتب

إنتاجه الأدبي الأول أشعار من جزائر اللؤلؤ الذي أصدره عام 1960 وصفه بـ «الوثيقة التاريخية الهامة لمرحلة المراهق، وهنا يشار إلى أن تعريف القصيبي للمراهق فلسفيا بأنه نصف طفل ونصف رجل يعاني ما يعانيه الأطفال والرجال، ورغم اعترافه بأنه لم يكن ديوانه ناضجا شعرياً كون قصائده كتبت في سن مبكرة لم يكن يتجاوز حينها ال19 عاما؛ إلا أنه اعترف بأنه كان أصدق دواوينه لوضوحه وبساطته، ولم يتخلص منه أو يتوارى خلفه كغيره.

كان للقصيبي ميول أدبية جادة ترجمها عبر دواوين شعر كثيرة وروايات أكثر وربما يعدّ بسببها أحد أشهر الأدباء في السعودية، ويظل رمزاً أو نموذجاً جيداً لدى الشباب منهم، وكالعادة، فالمبدعين لابد وأن تحاصرهم نظرات الشك وتلقى إليهم تهم لها أول لكنها بلا آخر لا سيما وأن متذوقي الأدب قلة، وابتدأت تلك المشاحنات مع إصداره لديوانه الشعري الثالث معركة بلا راية عام 1970 إذ ساروا في وفود وعلى مدى أسابيع عدة نحو الملك فيصل لمطالبته بمنع الديوان من التداول وتأديب الشاعر فأحال الملك فيصل الديوان لمستشاريه ليطلعوا عليه ويأتوه بالنتيجة، فكان أن رأي المستشارين أنه ديوان شعر عادي لا يختلف عن أي ديوان شعر عربي آخر إلا أن الضجة لم تتوقف حول الديوان واستمرت الوفود بالتقادم للملك فيصل، فما كان منه سوى أن شكل لجنة ضمت وزير العدل ووزير المعارف ووزير الحج والأوقاف لدراسة الديوان أو محاكمته بالأصح وانتهت اللجنة إلى أن ليس في الديوان ما يمس الدين أو الخلق، ولا تمر هذه الحادثة في ذهن القصيبي إلا ويتذكر موقف الملك عبد الله بن عبد العزيز من هذه القضية إذ يقول غازي:«سمعت من أحد المقربين إليه أنه اتخذ خلال الأزمة موقفاً نبيلاً وحث الملك فيصل على عدم الاستجابة إلى مطالب الغاضبين المتشنجة.»

فيما بعد توالت الإصدارات بين دواوين الشعر والروايات والكتب الفكرية ومن دواوينه الشعرية صوت من الخليج والأشج واللون عن الأوراد وأشعار من جزائر اللؤلؤ وسحيم وللشهداء، ومن رواياته شقة الحرية والعصفورية وسبعة وهما وسعادة السفير ودنسكو وسلمى وأبو شلاخ البرمائي وآخر إصداراته الجنية، وفي المجال الفكري له التنمية: الأسئلة الكبرى والغزو الثقافي وأمريكا والسعودية وثورة في السنة النبوية، والكتاب الذي وثق فيه سيرته الإدارية والذي حقق مبيعات عالية حياة في الإدارة وكذلك كتاب الوزير المرافق الذي وثق فيه سيرته كمسؤول في وزارة من خلال بعثات الوفود الرسمية ومرافقته للضيوف الرسميين، أحدثت معظم مؤلفات القصيبي ضجة كبرى حال طبعها.

الروائي

على المستوى الروائي يكاد يُجمع المهتمين بأن روايتي شقة الحرية والعصفورية هما أهم وأفضل وأشهر ما كتب القصيبي، في حين احتفظ ديوان معركة بلا راية بمرتبته المتقدمة بين دواوين الشعر الأخرى، وفي المؤلفات الأخرى يبقى حياة في الإدارة واحداً من الكتب التي حققت انتشاراً كبيراً ، دائماً ما كان القصيبي منذ البدء متواصلاً مع المشهد الثقافي السعودي عبر إصداراته شبه السنوية.

> يعترف غازي الوزير أنه لم يكن بوسعه تحقيق ما حققه لولا الحظوة التي نالها لدى القيادة السياسية للبلد.

> على المستوى الروائي يكاد يُجمع المهتمون بأن روايتي شقة الحرية وأبو شلاخ هما أهم وأفضل وأشهر ما كتب القصيبي

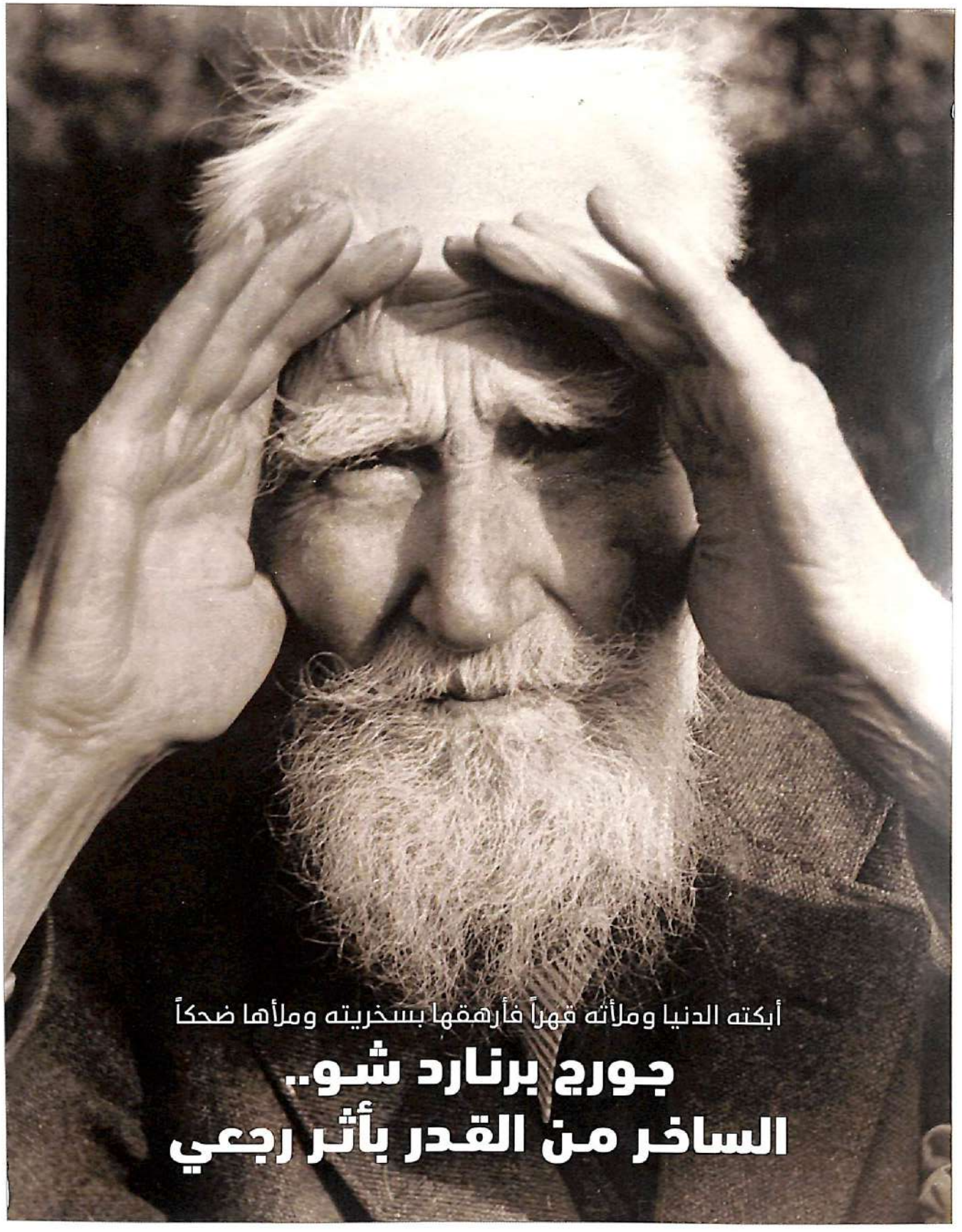

أبكته الدنيا وملأته قهراً فأرهقها بسخريته وملأها ضحكاً

جورج برنارد شو.. الساخر من القدر بأثر رجعي

عبد الله عبدالرحمن

المؤلف الأيرلندي الشهير جورج برناردشو ولد في دبلن يوم 26 يوليو 1856 توفي يوم 2 نوفمبر 1950 لم يكن ثمة معيار يحتكم إليه شو المراهق ابن السادسة عشرة من عمره حين استبد به وأمه الجوع وكانا قاب قوسين أو أدنى من التشرد وهو ينظر اختلال المعادلة الأسرية وغياب الإنصاف فيها؛ فالأم ضحية استبداد الخمرة برأس الأب الذي استحال مدمناً، وهو ضحية القدر الذي وجد نفسه محاطاً بنتاجه حيث أم مستلبة وأب ليس له من الدنيا سوى تلك الكؤوس التي يعبها في جوفه من الخمرة دون أن يعي ما يدور حوله بل حتى لا يعي ما دوره إزاء نفسه.

> برناردشو: نوبل طوق نجاة وصل متاخراً بعد بلوغي الضفة الأخرى

من صدع روحه ذاك طلع برنارد شو لبصيص الضوء الذي يكفل عيشه ووالدته محتفظين بكرامة لا مناص من تمريغها بوحل اللامبالاة التي كان عليها الأب إن لم ينتفضا مسعفين نفسيهما من تشرد محقق يهدد أحلامهما عاصفاً بها إلى ما هو دون ذلك حتى. مع معطيات كهذه لم يجد برنارد شو بداً من التفريط بمقعد الدراسة والتوجه للوظيفة التي تكفيه وأمه شرور الحاجة إلى الناس والتحرر من شبح الفقر والعوز والجوع.

في سن مبكرة انخرط في العمل، غير أن حقيبته المدرسية لم تكن لتفارق أمانيه البعيدة، فانخرط بمدرسة أحلامه ومؤجل أمنياته فقرأ وكتب حتى استرد حقه من دنيا تخطت كل حقوقه وسخر منها بأثر رجعي كأنه يستوفي ديونه عن كل دمعة ذرفها في ليالي عسرها الطويلة. الشاب الذي أدار ظهره للمدرسة مرغماً غدا مدرسة لسواه بتفرده أسلوباً ونضجه مخيالاً. إنه الشاعر والكاتب المسرحي الذي طبقت شهرته الآفاق برنارد شو، الخصوصية المسرحية التي جمعت في كتاباتها مرارة السخرية والضحكات التي يلوح في أفقها أثر الدمع البعيد.

وُلد في دبلن وانتقل إلى لندن حين غدا في العشرينيات من عمره.

بدأ أول نجاحاته في النقد الموسيقي والأدبي، ولكنه سرعان ما انتقل إلى المسرح مؤلفاً فيه أكثر من ستين نصاً مسرحياً.

تحتوي أعماله على قدر من الكوميديا، غير أنها كلها تقريباً تحمل رسائل اتهامات عول برنارد شو على جمهوره في احتضانها، وطوال حياته ظل مخلصاً لفكرة حاول إرساء دعائمها واقتفاء أثرها عبر عديد أعماله ملخصاً إياها بنظرية التطور والوصول إلى السوبرمانية.

يعد أحد أشهر الكتاب المسرحيين في العالم وقد استطاع بأسلوبه الساخر أن يؤسس لمسرح اجتماعي يقوم على مكاشفة الآخر بالأخطاء التي تغزو حياته وتهتك ستر ما احتجب من فعاله، ليكون بذا أشهر كاتب مسرحي اعتمد نقده اللاذع الممزوج بالسخرية المرة أسلوباً انفرد به حتى صار هويته، وهو الوحيد الذي حاز على جائزة نوبل في الأدب للعام 1925 وجائزة الأوسكار لأحسن سيناريو عن سيناريو «بيجماليون» في العام 1934.

حياته

ولد في دبلن بأيرلندا من طبقة متوسطة واضطر لترك المدرسة وهو في الخامسة عشرة من عمره ليعمل موظفاً بسبب وضع أسرته المادي البائس والناجم عن إهمال والده المدمن على تعاطي الكحول، مما شكل لديه ردة فعل بعدم قرب الخمر طوال حياته، كما كان نباتياً لا يقرب اللحم، الأمر الذي كان له أثر في طول عمره وصحته الدائمة. تركت أمه المنزل مغادرة إلى لندن مع ابنتيها ولحق بهم شو سنة 1876. ولم يعد لأيرلندا لما يقرب الثلاثين عاماً.

فقد عاش برنارد شو حياة فقيرة وبائسة

أيام شبابه، وعندما أصبح غنياً لم يكن بحاجة لتلك الجائزة التي تُمنح أحياناً لمن لا يستحقها بحسب رأيه. ولأن حياته كانت في بدايتها نضالاً ضد الفقر، فقد جعل من مكافحة الفقر هدفاً رئيسياً لكل ما يكتب حيث كان يرى أن الفقر مصدر لكل الآثام والشرور كالسرقة والإدمان والانحراف، وأن الفقر معناه الضّعف والجهل والمرض والقمع والنفاق. ويظهر ذلك جلياً في مسرحيته «الرائد باربرا» التي يتناول فيها موضوع الفقر والرأسمالية ونفاق الجمعيات الخيرية.

عندما غادر إلى لندن بدأ يتردد على المتحف البريطاني لتثقيف نفسه الأمر الذي كان له الفضل الكبير في أصالة فكره واستقلاليته. بدأت مسيرته الأدبية في لندن حيث كتب خمس روايات لم تلق نجاحاً كبيراً وهي «عدم النضج» و«العقدة اللاعقلانية» و«مهنة كاشل بايرون» و«الاشتراكي واللا اشتراكي» لكنه اشتُهر فيما بعد كناقد موسيقي في إحدى الصحف. ثم انخرط في العمل السياسي لاحقاً وظل اشتراكي الهوى.

كان برنارد شو معجباً بالشاعر والكاتب المسرحي النرويجي هنريك إبسن الذي يعد من أعظم الكتاب المسرحيين في كل العصور. وكان السبّاق في استخدام المسرح لمعالجة القضايا الاجتماعية. فكان تأثير إبسن واضحاً على شو في بداياته.

وبالرغم من ترك شو المدرسة مبكراً إلا أنه استمر بالقراءة وتعلّم اللاتينية والإغريقية والفرنسية، وكان بذلك كشكسبير الذي غادر المدرسة وهو طفل ليساعد والده ومع ذلك لم يثنه عدم التعلم في المدارس عن اكتساب المعرفة والتعلّم الذاتي. فالمدارس وبحسب رأيه «ليست سوى سجون ومعتقلات». كما أنه كان مؤيداً لحقوق المرأة ومنادياً بالمساواة ومؤكداً وجوب المساواة في الدخل وهكذا ظل وفياً لفكر اختط طريقه ونادى به وكان بذلك صادقاً، وهو ما ظل ملتزماً به في مجمل أعماله؛ فهي لم تكن بمعزل عن نتاج فكره.

جائزة نوبل

كان برنارد شو من أشهر من رفض جائزة نوبل حين قدمت له حيث كان يشعر أنها تأخرت كثيراً ولم تعد لتحتفظ بذات ألقها الذي كان يراها عليه وينتظرها فيه، وقد لخص ما يراه فيها بقوله: «إن هذا طوق نجاة يلقى به إلى رجل وصل فعلاً إلى بر الأمان، ولم يعد عليه من خطر».

أعماله

ظل شو يكتب للمسرح لفترة ست وأربعين سنة، وقد كتب ما يزيد على خمسين مسرحية، وأخرج عدداً كبيراً من هذه المسرحيات أثناء حياته في عواصم بلدان أوروبا وأمريكا وترجم حازم قاسم حسن أعماله كاملة إلى اللغة العربية وصدرت على شكل أجزاء، وصدرت أيضاً كل مسرحية على حدة. ومن أشهر مسرحياته:

مسرحية بيوت الأرامل
مسرحية السلاح والرجل
مسرحية جان اوف ارك
مسرحية الإنسان والسوبر مان
مسرحية كانديدا
مسرحية الرائد باربرا

نصب تذكاري مستوحى من مسرحية جورج برنارد شو سانت جوان، وهو رمز لمسرح شو في شارع أوسولستون، لندن، المملكة المتحدة.

مسرحية بيت القلب الكسير
مسرحية سيدتي الجميلة، وهي المسرحية الأكثر شهرة والتي نال عنها جائزة نوبل.

أقواله

«احذر من العلم الزائف فهو أخطر من الجهل».

«أقسى عقوبة للكاذب لا تكمن في ألا يصدقه أحد، بل في أنه لا يستطيع أن يصدق أحداً».

«عندما يكون الشيء مثيراً للضحك... فابحث جيداً حتى تصل إلى الحقيقة الكامنة وراءه».

«إنني أغفر لنوبل أنه اخترع الديناميت، لكنني لا أغفر له أنه اخترع جائزة نوبل».

«كثيراً ما يلوم الناس ظروفهم لما هم فيه. أنا لا أؤمن بالظروف».

«الناجح في الحياة هو من يسعى للبحث عن الظروف التي يريدها، وإن لم يجدها يصنعها بنفسه».

«كن حذراً من الرجل الذي لا يرد لك الصفعة؛ فهو بذلك لا يسامحك ولن يسمح لك بمسامحة نفسك».

طرائفه

رغم البؤس الذي عاشه والأوجاع التي قاسى في حياته فإن شخصيته اتسمت بالظرافة، حتى إن شخصيات ذات مواقع رسمية متقدمة كانت لتشاكسه كي تستأثر بتعليقاته التي سرعان ما تنتشر بين أوساط الناس لمجرد معرفتهم أنها منقولة عن برنارد شو، والأمر هذا امتد إلى طبقات المجتمع الأرستقراطي التي كانت تتوجه بالدعوة إليه في الكثير من المناسبات. ومن الجدير بالذكر أن طرائفه حفلت بمواقف مع كثير من النساء اللواتي لم يتوانين عن مشاكسة برنارد شو للتمتع بتعليقاته، ولربما لحرصهن على معرفة الناس على أن كل واحدة منهن هي طرف الدعابة «المشاكسة». ونورد بعض ما كان منه وممن كانوا يتعمدون إثارته ومشاكسته.

في مناسبة من المناسبات التي دعي إليها اقتربت منه امرأة رائعة الجمال: «يعتبرك الناس أذكى البشر ويعتبرونني أجمل النساء، لو تزوجنا لجاء أولادنا أجمل الأولاد وأذكاهم.»

ابتسم برنارد شو وقال:
« لكني أخشى يا سيدتي أن يأتي أولادنا على شاكلة أبيهم بالجمال، وعلى شاكلة أمهم بالذكاء، وهنا تكون المصيبة الكبرى.»

قالت سيدة لبرنارد شو:
«لو كنت زوجي لوضعت لك السم في القهوة».
فأجابها برنارد شو:

« عزيزتي، لو كنت زوجتي لشربتها».

يُذكر أن عجوزاً سألت برنارد شو: «كم تقدر عمري؟».
فنظر إليها واستغرق في التفكير، ثم قال: «إذا أخذت في اعتباري أسنانك الناصعة البياض والتي تتلألأ في فمك فسيكون عمرك 18 عاماً، وإذا أخذت في اعتباري لون شعرك الكستنائي فيمكن تقدير عمرك 19 عاماً، أما لو أخذت في اعتباري سلوكك فسيكون عمرك 20 عاماً.
فقالت بعد أن أطربها ما سمعت:
«شكراً على رأيك اللطيف، ولكن قل بصدق: كم تعتقد أني أبلغ من العمر؟
«فأجابها على الفور: «اجمعي كل ما ذكرت تحصلين على عمرك».

كان برنارد شو صديقاً حميماً لونستون تشرشل، رئيس وزراء بريطانيا،
وكان هذا يحب النكتة البارعة فيتحرش ببرنارد شو ليتلقى قوارص كلامه.
قال له تشرشل -وكان ضخم الجثة-:
إن من رآك يا شو يظن أن في إنجلترا مجاعة. - وكان شو نحيل الجسم جداً-
أجابه برنارد شو على الفور:
«ومن يراك يعرف سبب هذه المجاعة».

> أبكته الحياة بقسوتها فأشعل جبهتها ضحكاً بسخريته

> أجاعه والده بسبب إدمانه الكحول فترك مقعد الدرس ليلتحق بالوظيفة

حضر برناردشو حفلة خيرية، وأثناء الاحتفال دعته امرأة للرقص معها فوافق، وهو يراقصها سألها عن عمرها فقالت: خمس وعشرون!

فضحك وقال لها: النساء لا يقلن أعمارهن أبداً، وإن قلنها فهن يقلن نصف العمر فقط.

فقالت غاضبة: أتقصد أنني في الخمسين من عمري يا سيدي؟

فرد عليها: بالضبط.

فصاحت به: إذاً لماذا تراقصني؟

رد عليها بكل هدوء: أنسيتِ أننا في حفلة خيرية سيدتي؟!

«بيجماليون ونوبل»

«بيجماليون» شخصية أسطورية يونانية استعار برنارد شو اسمها ليجعل منه عنواناً لنصه المسرحي الأكثر شهرة. وقدمت على المسرح لأول مرة عام 1913.

تدور أحداث المسرحية حول البروفسور «هنري هيجينز» أستاذ علم الصوتيات الذي يراهن على أنه يستطيع تدريب الفتاة الفقيرة «إيليزا دوليتل» التي تبيع الورود وتتحدث بطريقة سوقية لأداء دور دوقة في حفل يقام في حديقة السفير، وذلك من خلال تعليمها أصول التعامل والحديث ضمن قواعد ومقتضيات الحياة الأرستقراطية. ويرى أن طريقة التحدث بشكل منضبط وسليم هو أهم ما يجب أن تتعلمه في هذه الأصول. تتصدى المسرحية للنظام البريطاني الطبقي في ذاك الوقت هاجية إياه، كما تُسلّط الضوء على استقلالية المرأة.

ولكن ما الذي أفاد منه برنارد شو بمحاكاته الأسطورة اليونانية، خصوصاً وأن الأسطورة تركز على جانب وجداني عاطفي بعيداً عن شكل النظام السياسي آنذاك؛ ففي الأسطورة يغرم النحات «بيجماليون» بإحدى قطعه التي صنعتها يداه، فقد صنع تمثالاً لامرأة أولى كل تفاصيل شكلها وجسدها عناية خاصة كأنه أراد بها أن تكون المرأة التي يحلم ويحب ويتمنى، وكان له ذلك؛ فقد أحب التمثال المرأة وازداد تعلقاً به

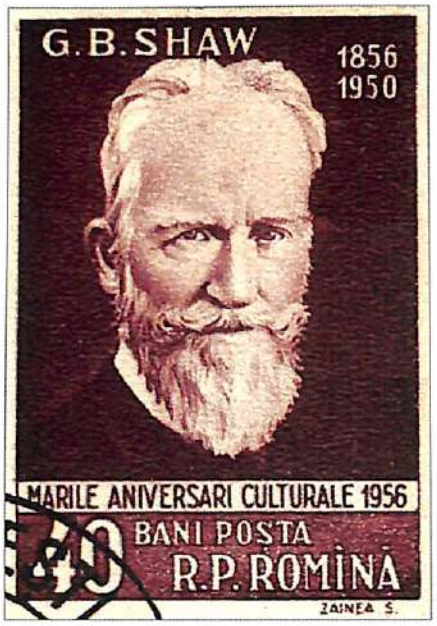

يوماً بعد آخر حتى صار يعامله كما لو كان امرأة حقيقية فيلبسه ويزينه ويرتب مكان جلوسه ويدثره في منامه ويحاوره مفترضاً حياته، حتى غدا شغوفاً به ومن شدة شغفه صار يحلم ببث الروح فيه وصار يتضرع إلى الآلهة أن تمنح الروح لتمثاله الذي ذاب وجداً في عشقه ويتحقق له ما تضرع لأجله ويغدو التمثال امرأة مثلما تمنى. ولكن الأمور تجري على غير ما اشتهى فقد فاته أن معرفته لامرأة أحلامه تخطت حدود جهلها به فهي لا تعرف عنه إلا كونه مثالاً أبدع في صنعها وهذا لا يكفي لإدارة بوصلة مشاعرها باتجاهه، فكان أن وقعت في حب شاب آخر مما جعل بيجماليون طريح عذاباته وحبه الذي استحال نقمة عليه، فيعود أدراج تضرعاته إلى ما يسعف خيبته بأن تعود تلك المرأة تمثالاً فيضمن بذلك مغازلته وإحساسه بالتجاور وإياه طوال حياته.

والمفارقة التي ترتكز عليها فكرة المسرحية الأساسية هي أن بيجماليون وبعد أن تعود حبيبته تمثالاً من جديد يغادر مساحة عشقه السابق لها فيبادر إلى تحطيم التمثال وإعادته حجراً لا ملامح له.

أما برنادشو كاتب المسرحية الذي صاغها في شكل ساخر خالٍ من الرومانسية التي كانت تملأ بيجماليون الإغريقية فيأتي بـ«اليزا» بائعة الزهور السوقية ويُخضعها لتجربة علمية، ليؤكد أنه قادر على تحويلها من فتاة جاهلة إلى سيدة مثقفة وراقية. والأمر هنا ليس مجرد تحول مادي أو طبقي بل هو تحول جذري فكري وسلوكي يسبر في أعماق الإنسان. إذ لم يعد من الممكن بعد أن ارتقت «اليزا» واتسع وعيها أن تفكر بالزواج من طبقتها فتدخل مرحلة صراع جديدة مع أستاذها في محاولة للإيقاع به والزواج منه فهو أستاذها وصانعها.

لكن إليزا الجديدة وبعد رفضه هو لها لأنه ثري مغرور سرعان ما تدرك أنها أصبحت تمتلك سر التحرر، وهو العلم، وأنه يمكنها من خلال علمها أن تعمل وتحقق أيضاً استقلالها الاقتصادي وترتقي من مجرد تمثال جميل إلى إنسان ذي كينونة وحرية، فترفضه هي أيضاً وتتركه.

الفكرة العامة لهذه الأسطورة كانت موضوعاً متداولاً بين كُتاب المسرح في العصر الفيكتوري الإنجليزي.

أشار برنارد شو إلى أن شخصية الأستاذ هنري هيجينز هي مستوحاة من العديد من أساتذة الصوتيات البريطانيين.

كتب شو المسرحية في أوائل عام 1912 وكان الإنتاج الأول لها في نيويورك في 24 مارس 1914 على مسرح إيرفينغ بلاس ،وتم عرضها في لندن لأول مرة في 11 أبريل 1914، على مسرح السير هربرت بيربوهم تري واستمر عرض المسرحية لـ118 عرضاً على خشبة المسرح.

الحبكة الدرامية

كان شو مدركاً للصعوبات التي سيواجهها في تنظيم تمثيل كامل لعمل مسرحي. وقد اعترف في «مذكرة للتقنيين» بأن مثل هذا العمل سيكون ممكناً فقط على شاشة السينما أو على مسارح مُجهّزة بالآلات المُعقّدة للغاية، وقد رشّح بعض المشاهد للحذف إذا لزم الأمر بناء على تصوره عن تعقيدات التنفيذ للأفكار المطروحة فيها على خشبة المسرح.

تأثير الصورة الصحفية

نيفين علي

يعد التصوير الفوتوغرافي أحد أهم الفنون في عالم الصحافة، نظراً لعناصر عدة فنية وإخبارية، أهمها اختصار الخبر وإيجازه في لقطة مصورة، أو الاستغناء عن المادة الخبرية كلية والاكتفاء بالصورة للتعبير عن المحتوى وتقديمه.

ويحفل تاريخ الصحافة العالمية بمئات الصور التي تحولت إلى آثار معروفة وأحالت مصوريها إلى نجوم، كذلك استفادت مؤسسات صحفية عدة من لقطات الكاميرا في رفع مبيعاتها وأسهمها، وطارت بها الركبان بسبب صورة، لعل آخرها وأبرزها حضوراً في الذاكرة -لحداثة عهدها وقربها الزمني- الصورة التي التقطها المصور الصحافي لوكالة أسوشيتيد بريس برهان أوزبيليكي موثقاً لحظة اغتيال السفير الروسي في تركيا أثناء معرض فني، وهي التي حصدت جائزة أفضل صورة صحفية مطلع العام الجاري ، وتم تداول اسم صاحبها في المحافل العالمية، بسبب توقيت الصورة، وتوثيق الحدث، والعناصر الفنية التي اجتمعت صدفة في صورة أُريد لها أن تصبح علامة فارقة، أو لكونها «صورة إخبارية بالغة الصعوبة» كما وصفها مصورها.

تاريخياً، ومن أواخر القرن الماضي تحديداً، ضمن الصور الصحافية ذاع صيت الصورة الأيقونية الشهيرة «فتاة أفغانستان»، للمصور الصحافي الأميركي ستيف ماكوري، وهي صورة لفتاة أفغانية مجهولة الهوية من قبائل البشتون اللاجئة.

من يتقصى الصورة يعرف أنها لفتاة في الـ 12 من عمرها، لاحقاً، عرف العالم أجمع قصتها: شربات التي اضطرت في عام 1984 وبمعية أسرتها التي احتضنتها بعد مقتل والديها إلى الهجرة من وطنها أفغانستان إلى مخيم للاجئين في باكستان، بسبب ظروف الحرب السوفيتية.

بعد سنين، أعلنت مجلة ناشيونال جيوغرافيك هذه الصورة باعتبارها الصورة الأشهر عالمياً، واكتسبت شهرتها هذه بعد أن نشرت في العام 1985 صورة الغلاف على المجلة، إلى جانب استخدامها على نطاق عالمي واسع من قبل منظمات حقوقية وإنسانية تداولتها باعتبارها رمزاً لآثار الحرب المدمرة على الإنسانية.

نقرأ في الصورة ملمحين مهمين من العناصر الضرورية في التصوير الصحفي: العفوية، والتركيب اللوني.

وبرأي شخصي، يمكن القول بأن عظمة هذه الصورة وفرادتها تكمن في التلقائية المطلقة، إذ يؤكد ستيف ماكوري في تفاصيل التقاط اللحظة، أنه لم يكن مستعداً للتصوير، كان برفقة مجموعات من الجنود، يجولون بين مجموعات اللاجئين، وفوجئ بوجه شربات غولا «اسم الفتاة صاحبة الصورة» يظهر أمامه دون مقدمات، أصيب بالدهشة والجمود، وبشكل آلي تناول كاميرته والتقط الصورة التي أصبحت لاحقاً الأشهر.

بذل المصور جهداً كبيراً بعد عدة سنوات للعودة إلى أفغانستان وإيجاد الفتاة صاحبة الصورة، وبعد رحلة معاناة وتتبع، استطاع لقاءها هي وأسرتها، وكم كانت مفاجأته كبيرة أنها لا هي ولا أحد من أسرتها قد شاهد صورتها أو عرف بأمرها، وهي التي أصبحت شغل العالم الشاغل لكنها آخر من يعلم.

المؤكد، أن عنصري المفاجأة والسرعة اللذين مرّا بالمصور لحظة التقاطها لم يتركا له فرصة للتدخل في الجوانب الفنية، بما في ذلك التركيب اللوني، ولم تكن بعد تقنيات معالجة الصور قد تطورت إلى الحد الذي يسمح بالتدخل فيها كما هي الحال الآن، إذ يُنظر إلى اللون في التصوير الصحفي باعتبار أنه العامل الأكثر أهمية، لما يمكن أن يتركه من أثر على المشاعر ومزاج المتلقي، وما يمكن أن يحكيه عن قصة الصورة وظروف التقاطها، وهذا ما أحدثه التباين المرتفع بين درجات اللون الأحمر والبني من جهة، واللون الأخضر الذي توزع بين ملابس الفتاة، والجدار خلفها واللون الأخضر الحاد الطبيعي لعينيها، وهو ما جعل من هذه الصورة مادة مثيرة للاهتمام.

خلقت الحالة اللونية في هذه الصورة تأثيراً أكبر من الإعجاب والدهشة، وهو ما لفت المتلقي على امتداد العالم إلى تفاصيلها، والبحث عن قصة إنسانية مؤثرة وراءها.

شاعر اختصر وقع الأمكنة بالغزل

رسول حمزاتوف.. عاشق داغستان الذي كتب فيها نشيد حبه الوطني

أحمد بديع

في قرية تسادا ضمن مقاطعة خونزاخ في داغستان ولد رسول حمزاتوف في اليوم الثامن من سبتمبر عام 1923 وقد أسماه والده باسم رسول تيمناً بالرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، ووالده الشاعر الداغستاني المعروف حمزة تساداسا. توفي حمزاتوف في الثالث من نوفمبر عام 2003 في موسكو بعد أن قضى معظم حياته في العاصمة الداغستانية، محج قلعة.

الكرة الأرضية

يراها البعض بطيخة صغيرة
يحلو تقطيعها ويطيب أكلها
بينما يراها آخرون
كرة
يمسكون بها، يحتضنونها
ثم يتقاذفونها فيما بينهم
أما أنا
لا تبدو لي الأرض مثل بطيخة
وليست كرة قدم
الكرة الأرضية مثل وجه أحبه
هكذا تبدو لي وجه حبيب
أوقف دمه إذا نزف
وأجفف دمعه إذا انهمر.

«داغستان بلدي»

الكتاب الأشهر بين الكتب التي اقترن ذكرها بأسماء كتابها، فما إن يمر ذكر هذا العنوان حتى سريعاً يجري ذكر اسم رسول حمزاتوف، وكأن قدر داغستان أن يحبها شاعر وينقلها إلى العالم لتطبق شهرتها الآفاق بلا حرب ولا مال ولا إعلام، فقط لأن شاعراً أحبه جمهور الشعر كتب سيرة حبه لها. هكذا غدت داغستان البلد الذي ساح في مخيلة الشعراء كأنه بلد كل منهم فراحوا يغازلون تجربة حمزاتوف كل مع بلده. رسول حمزاتوف الشاعر الذي اختصر وقع الأمكنة بالغزل فيها لذا فإنه امتاز بما ليس لغيره، وذلك أنه عاش مفترضاً نفسه طرفاً في معادلة طرفها الآخر المكان، أي مكان، لذلك قدم شعره عطر الأمكنة وذاكراتها وتجول فيها ليمد نفسه بطاقة نص قادم؛ فالمكان يحث المخيلة الشعرية على التوالد في أنساق صورية تستدعي اختزال اللغة في الوصف وتكثيف تلك الصور في خصوصية شعرية عرفت عنه. وكما أسلفنا فهو له قراءاته المكانية المتخمة بالجمال، وكأنه ينتمي إلى كل الأمكنة التي يكون فيها من باب الانتماء إلى الأرض بكل تفاصيل كرتها التي يحب مفترضاً إياها وجه حبيبته التي يسعى لأن يعبر لها عن حبه كلما سنحت الفرصة لذلك.

وفيما يلي نماذج من قصائده وكتاباته:

«لقد حمل الشعراء مختلف الأوطان والعصور إلى قريتي الجبلية... سماء إسبانيا وتربتها، وأنغام إيطاليا وألوانها، ونذور الهند وصلواتها، وحقيقة فرنسا وجمالها. كم محظوظ أنا فقد حملوا إليّ العالم كله، أنا إنسان الجبال المولود في قرية تسادا النائية، كان بمقدوري سابقاً أن أتحدث عن «داغستان بلدي» يمكنني الآن التكلم عن وطني روسيا وجورجيا، وعن كوكبي الأرضي. إن السخاء ـ الذي لا يحط من مكانة وحرية الشاعر ـ لا يسلبه الخصب والقوة ومن التراث العظيم الذي تسلمته من أجدادي ـ الشعراء النجوم في أرض وطني ـ وورثت ثروة ضخمة آلا وهي: داغستان».

ويستمر في سرد مكتنزات ذاكرته:

«إن محموداً، وباثيراي، وأرجي كازاك، وأتم أمين، وسليمان ستانسكي، ووالدي حمزة تساداسا، ومعلمي افندي كاييف والآخرين، قد خلفوا لي ولجيلي أرض داغستان الرائعة، بألوانها وكلماتها وأصواتها، وشعرها البطولي وقصائد الحب الغنائية منها وحقيقتها وخيالها، هناك قانون لدى الافاريين، ينص على أنه عندما يتكلم الكبار، ينصت الشباب ويصغون، فكيف باستطاعتي، بعد هؤلاء الشعراء العظام أن أكتب عن بلادي؟».

وفي رؤاه المستقبلية كتب حمزاتوف:

«تستوجب العصور الجديدة قصائد جديدة. ويفترض ما استجد من أحداث وعلاقات وأفكار وشعراء جدد لا يتغير فالشعر جوهر وأساس.. والشاعر إنسان يكون وزيراً مطلق الصلاحية يتكلم نيابة عن وطنه أمام العالم».

وأجمل ما ورد في معرض إجاباته العديدة عن سؤال: لماذا داغستان؟ يرد هذا الوصف التلقائي المشحون بالدفء ومتجلي المحبة ومحلق الانتماء:

«من الطبيعي أن يهيمن موضوع داغستان على شعري، إني أتمنى إضافة شيء ما ولو شطراً واحداً فقط إلى الكنز الشعري لوطني، وأرغب أن أمنح كل امرئ هدية من أغاني أمي ومن حجر بيتي، ومن قريتي «تسادا»، حيث ولدت ومن ضفافها وجبالها، ويستطيع كل شخص أن يهب ما يملك وما يعرف.

الشعراء ليسوا طيوراً مهاجرة؛ فالشعر الذي لا يملك أرضاً وتربة، وموقداً وبيتاً، شجرة مقطوعة الجذور، وطير من دون عش».

وعن حياته كتب حمزاتوف:

«إذا سألت شعب الهضاب: «ما أروع شيء على الأرض؟» فسيجيب: «الخطوة الرصينة التي يخطوها الشاب إلى الأمام». وإذا سألته ثانية: «ما أكثر الساعات بهجة؟» فسيجيب: «اللحظات الأولى التي يغني فيها الشاب أغنية جديدة لم يسمع بها أحد من قبل». وبدون هذه الخطوة واللحظات الأولى والأغنية فالأرض محزنة وقاحلة.

ولدت ونشأت في عائلة شاعر، وبدأت أقرض الشعر في سن مبكرة، وما كتبته يبدو لي رقيقاً وسهلاً، وطبعت حالاً أول أشعاري، وكنت فرحاً بشكل لا يوصف وابتهج أصدقائي أيضاً. وكتب الناس عني وامتدحوني. لكن ـ ولا أخفي سراً ـ فمن يكتب لا يملك أصدقاء فقط، بل حساداً أيضاً، وبثوا شائعة مفادها أن الأشعار لم يكتبها رسول بل والده. وصدَّق البعض الشائعة. وواساني أصدقائي قائلين: «إذا اعتقد بعض الناس أن أباك قد كتب لك قصائدك، فيعني ذلك أنك شاعر جيد تماماً، لذا لا تبتئس وابتهج!» وأخبرني آخرون أني أقلد والدي كثيراً وعليّ أن أكتب بطريقة مختلفة وقالوا: «يكفي حمزة واحد في عائلة واحدة وفي كل أفاريا أيضاً. لكنك يا رسول ظلٌ لوالدك وملحق له». وكان هؤلاء بالطبع على حق، ولو أنى صراحة لم أؤيدهم في ذلك عندئذ، وواصلت في كتاباتي استخدام ما كان سائداً على أسلوب والدي ولا حول لي لاتخاذ خطوة واحدة إلى الأمام.

سئلت في ندوة أخيرة في مينسك فيما إذا كنت في السادسة عشرة من عمري

> الشاعر وزير مطلق الصلاحية يتحدث بالنيابة عن وطنه أمام العالم

> ورثت عن أبي وبقية الشعراء ثروة ضخمة اسمها « داغستان »

أحلم في أن أصبح شاعراً. قلت: لم أقدر على امتلاك مثل هذا الحلم، لأني وقتها كنت واثقاً تمامًا بأني شاعر، وبعد فترة من ذلك أخذت تساورني الشكوك في ذلك وازدادت كلما مضى الوقت، كنت معلم مدرسة في السادسة عشرة وكنت أعتقد أن أيام الدراسة قد ولت. واعتبرت أن أقصى إنجاز لي هو إكمالي دورة تدريب المعلمين في أفار. ثم عملت في المسرح والصحف والإذاعة، وكان عليّ في كل مكان أن أنشد بعضاً من قصائدي. وامتدح البعض أشعاري الأولى، وانتقدوا التالية، بينما انتقد الآخرون أشعاري الأولى وامتدحوا التالية، واتفقت مع من امتدح أشعاري الأولى والتالية، واختلفت مع الذين انتقدوها في كلتا الفترتين.

كان هناك شخص واحد، كنت أحلم بالفوز برأيه، وكنت واثقاً بأنه وحده فقط يستطيع تقييمي ووضعي في مكاني الصحيح، ألا وهو أفندي كابييف الكاتب الرائع الذي كان جسراً يربط بين أشعار شعب داغستان وروسيا والعالم. وكان من قومية اللاك وهي مجموعة صغيرة، وكان يعرف ويعشق التراث الثقافي العالمي، ومع ذلك لم ينس أبداً طوال حياته أغاني المهد التي ترجع صداها هضاب وطنه، ولربما ولذلك السبب كان يرتدي زيه الداغستاني في مهرجانات الجبل، وهو عبارة عن سروال طويل فضفاض، وجزمة الجبل التقليدية. وكان يناسبه ذلك تماماً. كان يمثل داغستان بالولادة والرأي. وكان يلبس في الأيام الاعتيادية ملابس أوروبية، ورأيته عدة مرات على هذه الصورة أيضاً، وكانت طلعته تبدو بهية. ثقافياً كان ابناً لعصره، فارساً للشعر الروسي والعالمي إضافة إلى النثر.

ورأيته مرة أخرى يلبس جزمة ومعطفاً عسكرياً كبيراً، كان ذلك في أعوام الحرب المريرة، كان أفندي كابييف ابناً بارًا لوطنه العظيم، جندياً ومقاتلاً من أجل انتصار الشعب السوفييتي، إنساناً متعدد الجوانب.

صادفته مرة مع مجموعة من الكتاب في الشارع، واستوقفني واقترح علي

الذهاب إلى بيت صديق قديم وهو الفنان والموسيقي محمود يونيلا، وأنشد هناك الشعراء قصائدهم بالتناوب وطلب مني أن أنشد شيئاً ما. قرأت قصائد عديدة مترجمة إلى الروسية، ولم يثر أي شيء قرأته استجابة عند كابييف، وسأله أحد الحاضرين: «حسناً، ما رأيك فيها؟».

فأجاب: «ليست رديئة».

وعلق أحدهم: «تبدو أفضل بكثير بالآفارية» وقال أفندي وهو مستغرق في تفكيره: «ربما، لكن هذا زمان يختلف، ونحتاج إلى قصائد مختلفة وشعراء مختلفين. عليك أن تدرس يا رسول، يجب أن تذهب إلى موسكو لكي تدرس».

وبعد أعوام من هذا الحديث، دخلت معهد الأدب في موسكو. وكان يدرس معنا 26 حالماً، وكنا نقرأ الشعر بعضنا على بعض في جادة كفير سكوي، وكانت القصائد على أي حال تافهة، ربما لأنه على نفس الجادة وليس بعيداً عنا، ينتصب تمثال الشاعر بوشكين.

وتحت تأثير مختلف الظروف والشعراء، بدأت أكتب بطريقة مختلفة في موسكو. كنت أريد أن يفهمني الآخرون ويتفقوا معي وينشر لي بأسرع ما يمكن في موسكو. أما ما يتعلق بالقرية الجبلية التي تحدرت منها، فكنت أعتقد أني بطريقة أو بأخرى سأجد لغة مشتركة معها بعدئذ. وإذ كنت أكتب سابقاً تحت تأثير شعراء الجبل، بدأت الآن أكتب تحت تأثير الشعراء الروس.

قصائد من شعره

- إلى: ب، ي
- أحلم بك.. منبهر بك

كلما نقر المطر النافذة
ولبس التل حلة الثلج
وحين يطلع الفجر بلا غيوم تلبد السماء
في الليل وفي النهار
أحلم بك بانبهار
- نجوم
- نجوم الليل، نجوم الليل
تحدق بأشعاري
مثل عيون، مثل عيون
رجال كانوا فيما مضى
والآن
لم يعودوا هنا

***

في هدأة الليل
اسمع وصاياهم
«كن ضميراً يقظا
لأولئك الذين أخذتهم الحرب
بعيدا»

***

إنسان الهضاب أنا،
وفيٌّ لداغستان
من ترى يعلم - أني - ربما
سأكون نجمة يوماً ما

***

- صداقة
- عشت طويلا
وللآن ما زلت تتوارى
تختبئ كعادتك من العواطف في الحياة
ليس بمقدورك تسمية صديق واحد
عندما تمر السنون وتغدو عجوزا
سيلتفت الناس ويقولون
مسكينة هذي الروح
عاشت عمرا
ولم تحيا يوماً واحدا

- على البر أو البحر
- على البر، كما البحر، اسبح
إلى القمة، أو اختر طريقي إلى الأعماق
حيث العبارات السعيدة أو الحزينة
تنبثق مثل الكثير من النفس المضاع.

بهلواني

بهلواني كنت فالود ف زماني
أما هذا اليوم حاير به سجين

مشتقي وصويحبي راح ونساني
ولا عرفت الود عنده اليوم وين

خد له ياضي شرى شمس غرباني
نور ياضي بين شعشاع الجبين

وان قبل يضحك ودايم مرحباني
وان رمس يرمس شرى قول الفطين

ولا عرفت اليوم وش به ما يباني
خوفي مواشي وشا وإلا لعين

بعد هجره القوت ما طاب و هناني
وان غضت لعيون شوفه لي يبين

لو بغيت أسير ماسك لي عناني
ليتني م العمر ميت من سنين

وليت ليّ يرد لو بضعة ثواني
كان له بقول الهجران شين

مشتقي وانظر ف حالي كيف حاني
مثل لي مرضان عوقه ما يبين

وان نكف ودي بقدم له تهاني
وبكتفي ف العمر عايش بالحنين

وان ذكرني ف يوم ورد اللي ويباني
بشوفني فرجواه لو شايب كهين

تم قولي عد ما مد البناني
أو عدد وردٍ و باقة ياسمين

والعذر ف القول و محبّي سباني
ولو بخفّي الود فاضت به العين

وكان ياللي كان واللي كان كاني
وطيب لهل الطيب عند الطيبين

سالم بن سعيد بن عبدالله الياليلي

شاعر إماراتي وعضو في جمعية شعراء الإمارات ،بدأ الكتابة في عام 1985

دعا الجمهور إلى دعم الذئاب

اليماحي: سنصعد مع ماردونا

حاوره: عبدالعزيز بوبر

يجمع بين الخبرة الميدانية والأكاديمية في عمله الإداري، عاشق لقميص الفجيرة منذ نعومة أظفاره، نشأ على حب الرياضة لينضم وهو في الـ 17 من عمره إلى صفوف الذئاب، إنه رئيس مجلس إدارة نادي الفجيرة ناصر اليماحي، الذي أكد أن الاهتمام الإعلامي بنادي الفجيرة بعد صفقة ماردونا كان من ضمن الأهداف الترويجية للنادي بالتزامن مع تغيير الهوية والشعار، جازماً أن المردود الفني يعد الركيزة الأساسية من الصفقة.

وشدد اليماحي على رؤية وأهداف النادي بأن يكون متميزاً محلياً وخارجياً، وأفاد بأن النادي يسعى إلى بناء عناصر شابة تمتاز بالروح الرياضية العالية وبالولاء لقميص النادي والانتماء إليه، فيما رفض اليماحي تقييم فترة عمل إدارة اتحاد كرة القدم حتى يحصل على فترة كافية.

وتالياً نص الحوار:

*** نادي الفجيرة يتعاقد مع ماردونا، ويلفت الأنظار عالمياً. ما أهم الأهداف في هذه الصفقة؟**

- بداية نوجه الشكر لسمو الشيخ مكتوم بن حمد بن محمد الشرقي رئيس نادي الفجيرة على جهوده الكبيرة؛ لأنه هو مهندس هذه الصفقة، الطموح لا شك كبير من وراء هذا التعاقد، ليس فقط في صعود الفريق إلى دوري الخليج العربي بل هنالك أهداف كثيرة منها الترويجية والتسويقية والإعلامية، ماردونا شخصية رياضية شهيرة وجميع وسائل الإعلام العالمية تتابعه بشكل كبير، وقد رأينا جميعنا التغطية المكثفة لوسائل الإعلام لنادي الفجيرة

والفجيرة كإمارة أيضاً، لا شك أن الأنظار ستلتفت الآن إلى نادي الفجيرة، يمكنك الآن أن تبحث في الإنترنت عن نادي الفجيرة لترى بنفسك قدر الاهتمام العالمي بالنادي، ولربما كان آخرها تسليط الضوء على المعسكر في هولندا حيث تناولته جميع الصحف الهولندية وتتبعت مسيرة النادي وحتى تدريباته.

*** كيف تقيمون بداية المدرب مع الفريق؟**

– لمسنا خلال الأسابيع الماضية أن ماردونا استطاع فرض نفسه وإثبات أنه قادم لصنع فريق، ماردونا يعتبر النادي مشروعاً استثمارياً فنياً كبيراً وتحدياً شخصياً له، حيث يرجو إيجاد فريق ينطلق نحو دوري المحترفين وأن يكون له وضعه في هذا الدوري. أعتقد أن الصفقة ناجحة بشكل كبير إلى الآن، وننتظر النجاح الآخر وهو الصعود إلى دوري الخليج العربي وبناء فريق جيد يستطيع المنافسة.

الهدف كان فنياً في المقام الأول، لكن من الصعب أن تأتي بمدرب كبير مثل ماردونا ولا تكسب منه إدارياً وإعلامياً، لقد رسمنا خطة واضحة منذ البداية بإمكاننا الترويج بطريقة أخرى لو أردنا، لكن الأداء الفني هو السبب في صفقة ماردونا وبالتساوق مع ذلك نستفيد من الترويج للرياضة في الإمارة سياحياً واقتصادياً.

*** ذكرتم في المؤتمر الصحفي أن العقد لمدة عام واحد والصعود هدف.**

– العقد لمدة عام قابل للتجديد، إن تحقق الهدف فسنجلس مع المدرب وستكون لنا وجهة نظر، والمدرب مرحب بكل الملاحظات، وكما ذكرت، المدرب لديه مشروع مع النادي وليس مدرباً فقط، منذ اليوم الأول وماردونا يبذل جهداً كبيراً للنجاح وهنالك توجيهات من سمو الشيخ مكتوم بن حمد الشرقي رئيس نادي الفجيرة لتسخير كافة الإمكانات، ونحن كإدارة نوفر التسهيلات لقيامه بمهامه على أكمل وجه. هنالك مساعدان أرجنتينيان للمدرب ماردونا، وطبعاً هما من الكفاءات الجيدة؛ أحدهما كان مساعداً معه في الوصل والآخر مدرب صاحب خبرة في التدريب وفي اللعب أيضاً.

*** إذا ما تطرقنا إلى مسيرتك الرياضية، كيف دخلت إلى عالم الرياضة؟**

– وجدت نفسي في الرياضة وعمري عشر سنوات، وأتذكر حين كنا نذهب إلى نادي الفجيرة مع إخواننا من الشباب، لقد لعبت في البدايات كرة السلة إلى إن وصلت إلى سن ال17 سنة وبعدها لعبت كرة القدم في هذا الاستاد الذي نجلس فيه الآن، لأننا كنا نلعب في السابق في النادي القديم قرب شاطئ البحر، وبعد ذلك التحقت بجامعة الإمارات العربية المتحدة في مدينة العين، ولعبت في نادي العين لمدة 3 سنوات وبعد تخرجي من الجامعة عدت إدارياً في نادي الفجيرة، والحمد لله فقد تدرجت في إدارة نادي الفجيرة من إداري إلى عضو مجلس إدارة إلى نائب الرئيس إلى رئيس مجلس الإدارة الآن، وكلي طموح بأن أخدم النادي

> ثمة أهداف ترويجية وتسويقية وإعلامية من وراء صفقة ماردونا، لكن الهدف الأول فني

> الصعود إلى دوري الخليج العربي وبناء فريق جيد يستطيع المنافسة هي أهداف النادي في المرحلة المقبلة

كما كنت وأنا لاعب.

*** تشير إلى أنك وجدت نفسك في النادي وانسقت تجاهه.**

– لم يكن في تلك الفترة مناشط ولا أماكن ترفيهية سوى النادي، ولم يكن لدينا بعد المدرسة إلا هذا المكان، وكان هذا جيداً حيث إنه أكسبني أشياء كثيرة والتحقت به في أواخر السبعينيات ولعبت أكثر من لعبة، وفي تلك الأوقات كنا جميعاً نلعب معاً والرياضة قربتني كثيراً من الأصدقاء.

*** حدثنا عن فترة الدراسة.**

– درست في جامعة الإمارات وتخرجت في العام 1990 بتخصص الخدمة الاجتماعية والتحقت بالعمل لمدة عام في وكالة أنباء الإمارات في تحرير الأخبار، ثم في الفجيرة في فرع وزارة الإعلام والثقافة حينها محرراً للأخبار، وتدرجت في الوظيفة حتى مدير مكتب المجلس الوطني للإعلام في فترة امتدت لـ18 سنة تشرفت فيها بتغطية القمم الخارجية التي شارك فيها صاحب السمو الشيخ حمد بن محمد الشرقي

عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم إمارة الفجيرة، وكان هذا مساعداً لي في تحرير الأخبار الرسمية ولكسب الكثير من الخبرات في مجال الإدارة الإعلامية.

*** عدت من العين إدارياً وتركت هوايتك لاعباً، لماذا؟**

– لأنني كبرت في السن، أصبح عمري 23 عاماً، ولم أجد أنه من المناسب الاستمرار لاعباً أصبح الأمر صعباً علي وآثرت العودة إدارياً.

*** لكنك لم ترد الخروج من النادي.**

– النادي بيتي الثاني، لقد تربيت فيه وقضيت أوقاتاً كثيرة هنا، موقع النادي هذا كان ملعباً رملياً نلعب فيه أنا وابنا عمي حيث كنا نطلق عليه اسم ملعب «عيال حميد» وقد كان في نفس المكان قبل بناء النادي الجديد، حيث كان يربط بين البيوت والمزارع، الارتباط كان منذ الطفولة ولم يكن من السهولة ترك هذا الرباط القوي بيني وبين المكان والنادي، لم تكن العودة إلى النادي خياراً بل حالة وجدانية؛ كنت عاشقاً لنادي الفجيرة فأحببت أن أعود إليه إداريا بحكم أنني أنتمي إلى الإمارة وتربطني علاقات كبيرة مع مسؤولي ورياضيي وشباب الفجيرة.

*** كيف تقيم مسيرة النادي في المواسم المنصرمة؟**

– النادي مر بمراحل كثيرة منها الصعود والانتعاش والأداء القوي، كذلك على مستوى البنية التحتية تغيرت كثيراً، ليست كأندية أخرى لكن الإشادات كبيرة بالمنشأة، وحين تود بناء فريق فأنت ترسم هدفاً لفترات طويلة، لست بمعرض التقييم لكنني أظن أن الإدارات السابقة لم ترسم أهدافاً لمواسم ما بعد الصعود والبقاء في دوري الخليج العربي، ولربما أعمار اللاعبين لم تكن تسعف الفريق للبقاء خصوصاً أن شبح الهبوط حل بنادي الفجيرة سريعاً وتدارك الوضع كان متأخراً قليلاً، حيث لم نتدارك الوضع للصعود بالفريق سريعاً من دوري الدرجة الأولى إلى المحترفين، ولا يخفى عن الجميع الفرق الكبير بين الدرجتين حتى في طريقة تعامل اللاعبين والإدارة، في دوري المحترفين الجميع يود خدمتك جميع اللاعبين يودون اللعب بطريقة أفضل، أما

إضاءة:

يشغل ناصر محمد اليماحي حالياً منصب رئيس مجلس إدارة نادي الفجيرة الرياضي ومدير إدارة الإعلام والتواصل الجماهيري بالهيئة الوطنية لإدارة الطوارئ والأزمات والكوارث، ويشرف على إدارة وتنظيم سير العمل الإعلامي بالهيئة، وقبل انضمامه شغل منصب مدير مكتب المجلس الوطني للإعلام بالفجيرة، ومحرر أخبار منذ عام 1992.

شارك اليماحي في عدد من المؤتمرات الدولية داخل الدولة وخارجها، منها قمة قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية عام 1992، وقمة الألفية بنيويورك عام 2000، وقمة دول أعضاء منظمة أوبك بفنزويلا عام 2000.

لليماحي اهتمامات خاصة بالتراث من خلال تدوين روزنامة سنوية حول حسابات الدرور، وهي أول روزنامة متخصصة في مثل هذا التراث صدرت عام 2001، ومازالت تصدر كل عام، كما له مشاركات واهتمامات بالعمل الرياضي والتطوعي في مختلف اللجان والبطولات الداخلية والخارجية.

في دوري الدرجة الأولى فيكون اللعب أقل عطاء للاعبين والحماس أقل.

*** كمجلس إدارة جديد كيف تسعون إلى تلافي هذه الإشكاليات؟**

– استقطبنا لاعبين شباباً في الفريق، متوسط أعمار اللاعبين أصبح 22 عاماً وهم يمتلكون حماساً كبيراً ومردوداً جيداً ولعبهم يتطور، وبدأنا في ملء مراكز مثل الوسط والدفاع واستقطبنا عناصر جيدة ستفيد الفريق، عناصر شابة تستطيع اللعب في النادي لمدة 5 أو 6 سنوات، وسيكونون إضافة للمجموعة الموجودة.

*** ما هي القرارات التي تعتقدون أنها مهمة قبل بداية الموسم؟**

أهم قرار أن تختار المدرب المناسب واختيار اللاعبين المناسبين وتبقى مسألة الإعداد والمعسكر وغيره، كذلك تقليص الميزانية السنوية، حيث قلصنا المصروفات وتابعنا الميزانية لتحقيق فاعلية قصوى من الصرف السنوي.

*** ما هي رؤيتكم للنادي؟**

– لدينا رؤية وأهداف للدراسة، رؤيتنا أن يكون النادي متميزاً محلياً وخارجياً، ثم استقطاب لاعبين جيدين بالتزامن مع بناء ودعم المراحل السنية وبناء شخصية للاعبين بحيث تتميز بالحماس والانتماء والرغبة والولاء للنادي وقميصه، كما أن لدينا مشاريع عدة من ضمنها مشروع مدرسة كرة على مستوى عال وأكاديمية حراس على مستوى جيد، كما نخطط لتطوير الكادر الإداري والفني وإكساب اللاعبين المهارات السلوكية والقيادية من خلال الدورات وورش العمل، هذه كلها ضمن الأهداف الاستراتيجية التي وضعت وستنفذ قريباً.

*** كيف تخططون لتعزيز انتماء الجماهير وتكثيف حضورهم لمباريات الذئاب؟**

– أعتقد أن أهم شيء في البداية تعزيز الانتماء للاعبين، وهذا ما سيجعل الجمهور يتوجه إلى المدرجات ثم لاحقاً سنقوم بحملات لتعزيز حضور المباريات ودعم الفريق.

*** ما هي أبرز التغيرات في صفوف الفريق؟**

– ركزنا على لاعبي الوسط لإدراكنا نقاط الضعف لدينا، حاولنا تعزيز المهارات لديهم وطريقة اللعب، المدرب يلعب بالطريقة الأرجنتينية وهي اللعب على الأرض بعكس الكرة العالية التي أثبتت عدم جدواها؛ حيث إنها تحتاج إلى قدرات جسدية عالية، الطريقة الأرجنتينية تحتاج إلى المهارات ما دعانا لتوفير بعض العناصر التي تمتاز بالتكتيك العالي.

*** كيف تصفون المعسكر في هولندا؟**

– هولندا كانت المكان الأفضل للمعسكر، المكان كان جيداً والأرضية ممتازة، لقد كان خيار المدرب، حيث ارتأى أن يكون النادي قريباً من مقر السكن، وخضنا مباريات ودية عدة.

*** كيف سيؤثر تغيير الهوية على النادي بلاعبيه وإدارته؟**

– النادي يلعب في الدرجة الأولى الآن، لكن العمل سيكون عالمياً، وطريقة لعبه ستختلف، نادي الفجيرة حصل على لقب الذئاب من خلال الأداء المتميز في دوري الدرجة الأولى والإشادة كانت كبيرة بتغيير الهوية.

*** بالانتقال إلى اتحاد الكرة الإماراتي، ماذا تنتظرون منه؟**

– نحن ننتظر الأفضل من كل إدارة تصل إلى الاتحاد، فالطموحات كبيرة، وأعتقد أن الوعود كانت ضخمة في وقت الترشيح، لكن هذه الوعود باءت بالخيبة ولم تتحقق، وللأسف لم يصل المنتخب إلى كأس العالم ولم يصل منتخبنا

> الفجيرة ينتظر من اتحاد الكرة تطوير أندية الدرجة الأولى ووضع قرعة مناسبة وأجندة واضحة قبل فترة كافية

> أوجه رسالتي لجميع المنتمين والمحبين لنادي الفجيرة بأن أبواب النادي مشرعة للجميع

الأولمبي إلى الأولمبيات، أما المراحل السنية فلا بصيص أمل في وصولها إلى البطولات، الأندية تشتكي إلى اليوم من عدم الدعم، لا شك أن التغيير يحتاج إلى وقت وأعتقد أن الإخوة في مجلس الإدارة أدركوا السلبيات في السنة الأولى، أرى أن الحكم على الاتحاد يمكن أن يكون منصفاً بعد عام من اليوم؛ لأن اتحاد الكرة لم يحصل على فرصته إلى الآن.

*** هل يمكن أن تعود مرة أخرى إلى اتحاد كرة القدم؟**

– لا أعتقد في الفترة الحالية، والجميع يعلم أن عضويتي في الاتحاد ليس بالأمر السهل، لما أقوم به من مسؤوليات مثل حضور الاجتماعات والمباريات وتدريبات المنتخب ومهام خارج الدولة، لكنني سعيد بكسب علاقات جيدة، إضافة إلى زيادة الخبرة العملية.

*** ماذا ينتظر «الفجيرة» من اتحاد الكرة؟**

– ينتظر تطوير أندية الدرجة الأولى ووضع قرعة مناسبة وأجندة واضحة قبل فترة كافية لترتيب الأوراق، نحن نسمع أن الدوري سيتأخر في الموسم المقبل، ويبدو أن الاتحاد لا يستفيد من الخبرات السابقة، لا أعتقد أن التأخير مبرر، لو كنا نعلم هذا الجدول كنا سنرتب أوراقنا للاستحقاقات القادمة، كذلك ينتظر الفجيرة كغيره من النوادي حماية اللاعبين من إغراءات الأندية الكبيرة وأعتقد أن قانون سقف الرواتب سيحل جزءاً من المشكلة.

*** هل يزعجكم تأسيس لاعب ثم رحيله جاهزاً لنادٍ آخر؟**

– شيء طبيعي، المسألة تعتمد على العرض والطلب، لا يمكنك منع اللاعب من اختيار الأنسب له حيث إن إغراءات الأندية كبيرة، لكننا نحاول دائماً الإبقاء على اللاعبين المهمين.

*** كيف توظف الخبرات السابقة في عملك الحالي؟**

– تراكم الخبرات يجب أن يستفاد منه في النادي، لقد كنا خارج النادي لفترة ونفكر خارج الصندوق وعدنا برؤية أخرى مع الملاحظات التي كنا نضعها، ورصدنا الأخطاء السابقة والاتجاهات الخاطئة وبدأنا في استكمال مشاريع من سبقونا التي بدأوا فيها وسد الثغرات السابقة.

*** هل تتعرضون للانتقاد؟**

– الانتقاد صحي، إن لم تتعرض للانتقاد فأنت لا تعمل، أعتقد أن الشخص الذي ينتج يتعرض للانتقاد خصوصاً في الرياضة، فأنت تواجه محبطات وهزائم كما تحصد الفوز والنجاح، وقد نصادف بعض العقبات لكن ملاحظات المنتقدين ستكون إيجابية لتوجيهنا للصواب.

*** حدثنا عن إدارة الإعلام والتواصل الجماهيري في الهيئة الوطنية لإدارة الطوارئ والأزمات والكوارث حيث تعمل؟**

– الإدارة معنية بوضع الخطط والبرامج وإدارة دفة الإعلام في وقت الطوارئ والأزمات، وحالياً نعمل على المنظومة الإعلامية الإماراتية للتعامل مع الطوارئ والأزمات من خلال وضع الخطط وإدارة الخلية الإعلامية للأزمات الطبيعية أو تلك التي من صنع الإنسان وفق خطط مدروسة وسجل مخاطر لدينا.

*** ما نوع الأزمات التي عملتم عليها سابقاً؟**

– إنفلونزا الخنازير ووباء إيبولا وكورونا، وهي أمراض جاءت من خارج الدولة، وذلك بالتنسيق مع وسائل الإعلام من خلال خطة إعلامية توعوية وتحذيرية لشرح كيفية تجنب الإصابة، وذلك بالتنسيق مع وزارة الصحة، ولكل مرض خطة وقائية واحترازية.

*** إلى من توجه رسالتك في هذا اللقاء؟**

– أوجه رسالتي لجميع المنتمين والمحبين لنادي الفجيرة بأن أبواب النادي مشرعة للجميع ونطلب من الجماهير الدعم لتلبية الطموحات. حاليا نعمل كفريق واحد في نادي الفجيرة بتوجيه سمو الشيخ مكتوم بن حمد الشرقي رئيس نادي الفجيرة، الذي نستقي من توجيهاته دائماً، لا أقول ناصر اليماحي فقط بل خلية نحل تعمل صباح مساء.

أخاف أن يغرق المركب

هنادي العيس

كل يوم أستمع إلى قصص مروعة عن أناس يفرون لأجل النجاة بحياتهم عبر الحدود الخطرة والبحار الهائجة. بالاتفاق مع مهربين ذوي سمعة سيئة يجتمعون بهم للنجاة فوق الشاطئ، يوجد المئات من الناس هناك. فجأة، صار المواطنون لاجئين، والمجتمع الذي رحب بهم هناك أصبح قلقاً منهم! لكن هناك قصة واحدة تؤرقني طوال الليل والحرب التي قادتني لها مازالت مستمرة منذ سبع سنوات.

رحلة عبور من قوارب صغيرة إلى قارب صيد قديم، مئات الأرواح محشورة على متن سطح ضيق، بينهم قرابة المائة طفل. تسمع أصواتهم، سوريون، فلسطينيون، أفارقة، مسلمون ومسيحيون.

عائلات محشورة حد الالتصاق ببعض، القدم بجوار القدم، متعبين، عطشى وجائعين في طقس تلتهمه الشمس صباحًا وفي الليل ينفخ الضباب جواً بارداً موحشاً.

صراخ المهرب يترك أثره على رحلتهم خلف كل سؤال يضمن لهم نجاتهم في هذه المحاولة الأخيرة، صوت المهرب يعلو من جديد: ليأكل السمك لحومكم!

أناس كثر غرقوا، قليلون نجوا وحملوا مع ذاكرتهم أصواتاً حولها الكثير من الجثث.

ذات مرة، بدأوا بالتجمع، صلوا من أجل النجاة في نقطة تخلو من الإشارة لاتجاه آمن. حولهم كانت الأرواح تنتفخ ويتحول لونها للأسود.

يمضي يوم كامل ولا يأتي أحد، يفقد بعض الشباب الأمل، منهم من يقلع سترة النجاة ليعلن استسلامه للغرق، لم يحدث أي تحقيق دولي عن هذه الحوادث.

كان هناك بعض التقارير الإعلامية عن القتل الجماعي في البحر بعنوان «مأساة فظيعة»، لكنه لم يتحول لنتاج آخر غير صفته الإعلامية. أتوقف قليلًا، لأسأل: لماذا يخاطر هؤلاء؟ ملايين ممن سبقوهم يعيشون في المنفى بإهمال! يفرون من بلدانهم التي قامت بها الحرب لسنوات طويلة. حتى إذا أرادوا يوماً العودة، لا يستطيعون.منازلهم، أعمالهم، مدنهم تم تدميرها بالكامل. وقد استمر الناس بالفرار للبلدان المجاورة، ليمنحوا لقباً يجتمعون عليه"لاجئين".مئات الآلاف ممن فروا هاربين من خطر الموت يعيشون اليوم في مخيمات لا تناسب صورتها حتى حقيقة أننا في العام 2017 من القرن 21. تحولت الأيام لشهور، والشهور إلى سنين ولم تعد إقامة اللاجئ مؤقتة. الملايين يعيشون في المدن والبلدان. ومجتمعات البلدان المجاورة التي رحبت بهم مرة بقلوب وأذرع مفتوحة، أرهقت.

ببساطة ليس هناك مدارس كافية،لا أنظمة صرف صحي، بل وحتى البلاد الأوروبية الغنية لن تستطيع التعامل مع مثل هذا التدفق. إنهم يشعرون أن العالم الأغنى ساندهم بالقليل. فلماذا يوجد استثمار قليل في البلدان المجاورة التي تستضيف الكثير من اللاجئين؟ والسؤال الأهم، لماذا هذا القليل من أجل وقف الحروب، الى متى يقود القهر والفقر العديد من الناس لسواحل أوروبا؟

حتى تحل هذه المشاكل، سيظل الناس يقصدون للبحر ليطلبوا اللجوء والأمان. شيء واحد مؤكد، أنه لم تكن لترى لاجئاً على متن تلك القوارب الخطرة لو كان بمقدوره العيش أينما كان. ولن يوجد مهاجر يمكن أن يسلك هذه الرحلة الخطرة لو وجد الأمان والطعام الكافيين لنفسه ولأطفاله. ولن يوجد شخص سيضع كل ما تبقى من ماله في أيدي أولئك المهربين إن كان هناك طَريقة شرعية للهجرة. من يضمن أن لا يكون موتهم هباءً منسيًا؟ هذه ليست أزمة، بل امتحان واجهته الحضارات منذ عقود، امتحان لإنسانيتنا، امتحان لمن هم في العالم العربي لهويتهم ومبادئهم، امتحان لشخصيتهم، ليس فقط لسياساتهم. واللاجئون قضية صعبة. فهم يأتون من أجزاء بعيدة من العالم، مروا بالصدمة ومنهم من هم من ديانة مختلفة. وهذه هي الأسباب التي على الجميع مساعدة اللاجئين من أجلها وليس العكس. في العالم المتحضر، ليس لنا أية حجة. ولا يمكننا أن نقول بأننا لا نعلم بما يجري في بقاع مختلفة من العالم إنها هنا، في هواتفنا الذكية، في أيدينا. الجهل لم يعد حجة على الإطلاق.إن أزمة اللاجئين قابلة للإدارة وإنها ليست بلا حل.

إن الواجب تجاه الغرباء المنفيين عن بلدانهم يقضي أن نتذكر أننا نظائر في الخلق وأن الظروف محتملة فلم يكن ليخطر على بال أحدهم ما آلت اليه حاله اليوم ومبادراتك الإنسانية مهما كانت كبيرة أم صغيرة فإنها تشير إلى إنسانيتك وحبك للخير، إن النظر للآخر بعين الاعتدال يفتح للضوء نافذة ترينا عميق الجذر الإنساني في دواخلنا وهي أقصى ما يحتاجه الآخر وينعش ضمائرنا.

ولادة المشاريع الأدبية في العالم
الافتراضي وتبدّل اشتراطات الإبداع

الكتابة في وجوه أخرى

معتز قطينة

هل يجب على الكاتب أن يمر بكل المراحل التقليدية ليصبح كاتباً؟ هل على الشاعر أن يدرس أعمدة الخليل وينهل من الشعر قديمه وحديثه؟ هل بإمكانه القفز بين مراحل التاريخ العربي، وتجاهل أحدها، وصولاً إلى الأخرى؟ هذا سؤال مشروع، بقدر مشروعية الاختيار الذي تمنحه الكتابة لأصحابها، فمن الذي يملك أن يقول إن على الشاعر كتابة قصيدة عمودية، ثم ينتقل إلى التفعيلة قبل أن يستقر اختياره على قصيدة النثر، أو يختار النص المفتوح أفقاً له؟ يبدو ضرباً من التفاهة احتكار الرؤية تجاه الشعر تحديداً، وهو الذي كان أول ما كان لتوسعة العالم وتمديد آفاقه.

الأقل أهمية فيما يكتب، هو شكله وبناؤه، وربما كان عديم الأهمية. يقول صديقٌ حداثي شكلاً، وشبه حداثي مضموناً: إن في دماغ الشاعر الحديث الذي يكتب العمود بعض الاختلال، فهو يقع على بعد 15 قرناً من الحاضر، فيما يقول آخر كلاسيكي يتمتع بذهنية وخيال يتفوقان على صاحبنا الأول: إنني أتجاوز بالفكرة، والمعنى، وأطرب للموسيقى التي تحملها التفعيلة، لا أثق بشعراء النصوص المفتوحة، ولا كتّاب قصيدة النثر، إلا بمن يعي منهم ما يكتبه، ويدرك خطواته. هل الوعي وحالة الكتابة صارا شرطاً إضافياً للشعر؟!

بين الشكل والإعلام الجديد

المشكلة التي يواجهها الكتاب في زمن الإعلام الجديد والشبكات الاجتماعية هي ادعاؤهم اللامبالاة في زمن لم تعد الصعلكة مجدية فيه، ولم يعد لتجاهل الإعلام الجديد والمحافل الثقافية قيمة تضاف إلى العمل الأدبي، وكانت الكتابة باعتبارها من أكثر الفنون فوقية، ستحظى بالمزيد من الوهج لو أجاد كاتبوها التعامل مع أدوات الإنترنت وشبكاته، وتواجدوا، على الأقل، بصعلكتهم الذهنية التي يصرون عليها، هذا ليس كلاماً عاماً بالطبع، حيث يوجد من استطاع منهم التناغم مع هذه الأدوات بتحقيق نوع من التواصل الجيد مع مستخدميها، ومن المنصف القول أيضاً إن ذلك أحد أهم الأسباب التي تدفع القارئ للبحث عنهم خارج هذا الإطار، ومتابعة ما يُكتب هنا وهناك، وشراء الدواوين والروايات التي توافق دور النشر على طباعتها أحياناً، حتى ولو كان هذا أمراً نادر الحدوث في ظل سيطرة أصناف أخرى من الكتابة، وانزواء الأدب الحقيقي بعيداً عن الصورة.

الإقصاء عماداً للكتابة

إن شغف الإقصاء، والاستئثار بالصوت الواحد، هو ما يدفع الكتاب للخوض في هذا الجدل، ورغبتهم التي لا قيمة لها في الانفراد بالمشهد، ولا شك أنها رغبة تفصح عن ضحالةٍ وسطحيةِ من يعتني بالقشرة، بعيداً عن جوهر الكتابة، وما هو مؤكد أن لا شرط في الكتابة إلا ما تمليه نفسها وما يختلف به أحدهم عن الآخرين.

ربما «يستسهل» أحدهم حرية الشكل، فيكتب دون أن ينتبه لورطة السرد في شعره – هل تعد ورطة بعد ابتكار النصوص المفتوحة؟– لكن الإشكال لا يكمن في الشكل، ولا في الموسيقى، ولا في المعنى حتى، فلم يوجد الشعر مثلاً ليكون متاحاً ومفهوماً، وليس بالضرورة أن يكون عذباً كلما زاد غموضه، ما هو مهم فيما يتلقاه القارئ، أن يحمل عاطفة حارقة، تشي بأن صاحبه ينزف لا يكتب، ويضع قلبه بين الحروف كما يضع الفواصل والنقاط.

شعراء الشكل المختلف

تكمن المفاجأة الحقيقية في ولادة شعراء من طراز مختلف، شعراء الفيسبوك، وتويتر، وبقية شبكات التواصل الاجتماعي الذين يلاحقون خط الزمن بكتاباتهم، وينشرون ومضاتهم أمام عشرات الآلاف من المتابعين، ما جعل العملية عكسية؛ فبدلاً من قدوم الشعراء من الكتب إلى هذه الشبكات أصبحت الكتب تولد منها، وشهدت الساحات الثقافية – أو لنقل ساحات مواقع التواصل الاجتماعي – ولادة العديد من الشعراء برعاية الإنترنت، هذا ليس سيئاً على كل حال، بغض النظر عمن يقولون إن هؤلاء الشعراء وُلدوا بنَفَس قصير لا

> كانت الكتابة باعتبارها من أكثر الفنون فوقية، ستحظى بالمزيد من الوهج لو أجاد كاتبوها التعامل مع أدوات الإنترنت وشبكاته

يتجاوز 140 حرفاً، فالفن لا يقاس بالكم، بل بمقدار ما يخلّفه من أثر، حتى إن تفاوتت جودة ما يقدم، فالزمن كفيل بالإبقاء على أصحاب المشاريع الجادة، وحذف الرديء منها، إلا أن هؤلاء المبدعات والمبدعين الجدد لايزال بعضهم يتحرك باتجاه واحد، يرسل نصوصه، وينتظر حصد الإعجاب، والتصفيق، والمزيد من المتابعين، لا يتفاعل ولا يرد إلا على من يعرفهم، ويغرق في مجاملة المنحازين لما يكتب، كما لو أن التفاعل لم يخلق إلا لذلك، فيظهر الشعراء كما لو أنهم يتحركون في أرض واحدة دائماً وإن اختلفت طينتها، فهم ممتلئون بذواتهم، غارقون في عوالمهم الفردية، وقد تكون هذه الحالة أحد أسرار الشعر التي لا تتحقق عظمته إلا من خلالها.

وأشكال جديدة أيضاً..

الذي اعتقد أن الكتابة لن تأخذ شكلاً جديداً، وأن أفق الإبداع بات ضيقاً، إنما كان يتحدث عن أفقه الشخصي الذي لم يتجاوز الكتب التي قرأها، أو المقاهي التي كان يطلق تنظيراته وهو يدخن فيها ويظن أنه يدير العالم من موضعه ذاك.

طلعت علينا الشبكات الاجتماعية من حيث لا ندري، فغيّرت حياتنا التي لم تعد تقبل نمطاً واحداً، ونقلت لنا الكثير من الأحداث، وعرّفتنا بما لا نعرفه، وبمن لم نكن نتصور وجودهم على هذا الكوكب الذي فوجئنا بصغره، نحن محمولون على شاشة جوال، ولوح لم نجد اسماً عربياً له بعد، مرتبطون بالأرقام والروابط الإلكترونية، وباختياراتنا التي نحبها، وبالمبدعين الذين صار بإمكاننا انتقاؤهم بدلاً عما كان يفرضه الإعلام التقليدي على ذائقتنا.

من هنا تطلّ أسماء بمعرّفات لا نعرف اسمها الكامل، ولا نعرف إن كان هذا اسمها الحقيقي أو مظلة إلكترونية تستخدمها لتكتب في مساحتها الخاصة ما هو ساخر ومؤلم، وما تمتلك القدرة على اصطياده من التفاصيل اليومية، التي نعيشها ولا نلقي لها بالاً، بعكسها هي – تلك الأسماء – القادرة على إحالتها إلى نكتة، أو موقف جاد، أو ربما لقطة خالية إلا من معنى محدد لا يدركه إلا قلةٌ ممن يتابعونها في مواقع التواصل الاجتماعي.

ما يمكن معرفته بمراجعة عميقة نسبياً لهذه الحسابات، أن كثيراً منها يتكئ على نصيب وافر من المعرفة وفهم كبير للغة، وحس ساخر عالٍ يندر أن نجده عند مسطّحي الفكر ومحدودي الموارد، إضافة إلى لغة جديدة تولّدت داخل المجتمعات الإلكترونية، صارت أقرب إلى الاختصار، وأكثر كثافة وغنى بالمفردات المتداولة، وإن أدى هذا إلى انكماش القاموس اللغوي الأدبي، إلا أنه يحمل من الفتنة والجمال كثيراً مما يمكن إنفاق الوقت لأجله.

السخرية حاضرة وفق الظروف

تسخر بعض الكتابات من القوالب النمطية، والمتعارف عليه من المسلمات التي أوصلها لنا التراث العربي، وتنتقد بطريقتها الانحدار الذي ابتليت به الثقافة العربية، تتداول مواقع التواصل نصوصاً لاذعة أحياناً تحاكي فيها قصائد النثر وتسخر من اللغة المعقدة والإفراط في الغموض الذي يمارسه بعض الكتاب، فخلقوا بذلك حاجزاً كبيراً بين أطروحاتهم وما يفترض أنه إبداعهم، وبين أن يصل هذا المنتج -العصيّ على الفهم- إلى القارئ، الذي لا يجد وقتاً لتفنيد مغزى الكاتب، بل تصب اهتماماته البسيطة على يومياته، واحتياجاته الآنية، وهو ما يجعلنا نطرح سؤالاً جاداً حول قيمة الكتابة عبر هذه المواقع: هل بإمكان هذه الأعمال أن تصبح مشاريع جادة؟ هل يكفي جمع ما يُدوّن في كتاب لكي تصبح مشروعاً أدبياً يستحق الدراسة والتوقف عنده؟ تبقى المسألة نسبية من وجهة النظر هذه، ومحدودة بما يمكن أن توفر النصوص نفسها لقارئيها.

نظرة إلى ما كان مشروعاً

عشر سنوات كافية بلا شك للعودة إلى ظهور الملامح الأولى لما يمكن تصنيفه مشروعاً أبدياً، ونستحضر هنا عدداً من الروايات تحديداً، التي صاحبتها ضجة عالية لم تكن مستحقة بسبب قيمتها الفنية، وربما لا يتاح لها ما أتيح لغيرها من أعمال، وقد لا تتكرر تلك الدعاية التي وجدت في حينها لأي منتج أدبي عربي لاحق، وهو قدر من الضجة تجاوز موطن الكتاب الصغار في حينها ليصل إلى مناطق عدة في العالم العربي، والعالم الذي استقبل بعض الأعمال بلغات أجنبية.

بكل أسف، لم تتلق هذه الأعمال الاهتمام بسبب مواهب مؤلفيها، أو لغتها السلسة والمعاصرة، ثمة مؤلّفات اختصرها بعض النقاد في عناوين جريئة كسرت التابوهات (المحظور) في حينها، وأحالها إلى أعمال «خارجة» عن المألوف، ونسب إلى العناوين وحدها الانتشار، وبقدر ما كُتب عن تلك الأعمال، وبقدر ما وُجّه لها من مديح مستحق ومبالغ فيه، أو هجوم مفرط ومحاولات للنيل من سمعة أصحابها، وربما تعدى ذلك إلى محاولات إسقاط بعض الكتاب (والكاتبات تحديداً) أخلاقياً واجتماعياً، ورغم كل ما حدث، إلا أن أغلب الكتب الصادرة لمؤلفين شباب في الفترة بين عامي 2000-2010 لم تحصد قراءة منصفة وعادلة يمكن الاستناد إليها في تأريخ المرحلة أدبياً، وهو ما يقود أيضاً إلى التساؤل عن أسباب عدم استمرار أغلب مؤلفي تلك الفترة، باستثناء أسماء محدودة في العالم العربي، تغلّبت موهبتها على الوقت والظروف التي واجهتها، فأثمرت أعمالاً حقيقية.

حفلات الإطراء والشتم والتاريخ

نتذكر الإطراء المبالغ فيه من بعض من يعتبرون أنفسهم عرّابي النقد، ونتذكّر الشتامين الذين صدمتهم جرأةُ الأعمال في نقل صورة يعرفها الجميع عن المجتمعات العربية، لكنها لم تُعرض في أعمال أدبية، ونذكر أيضاً من فضلوا الصمت لاختلال موقفهم أمام كتب دخيلة على ذائقة ما قبل الإنترنت، وُصِم كل مَن مالَ معها بالانحلال، واعتبر جباناً من عارضه، لكننا سنجد صعوبة في استحضار قراءة أو مقالة نظرت لتلك الأعمال باعتبارها منتجاً إبداعياً خارج سياق ظرفه الزمني، أو الحالة الاجتماعية التي تمخّض عنها، التي سيقول البعض إن تلك الأعمال ما كان لتكتب هذا الصخب لولا الظروف التاريخية والتقنية التي أتاحت لها الظهور تحت الضوء.

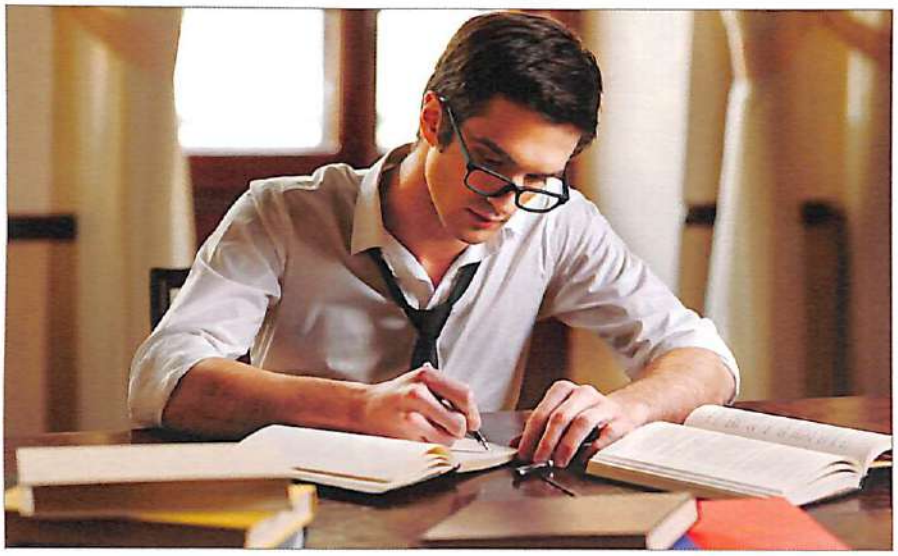

ما يمكن معرفته، أن التاريخ سيحفظ لأسماء معدودة لم يعد أحد يتذكرها السباق الوثاب لتعليق الجرس، وتهشيم الأبواب التي لم يقترب منها أحد، وأنها أزاحت الصخرة فانفجرت محاولات تقليدها، والمباراة فيمن سيكشف أكثر، وكثير منهم يتجاهلون أن الأعمال الجيدة لا تكتب بهدف الفضيحة، ولم تهدف إلى استعداء تيارات لم يرُقها ما كُتب، كما أنهم لم يدركوا أن تلك الأعمال وإن طمعت في تحقيق نجاح ما، فإن هذه القفزة الضخمة جاءت مفاجئة لأصحابها قبل القارئ، وفوق كل التوقعات التي رسمها الطرفان.

وللتاريخ أيضاً، فإن أكثر الذين يكتبون الآن، وحملوا أوراقهم وأصواتهم أمام العالم مدينون بالفضل للتقنية، ومواقع التواصل الاجتماعي تحديداً، ولهذه الشبكات الافتراضية الفضل في تحفيز من كانوا يخافون النشر والأضواء، ولها السبق في دفع الناس للصدق، ومواجهة واقعهم كما هو، ولعلنا ونحن نشاهد الآن حجم النقد الذاتي الذي يمارسه الناس في الشبكات الاجتماعية، ندرك كم كانت بسيطة ومربكة المحاولات الأولى للخروج من فضاء الإنترنت إلى عالم النشر والكتابة، ومواجهة التجربة الفعلية في الإبداع الأدبي، لكن أحداً قبلها لم يكن يفكر في الإقدام على هذه المواجهة.

> أغلب الكتب الصادرة لمؤلفين شباب في الفترة بين عامي 2000-2010 لم تحصد قراءة منصفة وعادلة يمكن الاستناد إليها في تأريخ المرحلة أدبياً

مولانا

MAWLANA

الرواية العربية وقضايا التطرف الديني

د. عبد المالك أشهبون- أكاديمي وناقد من المغرب

من الواضح أن تناول القضايا الدينية في الأعمال الأدبية عموماً مغامرة محفوفة بالمخاطر؛ لأن دخول الروائي هذا المعترك، يصطدم، منذ البداية، بذهنية عقدية متكلسة، ترسّخت جذورها في الوطن العربي على مدى قرون خلت. هذه الذهنية العقدية الجامدة أفرزت مع مرور الزمن حرّاساً وقيّمين وأوصياء على كل ما هو مقدس وروحي في حياتنا، بحيث لا يتردد هؤلاء من وسم معارضيهم، في الذهنية المتكلسة إياها، بشتى أنواع النعوت والصفات التي تحيد عن مبدأ الحوار المثمر، لتصل، أحياناً، إلى تكفيرهم، ومنها إلى الإقتاء بهدر دمهم. ولنا شواهد لا تعدُّ ولا تحصى، من الماضي والحاضر، على الجرائم التي ارتكبت في حق الفلاسفة والأدباء التنويريين باسم حماية الدين من أعدائه الافتراضيين.

من هنا لم يكن من بدٍّ لدى روائيين جريئين، سوى اقتحام عش الدبابير هذا، والكشف عن أسرار التابو المسكوت عنه في هذه الذهنية المتعصبة دينياً، والمتزمتة طائفياً، واتخاذ موقف صارم تجاه هذا الداء الذي يتفشى في جسم الوطن العربي، مهدداً كيان الأمة من المحيط إلى الخليج.

وبالعودة إلى إرهاصات حضور ظاهرة التطرف الديني في الرواية العربية، يتذكر قراء رواية «السكرية» لنجيب محفوظ، لحظات اعتقال حفيدي الشخصية المشهورة في الثلاثية: أحمد عبد الجواد، وهما: عبد المنعم إبراهيم شوكت الذي يعمل محققاً بإدارة التحقيقات بوزارة المعارف، والمتهم بالانتماء إلى جماعة الإخوان المسلمين، في حين كانت تهمة أخيه أحمد إبراهيم شوكت هي الانتماء إلى جماعة يسارية متطرفة (شيوعي).

ففي حوار طريف دار بين الأخوين في المعتقل، تنهد عبد المنعم، وقد جافاه النوم، قائلاً لأخيه أحمد: «أيزج بي إلى هذا المكان لا لسبب إلا أنني أعبد الله؟!

فهمس أحمد في أذنه باسماً:

- وما ذنبي أنا الذي لا أعبده؟ » (نجيب محفوظ «المؤلفات الكاملة»، مكتبة لبنان، (ب. ت)، ص:966).

ولكن حضور ظاهرة التطرف الديني اجتماعياً في العقدين الأخيرين، جعلها تحضر لدى بعض الروائيين الذين كانوا يدمجونها في مجموعة من الأحداث والوقائع بشكل جزئي، غير أن تصاعد حدة أعمال الإرهاب، الذي بلغ ذروته في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، جعلها تصبح الموضوع الرئيس لدى العديد من الروائيين العرب.

ويمكن التمثيل لنظير تلك الروايات التي جعلت التطرف الديني محور حديثها من بداية الرواية حتى نهايتها، نذكر - على سبيل التمثيل لا الحصر - بعض هذه الأعمال الروائية على النحو التالي:

- رواية «الزلزال» للجزائري الطاهر وطار (1974).
- رواية «قسمة الغرماء» للمصري يوسف القعيد (2004).
- رواية «إرهابي 20» للسعودي عبد الله ثابت (2006).
- رواية «الطريق إلى 15 ماي» للمغربي الحسين أشهبون (2006).
- رواية «عزازيل» للمصري يوسف زيدان (2008).
- رواية «اليهودي الحالي» لليمني علي المقري (2009).
- رواية «سوق الإرهاب» للأردني محمد عبد الله القواسمة (2010).
- رواية «جنود الله» للسوري فواز حداد (2010).

رواية «الخديعة» للمغربي سعيد بنسعيد العلوي (2011).

- رواية «مولانا» للصحفي المصري إبراهيم عيسى (2012).
- رواية «يا مريم» للعراقي سنان

> بالعودة إلى إرهاصات حضور ظاهرة التطرف الديني في الرواية العربية، يتذكر قراء رواية «السكرية» لنجيب محفوظ، لحظات اعتقال حفيدي الشخصية المشهورة في الثلاثية

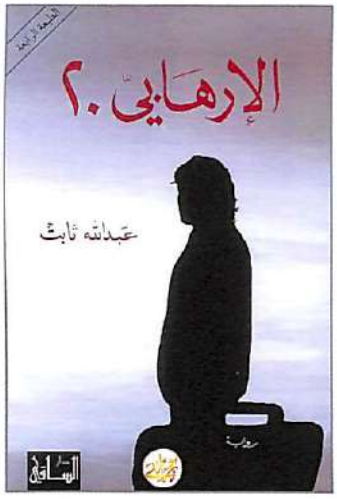

> يشدد الروائي على أن جوهر التطرف والتشدد في المجتمع يعود إلى عناصر التنشئة الاجتماعية أساساً، بدءاً من طبيعة التربية الأسرية

أنطون (2012).

- رواية «السلفي» للمصري عمار على حسن (2014).

- رواية «شوق الدرويش» للسوداني حمّور زيادة (2014).

فلا يحتاج قارئ مثل هذه الروايات إلى فائض الحساسية كي يلتقط أبخرة التعصب الديني المنبعثة بكثافة من شخصياتها. وهنا يحق لنا أن نتساءل:

- كيف تقدم هذه الروايات شخصية المتطرف الديني بصورة عامة؟

تتعدد صورة شخصية المتطرف الديني وتتنوع في هذه الروايات، تبعاً لرؤية الروائي وزاوية نظره إلى الظاهرة، لكنها عموماً ظلت تدور في فلك المواصفات التالية:

- اتخاذها موقفاً متشدداً ضد الآخر الذي يختلف معها في الدين من جهة، وتجاه أتباع الدين الواحد من جهة أخرى، حيث تصل تلك المواقف إلى حد القطيعة.

- خروجها عن القيم والمعايير والعادات الشائعة في المجتمع، لتتبنى قيماً ومعايير مخالفة لها في الشكل والمضمون.

- أحياناً تبدو الشخصية الروائية عادية جداً من حيث سلوكها، إلى أن تتعرض لحادث ما يغير مجرى حياتها، فيظهر الجانب المعتم من شخصيتها المأزومة.

- شخصيات يمكن الحكم عليها بأنها تنطوي على نزعة العنف الذي يبلغ حدّ القتل... أو إلى القتل الجماعي، وهو طريقة للتعويض عن إحساسها بعدم الوجود، عبر قتل كل الذين يعبرون عن وجهة نظر مخالفة.

هكذا غاص الروائيون في عمق تجربة المتطرف الديني، باحثين عن العوامل الأساسية التي أنجبته. ومن خلال قراءتنا لرواية «الإرهابي 20» للروائي السعودي عبد الله ثابت، سندلف غمار هذا الموضوع الذي ظل يهيمن على الرواية، بداية من عنوانها «الإرهابي 20»، وصورة الغلاف التي تجسد شخصية رجل يحمل حقيبة سوداء، والإهداء (إلى أرواح العاتبين... تعبنا من العتمة.. اصفحوا عنا، ربما يعود الصباح...)، إضافة إلى التصدير القصير

(كتب هذا العمل بين 1999 - 2005... هذا كتاب اجتهدت ألا أصنفه. قصدت منه أن تعرفوا زاهي الجبالي، هذا الذي كان احتمالاً أكيداً لتمام الـ19 قاتلاً في سبتمبر أمريكا، فهو الإرهابي الـ20...).

فكل هذه العتبات المصاحبة للنص الروائي وغيرها، تثير جملة من القضايا المجتمعية الحساسة، التي لا تنفصل عن مضامين أعمال سردية أخرى في الرواية العربية المعاصرة، ويتعلق الأمر بظاهرة التطرف الديني الذي استشرى كالداء العضال في جسم أمتنا العربية من المحيط إلى الخليج، بحيث أصبح الآخر (الغرب) لا يرى في ظاهرة الإرهاب والتطرف والتشدد سوى ذلك الرجل العربي الملتحي القادم من الصحراء، وليس في ذهنه سوى شيء واحد، هو الجنس إذا ما فجر نفسه، ثم ذهب مسرعاً في حضن إحدى الحوريات في الجنة الموعودة.

- فما هي أبرز العوامل التي تغذي ظاهرة التطرف الديني في عالمنا العربي عموماً، وفي العربية السعودية على وجه الخصوص، كما هي مبثوثة في رواية «الإرهابي 20» للروائي عبد الله ثابت؟

يشدد الروائي على أن جوهر التطرف والتشدد في المجتمع العسيري الجنوبي بالعربية السعودية يعود إلى عناصر التنشئة الاجتماعية أساساً، بدءاً من طبيعة التربية الأسرية التي تلقاها سامي الجبالي (بطل الرواية)، مروراً بمواصفات المحيط الخارجي التي تحبل بشتى التصورات الدينية والمجتمعية المغلقة، وثالثة الأثافي دور الجمعيات التي تعبئ المنتمين إليها بكل أصناف التفكير المتعصب الذي يكفر الدولة والمجتمع والغرب بكل قيمه الإنسانية، وصولاً إلى المدرسة التي يعتبرها الروائي من أهم مزارع التطرف الديني في المجتمع، وحصان طروادة التي من خلالها يتسلل التفكير الديني المتشدد إلى وعي الصغار وينمو ويترعرع معهم. لكن مرحلة التعليم الجامعي، ستشكل المنعطف الحاسم، وبدايات الفكاك من هذا الفكر المتشدد.

لكن أول مرة يستيقظ فيها ضمير زاهي الجبالي، ويشعر بالذنب تجاه ما فعله، حينما كان مرافقاً لأفراد الشرطة الدينية، يجالسهم ويساعدهم في تنفيذ مهامهم - بدون صفة مهنية تخوله الحق في ذلك - هو الشطط والغلو في استعمال السلطة، والقوة والإذلال تحت شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... [1]. هكذا باتت تسكنه فكرة مراجعة الذات بقوة، بعد أن رأى وتعرف وكان شاهداً على العديد من المغالطات والتناقضات التي تدخل في صميم عمل الجماعة التي كان ينتمي إليها.

سنوات الجامعة: بدايات التحول

يلعب الفضاء في الرواية دوراً هاماً في تنشئة الفرد وفق هذا التصور الحياتي أو ذاك، فإذا كان فضاء المدرسة قد كرس لدى زاهي الجبالي تصورات التشدد والتطرف والأحادية الضيقة؛ فإن فضاء الجامعة - بما هو فضاء جامع للرؤى والتصورات والأفكار وأنماط العيش المختلفة والمتباينة - احتضن كل مواهبه وميولاته وطموحاته التي طمست بحكم الوصاية الظالمة التي مورست عليه وهو في أحضان المدرسة.

ففي الجامعة، انفتحت ذهنية زاهي الجبالي على حب الشعر، بل بدا مدافعاً عن هذا الفن أمام كل من كان يرغب في طمس حبه للشعر وولعه به، والذي كان الاقتراب من عوالمه - في ذروة الهذيان الجمعي للجماعة - غواية توقع صاحبها في الخطيئة.

تعددت قراءات ومطالعات زاهي الجبالي في هذه الفترة، فأصبح لا يخفي تأثره بمفكرين وأدباء وصحفيين قرأ لهم بحذر في البداية، ومع مر الأيام أصبح مديناً لهم، بمفهوم المثقف العضوي المنخرط في صراعات عصره للدفاع عن مصالح المحرومين من حقوقهم الإنسانية.

من هنا كانت الرحلة الشاقة لإعادة التفكير في تلك التصورات الدينية المتشددة، والوعي بخطورتها وعياً صحيحاً، من أجل إعادة تقييم مسارات الذات. وذلك من منطلق جوهري مفاده أن إعادة تقييم الذات بين الفينة والأخرى، يحمي المؤمن من أين يقع ثانية في أحضان التطرف الديني، ذلك أن أفضل سبيل لامتلاك الوعي الصحيح، ينطلق أولاً من النظرة الناقدة التي نوجهها إلى أنفسنا.

من هنا بدأ زاهي الجبالي مغامرة إعادة قراءة مسارات الذات من منظور أكثر رحابة، تعددت فيها زوايا نظره إلى معتقداته السابقة. هي، إذاً، لحظة اكتشاف لملكات إدراكه، من أجل تحرير طاقة الذهن، وتشغيل الفكر والعقل والإحساس والشعور.

فمما لا شك فيه، أن الدراسة في الجامعة كان لها الأثر القوي في ما سيحدث من تغييرات في حياة زاهي الجبالي، لا سيما وأنه كان يتعمد أن يجاهر بتلك التغيرات في حياته الشخصية أمام أنظار الجماعة التي كانت تراقب ما يقع له من تغيرات عن كثب.

لم يكن يخجله، أن يراه أتباع الجماعة بقصة شعره ولحيته الخفيفة وثيابه الجديدة، أو حتى بملابس رياضية، بل «يحدث أن نلتقي مصادفة بسياراتنا فأرفع صوت الموسيقى ما أمكنني ليسمعوه، ومرات كثيرة جاءني بعضهم يناصحني، ويذكرني بسابق الدين والعهد فأسمعه حتى ينتهي، ثم أطلب إليه ألا يتدخل بعد هذا في ما لا يعنيه!»[2].

كل هذه المعطيات الجديدة، ستفعل فعلها في تحريض زاهي الجبالي على

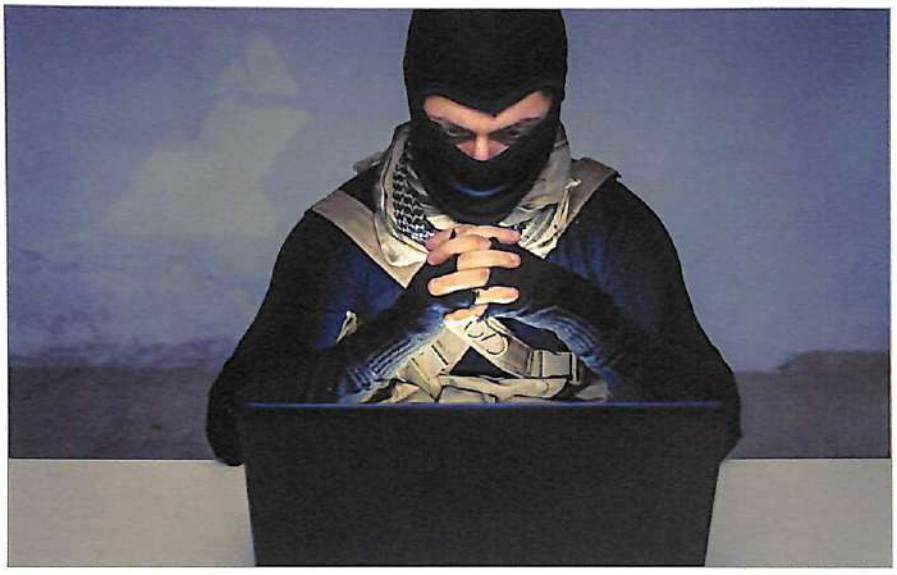

تهشيم الأصنام الكثيرة في حياته، مع الأخذ بعين الاعتبار ما سيقال عنه من أعضاء الجماعة، بأنه أصبح قريباً من الحداثيين أو العلمانيين أو الملاحدة.

ففي الوقت الذي كان يروم فيه أن يكون واحداً من الجماعة، لكن بفكر مختلف وبوجهة نظر لا تتماشى بالضرورة مع مفهوم القطيع، كان ينفصل بالتدريج عن فكر الجماعة الذي لا يرتضي غير الاتباع سنة في الحياة، وأسلوباً في التفكير، من هنا جاءت ردود فعل الجماعة قوية تجاهه.

ردود فعل أعضاء الجماعة

من المعروف أن من ينشق عن الجماعة ويشق عصا الطاعة يصبح عدواً لدوداً أكثر من الذي يشهر إلحاده أو علمانيته. فهو يغدو خطراً على الجماعة؛ لأنه مالك أسرارها، وحافظ سياساتها، فهو السيف الذي ارتد على خاصرة الجماعة، يستنزفها كل مرة.

- فما هي مواصفات ردود فعل أعضاء الجماعة من طبيعة التغيرات الجديدة الحاصلة في رؤية زاهي الجبالي للعالم؟

في البداية، أرسلت الجماعة إلى والده رسالة، بعد أن لم تنفع كل محاولات ثنيه عن السير في نهج الاعتدال الذي كان من نتائجه تفوقه في دراسته، يتهمونه فيها بأنه انحرف

> غاص الروائيون في عمق تجربة المتطرف الديني، باحثين عن العوامل الأساسية التي أنجبته

بفعل المخدرات، وأنه متورط في الشهوات والغرائز، وأن له علاقات جنسية شاذة.

لم يتركوا تهمة يمكن أن تسقط ابناً من عين أبيه إلا وكتبوها في رسالتهم، آخذين بعين الاعتبار أن «أبي لا يجيد إغلاق أذنيه، فبلغت الأمور عنده أنه كان يعيرني بتغيري ويشتمني، ومرة طردني من البيت، ومرة قصم قلبي حين أيقظني لصلاة الفجر فتأخرت قليلاً، ليهجم علي ويضربني ضرباً عنيفاً، ويلعنني ويحلف بالله إنه يكرهني، وإنه لا يأذن لي بالبقاء في بيته بعد اليوم»[3].

لم يزدد موقف زاهي الجبالي إلا رسوخاً برؤيته الجديدة للعالم، رغم كل ما حصل ويحصل، وحينما خاب أملهم في الوشاية إياها لأبيه، كانت آخر ردات فعلهم أن جاءه منهم أربعة أشخاص إلى بيته، يزعمون أنهم يريدون التحاور معه، فرحب زاهي بالفكرة، حيث طلبوا منه أن يكون الحوار في مكان خارج البيت، ولم يعتقد أنهم يدبرون في حقه مؤامرة خسيسة.

ما إن وصلوا إلى مكان خارج المدينة اختاروه، حتى تغير أسلوبهم معه: «نزلوا من السيارة ليشدني أحدهم من ثيابي، ثم تحلقوا عليَّ أربعتهم، ليقولوا لي إنهم لا يفعلون هذا إلا لأنهم ما زالوا يحبونني، وإنهم لن يضربوني الآن إلا ليخرسوا لسان الشيطان الضخم الذي في داخلي، فربما توقظني من شهواتي وضلالي ضرباتهم، فسألتهم فوراً:

- وهل هذا هو الحوار الذي دعوتموني إليه.

- لو حاورناك بالكلمات فإن شيطانك سيلهمك من الكلام ما يتعذر علينا أن نقنعك بأن ما أنت عليه سينتهي بك إلى أن تنكر الله ودينه ولنا!»[4].

بعد الحادثة، غدت الجماعة بالنسبة لزاهي غولاً مخيفاً في تخلفه، تلك الجماعة التي تربى في كنفها، وكان في خضمها لا يتردد في اتهام غيره بالإلحاد، ها هو اليوم يجد من يتهمه بذات الصفة التي بمستطاع أي مخادع منافق أو جاهل بليد، أو متعصب حقود، أن يرفع هذا السيف المصلت فوق رقاب الناس، ويذل به عقولهم، ويخرس لسانهم، ويطمس ذكاءهم.

صراع داخلي حقيقي موّارٌ عاشه زاهي الجبالي، في وقت من الأوقات العصيبة، أو في مرحلة شديدة البؤس، يتضافر فيها العجز العام للسلطة في مواجهة أخطبوط الجماعة، مع العجز الشخصي في محاولة زاهي الجبالي إقناع شيوخه، بضرورة تعديل وجهات نظرهم لكثير من أمور الدين والدنيا.

خرج زاهي الجبالي من هذا الصراع، بدرس مفيد وجوهري: الثابت في ما يقع هو أن الجهل يُعْدي، والجاهل في الحوار حجته ضعيفة؛ لأنه غير مدرب على إدارة الاختلاف بين الناس في وجهات نظرهم، كما أن الجاهل المتدين يفتقر إلى موهبة عرض التصورات والآراء بطريقة إقناعية، من هنا يسعى إلى فرض رؤيته بطريقة الفرض والإجبار.

هكذا حملت السنتان الأولى والثانية من الجامعة هذا الانفكاك النهائي من قبضة شيوخ الجماعة، وإن تكن النفس ما زالت داخل الدائرة. لقد كان انفكاكاً صعباً ومؤلماً، لكنه باتجاه الحياة والجمال والموسيقى والأصدقاء.

وها هو زاهي الجبالي، يتخلص من عبء الجماعة بكثير من الاطمئنان الداخلي قائلاً: «انتهيت منهم، وصرت إنساناً جديداً عليه أن يعتني بدراسته، وأن يتمتع بالحياة، وأن يعلم أن الله لا يجعل بينه وبين أحد أنشطة ولا جماعة، وليس بحاجة إلى الشيوخ ليربطونا به، وأننا لسنا بحاجة إلى أي من هذا لنصل إلى الله ونعبده بالطريقة التي نخمن أنه يحبها. اقتنعت أن استعداء الأهل والمجتمع والدولة، والعمل على تقويض كيانها، وأن تكفير الناس لم ولن يكون مما يريده الله أبداً»[5].

لن ينسى زاهي الجبالي يومها وهو جالس في مكتبته، وكان التلفزيون مثبتاً على قناة الجزيرة الإخبارية، فجأة خرج المذيع ليقول: إن أمريكا تتعرض لهجوم بالطائرات على برج التجارة العالمي والثانية تصدم البرج الآخر، وثالثة تضرب البنتاغون...الخ.

وبعد وقت، ظهر شريط لابن لادن يعترف بفعلته، ويصف تفاصيل مخططه بكثير من الزهو والتمجيد والتكبير. وفي الشريط ذاته، تأتي بعض اللقطات لتدريبات هؤلاء الصغار، وأناشيدهم الحماسية، وجلساتهم على الأرض والخطب والصيحات التي يتداولونها فيما بينهم. هذه المشاهد بعينها، هي التي كان زاهي الجبالي يعيش أجواءها في المخيمات أيام كان مع جماعة الأنشطة!

كم كان مذهولاً أمام ما يشاهده، وأن التسعة عشر، الذين فجعوا العالم في هذا اليوم من سبتمبر، «كان من المفترض أن أكون عشرينهم، لو أني بقيت معهم،

واستجبت لأولئك الذين كانوا يريدون أن يقنعوني بالرحيل إلى أفغانستان» [6].

من أهم الخلاصات التي توصل إليها زاهي الجبالي ـ بعد خوضه لتلك التجربة المريرة في أحضان الجماعة المتشددة ـ، هي أن الدين ليس جلباباً نرثه، ولا عبادة نلغي بها ذواتنا، وأنه لا يمنع المتدين أن يكون عقله محدوداً، ولا يسأل ويبحث، بحيث لا يلغي ذاته.

من خلال هذه الرؤية الرحبة، لا يكتسب الإنسان إنسانيته إلا بالعقل، وأنه جاء ليكون مستقلاً، وأنه ما دام رهينة لأحد بعقله أو حياته أو جسده؛ فإنه لن يكون إنساناً كاملاً. أما مرجعيات هذه الاستقلالية، فتتمثل في ضرورة تبني الإنسان قيم التنوير والإصلاح والتسامح، ليصل في النهاية إلى الإيمان بقيم الإنسانية التي تستوي فيها لحظته النهائية بلحظته الأولى، ليكون إنساناً فحسب، إنساناً مستقل العقل والجسد والحياة.

هكذا تنهار الأفكار الجامدة وتتناثر بفعل احتداد المواقف، واستعار نار الجدل، وطرح الأسئلة الشائكة. أما الآن فصار كل شيء منفتحاً، متعدداً، متنوعاً. وصار زاهي الجبالي يحب عائلته الإنسانية، التي لم يكن بحاجة لينتمي لشيء آخر سواها.

نخلص في النهاية إلى أن أهم العوامل التي ساهمت في تطرف تلك الشخصية: سيرته الذاتية (التاريخ الشخصي)، شبكة علاقاته الاجتماعية، أصوله الثقافية والعائلية والدينية، ومجمل الحرمان والكبت المتراكم في نفسه منذ الطفولة... دون التغافل عن دور الظروف الذاتية والموضوعية التي تصنع متلازمة الظلام المستمر في وطننا العربي، الذي تترابط فيه عوامل القهر والعجز والاستبداد، وتلك لعمري وجوه مناقضة ودافعة للتطرّف والإرهاب.

خاتمة

تلكم هي أهم المحاور التي تتضمنها رواية «الإرهابي 20» التي حاولت ملامسة جوهر التطرف الديني في مجتمعنا العربي، من منظور سردي، يتقاطع فيها الروائي بالسير ذاتي، الحقيقي والمتخيل؛ من أجل إبراز سيرة شخصية روائية عاشت تجربة التطرف من داخل الجماعة، واستطاعت ـ بفعل مجموعة من الأسباب ـ خلع عباءة التدين الشكلي، بعد صراع مرير مع سدنة المعبد، وصل البطل في النهاية إلى محطة أخيرة في رؤيته للعالم، وهي محطة الانتصار للإنسان، والإنسانية خارج إكراهات التدين الشكلي والأحكام المسبقة، وهي العملة التي باتت الأكثر رواجاً في عالمنا العربي.

في النهاية، نقول: إن تصاعد أعمال العنف باسم الدين في الوطن العربي دفع الروائي العربي إلى الاحتجاج عليه، والكتابة ضده، وذلك على نحو غدت معه الكتابة الروائية عن التطرف الديني ملمحاً بارزاً من ملامح وجودها المعاصر، سواء أكان بالتناول الجزئي للظاهرة أم باعتبارها الموضوع الرئيس في الرواية. وحسبي ما ذكرته سابقاً من عناوين روائية، اختص أصحابها في تناول ظاهرة التطرف الديني من بداية الرواية حتى النهاية.

> يلعب الفضاء في الرواية دوراً هاماً في تنشئة الفرد وفق هذا التصور الحياتي

مراجع الدراسة

1 ـ من مصادفات الأقدار، أن زاهي الجبالي نفسه، سيصبح، فيما بعد، هدفاً لاعتداء أفراد الشرطة الدينية، بينما كان يتحدث إلى صديقته في مكان عام، ووصل الأمر حد اعتقاله وسجنه والتنكيل به باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستبدل هذا الشعار لدى زاهي الجبالي بالنصح والتبيين في تصحيح مفاهيم المحتسبين.

2 ـ عبد الله ثابت: «الإرهابي 20»، دار الساقي بيروت ـ لندن، ط:5، 2012، ص:140.

3 ـ المرجع نفسه، ص:141.

4 ـ المرجع نفسه، ص:141.

5 ـ المرجع نفسه، ص:144.

6 ـ المرجع نفسه، ص:157.

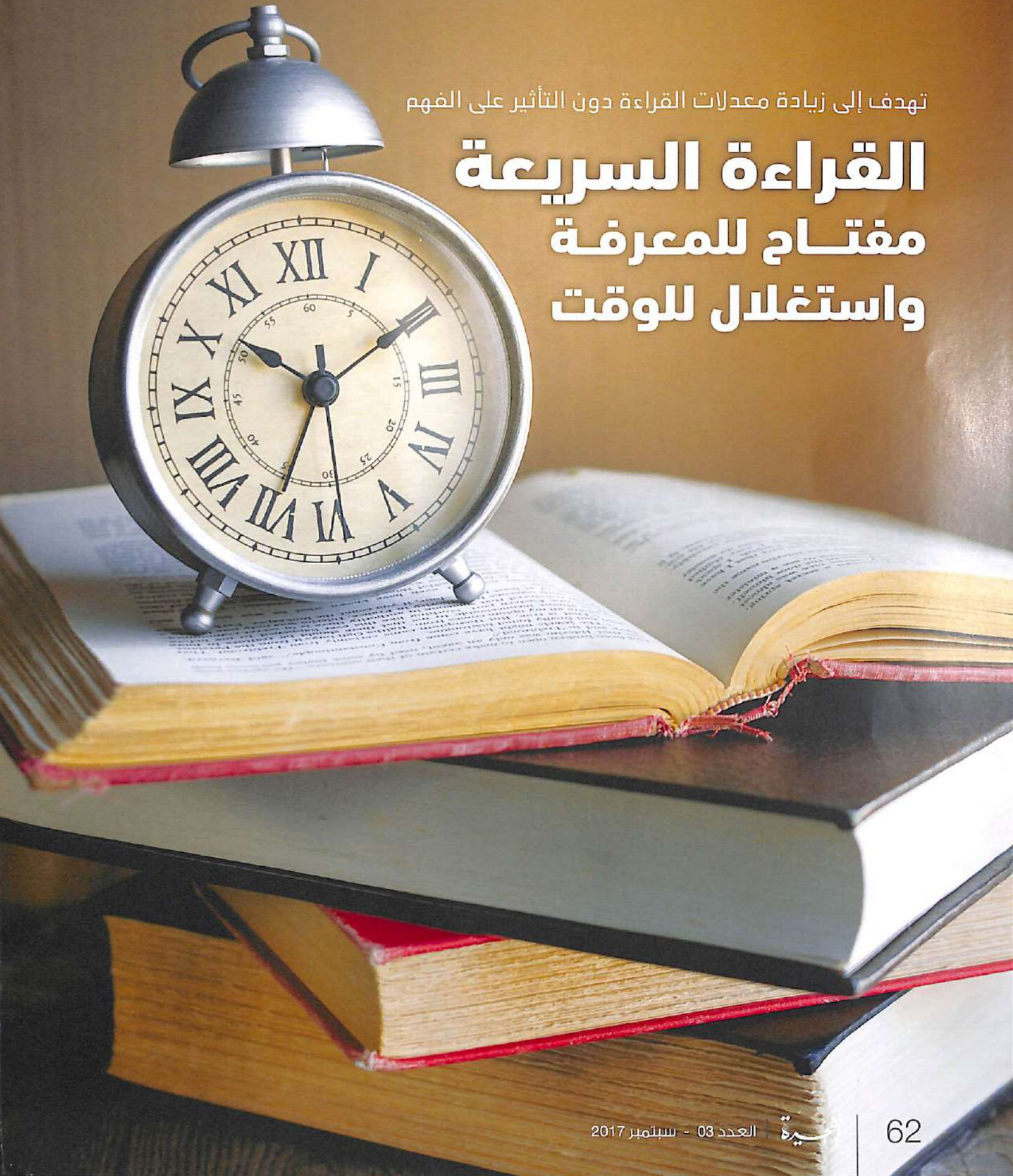

تهدف إلى زيادة معدلات القراءة دون التأثير على الفهم

القراءة السريعة
مفتـــاح للمعرفـة واستغلال للوقت

إبراهيم أحمد

القراءة السريعة عبارة عن مجموعة من الأساليب التي تهدف إلى زيادة معدلات سرعة القراءة دون التأثير بشكل كبير على الفهم أو الحفظ، هذه الطرق تشمل طرقاً لاستخدام الذاكرة والقضاء على القراءة الصامتة. بالرغم من أن العين الواحدة تكون مثبتة على كل كلمة وفراغ أثناء عملية القراءة، إلا أن سرعة القراءة تصبح ممكنة عند التقليل من مدة وقفات العين وثباتها، لا يوجد تعريف مطلق للقراءة «العادية» و«القراءة السريعة» من الناحية العملية، حيث إن جميع القراء يستخدمون بعض التقنيات المستخدمة في القراءة السريعة مثل فهم الكلمات دون التركيز على كل حرف، عدم قراءة كل كلمة بصوت، تحريك الشفتين دون إصدار صوت عند قراءة بعض العبارات، قضاء وقت أقل على بعض العبارات أو المرور السريع على بعض المقاطع.

تتميز القراءة السريعة عند تحليلها بأفضليتها في التدبير مع سرعة الفهم، ومعرفة أنواع القراءة المختلفة يدعو إلى الإلمام باختلاف السرعات ومعدلات الفهم، وهذه المعدلات يمكن تطويرها مع كثرة الممارسة. وهنالك العديد من البرامج المتاحة للتدريب على القراءة السريعة منها الكتب، أشرطة الفيديو، والبرامج، أو الحلقات الدراسية.

تاريخ

قام علماء النفس والمتخصصون بالتعليم والعاملون على حدة البصر باستخدام المنظار الومضي ليتوصلوا لنتيجة مفادها أنه مع التدريب يمكن للشخص العادي تحديد صور متناهية الصغر تومض على الشاشة خلال خمسمائة جزء من الثانية فقط 2 مللي ثانية. وعلى الرغم من أن الصور المستخدمة كانت عن الطائرات، إلا أن لهذه النتائج أثراً على القراءة. تم اختراع جهاز محمول وملائم ويمكن الوثوق بنتائجه لزيادة سرعة القراءة في أواخر الخمسينيات من القرن السابق. وكانت الباحثة إيلين وود التي توصلت لهذا الاختراع تعمل معلمة، وكانت مصرة على فهم سبب تمكن بعض الأشخاص من القراءة بسرعة أكبر من غيرهم، وكانت تحاول جاهدة أن تزيد من سرعة قراءتها، وقيل إنه بينما كانت تقلب صفحات الكتاب بيأس اكتشفت أن حركة يدها عبر الصفحة تجذب اهتمامها وتساعدها على التنقل بسلاسة عبر الصفحة. ثم استخدمت يدها كمحدد للسرعة، وقامت وود بتعليم هذه الطريقة في جامعة يوتاه قبل أن تنشرها للعامة وتسميتها بـ«القراءة الحيوية لايفيلين وود» في واشنطن في عام 1959.

طرق القراءة السريعة

تبدأ أساسيات القراءة السريعة باختيار المكان المناسب للقراءة، والأخذ بعين الاعتبار الوضعية المريحة في الجلوس لجعل القراءة أكثر متعة، ومن المهم أيضاً أن تسمح له وضعية الجلوس بالتنفس الجيد. الإضاءة الجيدة، والنظر السليم، والقدرة على التركيز في القراءة تعد من العوامل الأخرى التي تزيد من معدل الاستيعاب عند القراءة.

التصفح السريع

التصفح السريع هي عملية تقتضي البحث بصرياً في النصوص لمعرفة الفكرة العامة التي يتحدث عنها النص. قد يأتي هذا الأمر بشكل تلقائي عند بعض الناس، وقد يتطلب من البعض الآخر الممارسة. يلاحظ ممارسة التصفح السريع عند البالغين أكثر من الأطفال، ويجري ذلك بمعدل أعلى بنحو 700 كلمة في الدقيقة وأكثر من القراءة العادية للاستيعاب بنحو 200-230 كلمة لكل دقيقة، والتي تتسبب ببطء في معدل الاستيعاب، خصوصاً مع الكتب ذات المواد الغنية بالمعلومات. ومن أشكال عملية التصفح السريع الشائعة هي القراءة عند استخدام الشبكة العنكبوتية وتكون بتجاهل النصوص والفقرات الأقل إثارة للاهتمام أو الأقل اتصالاً بالموضوع. هذه الطريقة في القراءة ليست بالأمر الجديد لكنها في ازدياد بسبب سهولة الوصول إلى المعلومة عبر الإنترنت فبعض الجمل تحتوي معلومات ثانوية وقد تكون غير مطلوبة أو غير مهمة.

التوجيه العلوي

التوجيه العلوي هو التوجيه البصري للعين

> التوجيه العلوي هو التوجيه البصري للعين باستخدام الإصبع أو المؤشر

> سرعة القراءة تصبح ممكنة عند التقليل من مدة وقفات العين وثباتها

باستخدام الإصبع أو المؤشر – كقلم مثلاً–، لأجل جعل العين تتحرك بشكل أسرع طول النص. هذه المهارة تنطوي على رسم أشكال غير مرئية حول النص من أجل توسيع مدى البصر لأجل قراءة سريعة، على سبيل المثال: طلب من أحد الحضور لندوة القراءة السريعة استخدام إصبعه أو قلم ليصنع هذه الأشكال في صفحة ما، وقيل له إن هذا سيزيد من سرعة القشرة البصرية، وبالتالي زيادة مدى البصر في قراءة السطر كاملاً، حتى تخزن المعلومات في العقل الباطن واسترجاعها في وقت لاحق. ويقال إنه يحد من القراءة بالصوت الداخلي، وبذلك تسرع من عملية القراءة، وذلك يحث العين على استعراض النص بسرعة ولكن يحد من سرعة الاستيعاب والتذكر مما يؤدي إلى فقدان التفاصيل المهمة في النص. التركيز على قراءة كل كلمة –ولو لفترة وجيزة– مطلوبة في هذه الطريقة لتكون فعالة.

برامج القراءة السريعة التجارية

برامج سرعة القراءة متاحة من خلال الدورات الشخصية والبرامج الإلكترونية والكتيبات. في حين أن متوسط معدل سرعة القراءة لدى الكبار هو 250 كلمة في الدقيقة مع استيعاب قد يصل إلى 70٪ فإن برامج سرعة القراءة عادة تحسن سرعة القراء إلى 500 كلمة في الدقيقة أو أكثر.

الفرق بين الدورات المختلفة لتحسين سرعة القراءة هو الاهتمام بالقراءة الصامتة قراءة صامتة قبل النطق. بعض الدورات تقول إن العقبة الرئيسية أمام سرعة القراءة هي القراءة الصامتة. على الرغم من أن غياب القراءة الصامتة قد لا يحسن سرعة القراءة ولكن وجودها قد يعيق سرعة القراءة بشكل كبير. هذه البيانات صحيحة إجمالاً، لأنه ليس هناك أي دليل على أن عدم استخدام القراءة الصامتة يمكن أن يحسن القراءة تلقائياً أو أن تتغير سرعة القراءة إطلاقاً. دورات أخرى تقول إنه يمكن استخدام القراءة الصامتة للكلمات الرئيسة من أجل سرعة التعلم والقراءة. دورات سرعة القراءة والكتب تتخذ مجموعة متنوعة من المناهج لمفهوم القراءة والفهم.

بعض الدورات والكتب تقول إن الفهم الجيد ضروري للقراءة السريعة، الفهم الذي من شأنه أن يتحسن مع سرعة القراءة. وتقدم أيضاً استبيانات غير موحدة عن القراءة والفهم من أجل إقناع القارئ بآثار البرنامج. بعض الدورات تقول إنه في حين أن الفهم مهم إلا أنه لا ينبغي أن تقاس عليه القراءة السريعة.

العديد من دورات سرعة القراءة تقول إنه ليس كل المعلومات في النص يجب أن تفهم خلال القراءة السريعة. يدعي البعض أن سرعة القراءة تعتمد على تخطي بعض من النص تماماً كما تم قياسها خلال دراسات الاستنتاج، في حين أن المروجين الآخرين لدورات سرعة القراءة يدعون بأن النص متسلسل ومرتبط، ولكن مع البعض أو معظم القراء أصبح التسلسل شعورياً. وبالمثل، فإن هنالك بعض الدورات المطالبة لمعالجة النص المتسلسل في حين يقول آخرون: تتم معالجة هذه المعلومات بطريقة أكثر عشوائية أو كل على حدة.

ديناميكية القراءة

نظام القراءة السريعة الذي قام بتدريسه إيفلين وود الإنجليزية كوسيلة لتذكر المعلومة من خلال قراءة آلاف الكلمات في وقت قصير، وبما أنها قراءة سريعة فيجب عليك تحريك الأصبع مع الكلمة المقروءة حتى لا تفقدها بنظرك. وكغيرها من أساليب القراءة السريعة فلا يستحسن التفكير بمعاني الكلمات كمفردات، لأن ذلك سيأخذ وقتاً أطول، وبدلاً من ذلك حاول

التفكير بمعنى الجملة ككل واقرأ بصوت عال لأن هذا سيوفر الكثير من الوقت في فهم المعنى.

القراءة التصويرية

تم ترويجها في مجال الإعلان من قبل منظمة استراتيجيات التعليم حيث كتب: «من الممكن قراءة 25000 كلمة في الصورة في دقيقة واحدة « ولكن شكك الكثيرون في قدرة العقل البشري على استيعاب هذا الكم الهائل من المعلومات. وتعتبر رؤية الإنسان الإنجليزية محدودة لهذا الغرض، أي للتركيز على شيء معين دون تشتيت الانتباه على ما يظهر في باقي المنظر المرئي له. يقال إن هذا النظام من القراءة تم تطويره من قبل «بول شيل» المؤسس المساعد لاستراتيجيات التعلم. هناك شركة تدعى «سبليمينال داينامك» ادعت أن «سكيل» أخذ حلقات دراسية ذات صلة بهذه الدراسة أثناء عملهما معاً عليها، والتي أشار إليها «سكيل» في الطبعة الأولى من كتابه في الصفحة الرابعة من الفصل الأول، وبناء على ما قاله «سكيل» فإن القراءة التصويرية تختلف في أنظمتها فيما لا يقل عن ثلاث طرق:

– إن الجوهر يكمن في قدرة الدماغ على تحليل البيانات، لا على ما هو مرئي للعين.

فتتحدث عن البرمجة اللغوية العصبية للدماغ المتحكمة في تخزين البيانات وكيفية تنشيطها وتذكرها.

– أن التطور الدماغي في أساليب التعلم كان حجر الأساس في تصميم وتنفيذ هذا البرنامج بما فيه تصميم الكتاب.

- قامت وكالة الفضاء الأمريكية ناسا بدراسة كان عنوانها «تحليل أولي لقراءة الصور حيث جاء فيها إن هذه النتائج تشير إلى أنه لا يوجد أي فائدة من استخدام نظام قراءة الصور. بالإضافة إلى أنها لم تلاحظ أنها قد وصلت إلى معدلات الفهم في نظم القراءة السريعة حتى. وأشار الخبراء في هذا النظام أن الوقت اللازم لقراءة الصورة أكثر من المعدلات المسجلة في القراءة العادية. ورافق هذه الزيادة في الوقت نفسه انخفاض في فهم المعنى. جاءت هذه النتائج عن طريق اختبارات

موحدة عبارة عن نص كتابي مرفق مع ثلاث من النصوص التفسيرية.

البرمجيات

برمجيات الكمبيوتر متوفرة للمساعدة في إرشاد طلاب القراءة السريعة. بعض البرامج تقدم البيانات في تدفق تسلسلي، حيث إن الدماغ يعالج النص بكفاءة أكثر من خلال تقسيمه إلى تدفقات قبل التحليل والتفسير. هيئة القراءة الوطنية لعام NRP 2000 تقرير يبدو أنها تدعم مثل هذه الآلية. لزيادة السرعة فإن بعض البرمجيات الأقدم تطلب من القراء مشاهدة وسط الشاشة بينما أسطر النص من حولها تزداد طولاً، وتم عرض عدد من الكائنات بدلاً من النصوص تتحرك سطراً سطراً أو ترتد من أطراف الشاشة وعلى المستخدمين متابعة المواد بأعينهم فقط. عدد من الباحثين ينتقدون استخدام كائنات بدلاً من الكلمات كأسلوب تدريب فعال مدعين أن السبيل الوحيد لقراءة أسرع هو قراءة النص الفعلي. العديد من برمجيات سرعة القراءة الجديدة تستخدم النص المدمج، والتي في المقام الأول توجه القراء من خلال خطوط في كتاب على الشاشة بسرعة محددة. غالباً ما يتم تمييز النص بإشارة حيث يجب للمستخدمين أن تركز عيونهم؛ ليس المطلوب أن تقرأ بنطق الكلمات، ولكن بدلاً من ذلك قراءة الكلمات بمساعدة الأحرف كصورة متكاملة. التمارين أيضاً تهدف لتدريب القراء للقضاء على الصوت الداخلي قراءة صامتة قبل النطق بالرغم من ذلك لم يثبت أن هذا سيزيد من سرعة القراءة.

العرض المرئي التسلسلي الحثيث

تم تطوير طريقة عرض تدعى العرض المرئي التسلسلي الحثيث RSVP للحد من الإجهاد المكاني لحركات أعين القراء. العرض المرئي التسلسلي الحثيث هي وسيلة لعرض المعلومات نصا أو صورة عموماً بطريقة تظهر النص كوضع صوتي ثابت. ويمكن استخدام هذه الطريقة لزيادة معدل القراءة أو للتعرف بسهولة على نص طويل معروض على شاشات عرض صغيرة.

التأثير على الفهم

إن القراءة السريعة بحد ذاتها غير مطلوبة حين يتم استيعاب النص، هي فقط مطلوبة في حالة البحث ومحاولة أخذ فكرة عامة عنه. ومع ذلك، عندما يكون الوقت ضيقاً، فإن القراءة السريعة أو تخطي بعض الأجزاء من النص قد يساعد على فهمه. في عام 2009، قارن دوغان وبايان القراءة السريعة بالقراءة العادية معطين الوقت الكافي فقط لقراءة نصف النص قراءة عادية، وجدا أن النقاط الرئيسية من النص قد فهمت بشكل أفضل بعد القراءة السريعة والتي تمكن القارئ من الاطلاع على النص كاملاً أكثر منها بعد القراءة العادية والتي تمكنه من قراءة نصف النص فقط، كما لم يكن هنالك فرق في درجة استيعاب المعلومات الأقل أهمية في النص بين المجموعة التي قرأت قراءة سريعة وبين تلك التي قرأت قراءة عادية. وعلى النقيض، فقد وجدت بعض الدراسات أن نتاج الدورات التي تدرب على القراءة السريعة للنص المكتوب هو معدل استيعاب أقل للنص أقل من 50% في اختبارات الإدراك والفهم الموحد.

مطالب من القراء السريعين

تؤكد بطولة العالم للقراءة السريعة أن «القراءة بفهم» أمر حاسم، فعلى المتسابقين الأفضل أن يقرؤوا ما بين 1000 إلى 2000 كلمة في الدقيقة الواحدة مع نسبة استيعاب تقارب 50% أو أعلى. بطلة العالم هي آن جونز Anne Jones بمعدل 4251 كلمة في الدقيقة وبنسبة 67% من الاستيعاب. ولم يتم التوصل إلى المطلب وهو 10000 كلمة في دقيقة بعد. أثير الكثير من الجدل حول هذه النقطة، حيث إن نسبة استيعاب 50% هي نسبة غير مقبولة لبعض التربويين. أما مناصرو القراءة السريعة ودعاتها فيدعون أنها انتصار كبير، ويقولون إنها طريقة جيدة للفهم لأغراض متعددة، وفي المفاضلة بين سرعة القراءة ونسبة الاستيعاب يجب أن تؤخذ النقاط التالية بعين الاعتبار: نوع القراءة المنجزة، مخاطر الفهم الخاطئ للنص بسبب ضعف الاستيعاب، والفوائد المتعلقة بالتنقل السريع في النص المعطى واكتساب المعلومات بمعدل تلقيها الفعلي.

> برمجيات الكمبيوتر متوفرة للمساعدة في إرشاد طلاب القراءة السريعة

> تتميز القراءة السريعة عند تحليلها بأفضليتها في التدبير مع سرعة الفهم

الناقد الفرنسي بيير بيار أنموذجاً

الرواية البوليسية

نحوَ خطاب نقديٍّ جديد

حسن المودن

ولأن بيير بيار أصدر سنة 2010 كتاباً تحت عنوان: وإذا ما بدّلت الأعمال الأدبية مؤلِّفيها؟ فإننا نتساءل: إلى أي حدٍّ يصح أن نقول إن رواية: مقتل روجيه أكرويد لمؤلفتها أجاتا كرستي قد أصبح لها مؤلِّف آخر هو: بيير بيار؟

ينطلق بيير بيار من أسئلة أساسية: ماذا لو كانت هناك حقيقة أخرى داخل العمل الأدبي «البوليسي» غير التي اقتنع بها القرّاء والنقاد لزمنٍ قد يصل إلى قرون؟

لا شك في أن للرواية البوليسية اليوم وجوداً مستقلاً بوصفها جنساً أدبيّاً له ما يميّزه شكلاً وموضوعاً[1]، اعترفت به العديد من الدراسات الأدبية، النظرية والتطبيقية (بورخيس، كايوا، ولسون، تودوروف، بيار...)، وقد تبلور هذا الجنس الأدبي في القرن التاسع عشر[2] بفضل التطورات التي عرفتها المدينة الأوروبية ومعارفها وفنونها وتقنياتها ومناهجها في التحقيق والبحث عن الحقيقة؛ وعرف تطورات ملحوظة جعلت الدارسين يعملون على تصنيفه إلى أنواع وأشكال، إلا أنه غالباً ما يختزل تعريفه في اعتباره شكلاً فنياً يطرح لغزاً جرمياً واحداً أو أكثر للحلّ، ويتألف من مجموعة عناصر أساسية: جريمة مستعصية على التفسير، ضحية، محقق، استدلال افتراضي ــ استنباطي، حلّ نهائي...

وإذا كان صحيحاً أن هذا الجنس الأدبي قد طاله التهميش النقدي والأكاديمي مدة طويلة حتى في دياره الغربية، على الرغم من انتشاره وشعبيته الواسعين، فإن الأصح أنه نال اهتماماً لافتاً نهاية القرن العشرين وبداية الألفية الجديدة، وعلى الأخص في النقد والفلسفة والتحليل النفسي.

وإذا استحضرنا الأدب الروائي العربي، فإن اللافت للنظر هو قلة الإنتاج في هذا الجنس من الرواية بالبلاد العربية، فكُتّابُ الرواية البوليسية قلّةٌ قليلة في بلداننا، ونقادها أقلُّ بكثير: إلا أنه في السنوات القليلة الأخيرة، ظهرت مقالات وكتابات نقدية تطرح بإلحاح أسئلةً في الموضوع: لماذا لم تظهر الرواية البوليسية في البلدان العربية بالقوة والنوعية اللتين ظهرت بهما في أكثر من منطقة في العالم، وأحياناً منذ زمنٍ غير قليل؟ ماذا عن نقد الرواية البوليسية في النقد العربي

المعاصر؟ لماذا طال الإهمال الكتابات النقدية للرواية البوليسية، على الرغم مما حققته من تراكمات وتحولات في المنهج والرؤية وتغيير النظرة إلى الرواية البوليسية؟

ومن أجل لفت الأنظار إلى الرواية البوليسية، كما إلى نقدها المعاصر، نتوقف قليلاً عند هذه العلاقة الجديدة التي يؤسسها الناقد الفرنسي المعاصر بيير بيار، بوصفه ناقداً ومحللاً نفسياً، بالرواية البوليسية.

1ـ من الكتب اللافتة التي أصدرها بيير بيار تلك التي كرّسها للروايات والمحكيات البوليسية، ويتعلق الأمر بثلاثة كتب: مَنْ قَتَلَ روجيه أكرويد؟ (1998)، تحقيق في قضية هاملت، أو حوار الصمّ (2002)، قضية كلب آل باسكرفيل (2008) [3]. ونشير بسرعة إلى أهمية هذه الكتب، وذلك بطرح سؤالين يبدوان ضروريين في هذا المقام: لماذا يهتمّ المحلل النفسي بالرواية البوليسية؟ لماذا يخصّ بالتحليل أعمالاً أدبية (وخاصة رواية أجاثا كريستي: مقتل روجيه أكرويد، ومسرحية شكسبير: هاملت) أسالت الكثير من المداد، ودرسها الكبار من النقّاد؟

يتأمل بيير بيار تاريخ العلاقة بين التحليل النفسي والمحكي البوليسي، لافتاً النظر إلى التأثير الباطني الذي مارسه الثاني على الأول، مشيراً إلى ثلاثة أعمال أدبية أثّرت كثيراً في نظرية التحليل النفسي: الملك أوديب، هاملت، الرسالة المسروقة، وهي في نظره أعمال أدبية «بوليسية»، جعلت التحليل النفسي يتأسس على أساس فكرتين جوهريتين: الأولى تفيد أن إنتاج المعنى يعني أن تفكّ لغزاً، والثانية أن هناك حقيقة موجودة في مكان ما وأن بحثاً أو تحقيقاً ما يمكنه أن يساعدَ على إبرازها. ومن هنا، فوظيفة المحلِّل النفسي هي أن يفكَّ لغزاً وأن يبحثَ عن الحقيقة. وبمعنى آخر، لم يعد دور المحلِّل هو دراسة العمل الأدبي أو كاتبه، بل إنه لن يكون محللاً حقيقياً إلا إذا أدى دورَ الباحث المحقّق، منافساً بذلك أكبر المحقّقين في الأدب البوليسي.

وهكذا، ففي هذه الدراسات الثلاث، ينطلق بيير بيار من أسئلة أساسية: ماذا لو كانت هناك حقيقة أخرى داخل العمل الأدبي « البوليسي » غير التي اقتنع بها القرّاء والنقاد لزمن قد يصل إلى قرون، كما في حالة هاملت لشكسبير؟ ماذا لو كانت الرواية البوليسية هي الأخرى مسرحاً للأخطاء القضائية والتحقيقات الخاطئة؟ ألم يسبق لفولتير أن قام بهذا النوع من التحقيق معبّراً عن تحفّظاته من المسؤولية الجنائية للملك أوديب؟ ماذا لو كان المحقّقون في الروايات البوليسية مخطئين في استدلالاتهم ومنطقهم وخلاصاتهم، كما هو الشأن بالنسبة إلى المحقق هرقل بوارو في رواية: مقتل روجيه أكرويد، أو كما هو الأمر بالنسبة إلى المحقق شرلوك هولمز في: قضية كلب باسكيرفيل؟

وهذه الأسئلة هي التي دفعت بيير بيار إلى وضع منطلقات جديدة للنقد النفسي للرواية البوليسية، من أهمها أن مَهَمّة المحلّل هي أن يقوم بتحقيق مضادّ، فالمجرمون، في الأدب كما في الحياة، قادرون على الإفلات من تحقيقات المحقّقين، والشخصيات الأدبية ليست شخصيات ورقية، بل هي شخصيات حيَّة يمكنها أن ترتكب جرائم من دون علم الكاتب المؤلِّف، ولكن هناك دائماً فرصة لإعادة التحقيقات من جديد، وكشف النقاب عن الحقيقة.

هكذا، ففي كتابه: تحقيق في قضية هاملت، أو حوار الصّمّ يطرح بيير بيار السؤال من جديد: مَنْ قتلَ والد الأمير هاملت؟ وهل كلوديوس هو القاتل فعلاً كما اعتقد القرّاء لقرون؟ ويخلص بيار في كتابه هذا إلى اتهام هاملت نفسه بقتل أبيه، استناداً إلى حجج ومنطق في التحليل يدفعان فعلاً إلى إعادة النظر في القضية. وفي كتابه: قضية كلب آل باسكيرفيل، يفترض بيار أن المحقق شرلوك هولمز قد أخطأ في تحقيقه المشهور باتهام حيوان بئيس وتركَ القاتلَ الحقيقيَّ ينفلت من يد العدالة. وإجمالاً، فبغير قليل من السخرية، وافتتاعاً بأن الكُتّاب لا يعلمون كلَّ شيء عن أعمالهم، يلاحظ بيير بيار كيف أن بعضَ الكُتّاب قد يخطئون بخصوص مرتكبي الجرائم في أعمالهم، وهم بذلك يتركون المجرمين أحراراً!

> الكتب اللافتة التي أصدرها بيير بيار تلك التي كرّسها للروايات والمحكيات البوليسية

> الرواية البوليسية جنس أدبي طاله التهميش النقدي والأكاديمي مدة طويلة حتى في دياره الغربية

ولا تعود أهمية هذه الدراسات إلى كونها تكشف الاسم الحقيقي للقاتل، بل إن قيمتها تتعلق بخاصيتين اثنتين: الأولى أنها دراسات تقترح علينا التفكير من جديد في عمل المؤوِّل أو القارئ وطريقة اشتغاله، والثانية أن بيير بيار نجح في تأسيس نوع جديد من النقد، نقد الرواية البوليسية، أو الأصح أنه استطاع أن يؤسس نوعـــاً أدبياً جديداً يقوم على ثلاثة عناصر: رواية بوليسية، كتاب حول القراءة، تفكير في التأويل. وهو نوعٌ أدبيٌ يمكن أن نسميه: المحكي البوليسي النظري؛ ذلك لأن بيير بيار في كل دراسة من هذه الدراسات الثلاث نجده يُـقَـدِّم روايةً بوليسيةً داخل الرواية البوليسية، وقاتلاً وراءه قاتل آخر، وتحقيقاً وراءه تحقيق آخر.

2 – وهذا المنهج الجديد في نقد الرواية البوليسية، كان قد بدأه بيير بيار في كتابه الأول من نوعه: مَـنْ قَـتَـلَ روجيه أكروويد؟ ، وعنوان الكتاب دالٌّ على أن بيار يعود بالتحقيق إلى نقطة الصفر؛ فالقاتل الذي عيَّـنه المحقّق هركيول بوارو في الرواية ليس هو القاتل الحقيقي، ومن هنا لا بد من العودة إلى نقطة البداية: مَـنْ قَـتَـلَ روجيه أكروويد؟ [4] أي لا بدّ من محقق آخر (هو بيير بيار نفسه) يعيد النظر في ملف روجيه أكروويد، وينطلق بحثاً عن المجرم الذي لم ينله العقاب، كأنما على كلِّ قارئ، بعد قراءة روايةٍ بوليسية، أن يمدَّ العدالة بكافة المعلومات التي يكون قد حصل عليها، ولم ينتبه إليها المحقق الأول أو كان قد أخفاها لغرضٍ من الأغراض.

ولأن الأمر يتعلق بتحقيق مضاد، فإن كتاب بيير بيار: مَـنْ قَـتَـلَ روجيه أكروويد؟، يبدو كأنه «رواية بوليسية على رواية بوليسية»، كأنما الناقد يأتي بديلاً للكاتب، كأنما الرواية تستبدل مؤلِّفها: كيف ذلك؟ دعونا نستكشف الأمر.

يحيل عنوان الكتاب: مَـنْ قَـتَـل روجيه أكروويد؟ الصادر سنة 1998، على الرواية المشهورة للكاتبة الإنجليزية أجاثا كريستي[5]: مَـقْـتَـل روجيه أكروويد، الصادرة سنة 1926. وفي هذه الرواية تحاول الكاتبة أن تكشف من خلال محقّقها المشهور[6] السيد بوارو حقيقة مقتل روجيه أكروويد، لتصل في النهاية، هي ومحقّقها، إلى أن القاتل هو السارد نفسه. وهذه الخلاصة هي التي لم يقتنع بها بيير بيار، داعياً إلى تحقيق مضادٍ، وإلى طرح سؤال المنطلق من جديد: مَـنْ قتل روجيه أكروويد؟

وروجيه أكروويد، رجلٌ غني، أرمل، أحبَّ السيدة فيرارز، وطلبها للزواج. لكن يبدو أنه

عرف أكثر ممّا ينبغي له؛ فقد عرف أن المرأة التي أحبّها قد قتلت زوجها الراحل بواسطة السمّ، وعرف أن شخصاً ما يبتزّها، وجاءه الخبر الجديد بأن هذه المرأة قد انتحرت، ولما حمل إليه بريد المساء رسالة تضمّ اسم الرجل الذي كان يبتزّ السيدة المنتحرة، يأتي من يقتله ويتخلّص منه. وبالنسبة إلى السيد بوارو، المحقق في جريمة قتل السيد أكرويد، القاتل هو الدكتور شبارد الذي ليس إلا السارد نفسه.

ولا شكّ في أن هذه النهاية التي انتهى إليها المحقق، وبالتالي الكاتبة، هي التي جعلت من هذه الرواية البوليسية أشهر الكتب في التاريخ الأدبي، وهي التي تفسّر حضورها في دراسات نقّاد كبار من مثل رولان بارت وامبرطو إيكو. ذلك لأن هذه النهاية تكشف أن القاتل هو الدكتور شيبارد الذي لم يكن موضع شكٍّ من قبل القرّاء، لسببٍ بسيطٍ هو أنه هو نفسه السارد في هذه الرواية.

بهذه النهاية، تكون الكاتبة أجاثا كريستي قد خلقت المفاجأة، وهي عنصرٌ ضروريٌ في هذا النوع من الأدب، لكنها بذلك تكون قد انتهكت عنصراً جوهرياً في ميثاق القراءة الضمني الذي يربط بين مؤلِّف الرواية البوليسية وجمهورها، ومن مقتضيات هذا الميثاق أن القاتل لن يكون أبداً هو السارد. وفي رواية: مقتل روجيه أكرويد لم يكن القارئ ليتصور أن السارد الذي يجمعه به ميثاق ثقةٍ هو القاتل نفسه.

وهكذا اقتنع الكلّ بأن السارد هو القاتل، واسمه هو الدكتور شبارد، الذي قرّر أن ينتحر، بعد أن اتهمه المحقق هركيول بوارو. وبدا للقرّاء والنقّاد على السواء أنه لم يعد هناك من مجالٍ للتفكير في حقيقة القاتل، وأن المجال الوحيد الذي يبقى للدرس والتفكير هو بناء الرواية: كيف يكون القاتلُ هو السارد نفسه؟

وبعيداً عن الدراسات التي اقتنعت بالنهاية المقترحة من طرف المحقق هركيول بوارو، وانكبّت على معالجة المشاكل النظرية التي تطرحها خصائص البناء وخصائص السارد في هذه الرواية، ها هو محقّق غير مشكوك في أمره، يدخل إلى خشبة المسرح، إنه بيير بيار الذي لم يقتنع بتلك النهاية، وقرّر لا الاهتمام بالمشاكل النظرية التي تترتب عن رواية تجعل السارد نفسه هو القاتل، بل قرّر أن يطرح السؤال من جديد: مَنْ قتل روجيه أكرويد؟ وأن يعود بالتحقيق إلى نقطة الصفر، واضعاً النتائج التي توصل إليها المحقق، وبالتالي الكاتبة، موضع شكٍّ وسؤالٍ، مفترضاً أن عالم الرواية يتجاوز الحدود التي يضعها له مؤلِّفه.

في كتابه: مَن قتل روجيه أكرويد؟ يعيد بيير بيار البحث والتحقيق، غير مقتنع بأن الكاتبة على علمٍ بكلّ شيء، وواضعاً يده على تناقضات المحكي والشخصيات، وكاشفاً النقابَ عما أصاب المحقق، والقارئ أيضاً، من عمًى أمام أمور وقرائن واضحة وبديهية، ومتسائلاً في النهاية: ما إذا لم تكن «أنا» هي «آخر».

وهكذا، وتبعاً للتحقيق الذي أجراه بيير بيار، واستناداً إلى حججٍ واضحةٍ في النص، فإن القاتل الحقيقي هو كارولين شبارد، أخت الدكتور شبارد الذي اتهمه المحقق هركيول بوارو. فهي، مقارنةً بأخيها، العنصرُ الأقوى في العائلة، وتؤدي دورَ الأمِّ بالنسبة إلى أخيها، وهي مستعدة للقتل من أجل حمايته، وشخصيتها أقرب إلى شخصية القاتل. وبينها وبين أخيها علاقة حبٍّ متبادل: هي التي قتلت أكرويد لأنه كان يعرف أن أخاها الدكتور شبارد يبتزّ السيدة فيرارز، وأخوها الطبيب يتهم نفسه، أو يقبل أن يتّهم بالقتل، وينتحر لحماية أخته، القاتل الحقيقي. وبهذا تتحول الحكاية في هذه الرواية من حكاية أموالٍ قذرة إلى حكاية حبٍّ متبادلٍ بين أخ وأخته. ويمكن بالمعنى النفسي أن نقول إنهما شخصية واحدة، وهذه الشخصية الواحدة هي المسؤولة عن موت روجيه أكرويد.

وهكذا، فالحقيقة الوحيدة في رواية أجاثا كريستي هي مقتل روجيه أكرويد، وتبقى البقية موضع تأويل. والتأويل الذي تبنّاه المحقق بوارو ليس خاطئاً فحسب، بل هو جريمة قتل، ذلك لأنه التأويل الذي دفع الدكتور شبارد إلى

> من أجل لفت الأنظار إلى الرواية البوليسية، كما إلى نقدها المعاصر، نتوقف قليلاً عند هذه العلاقة الجديدة التي يؤسسها الناقد الفرنسي المعاصر بيير بيار، بوصفه ناقداً ومحللاً نفسياً، بالرواية البوليسية.

الانتحار. وفي نظر بيير بيار، ليست هذه هي المرة الأولى التي يقتل فيها هركيول بوارو، ففي رواية: الستارة قتل رجلاً ببرودة دم بعدَ أن عرف أنه المجرم، لكن الجديد في رواية: مقتل روجيه أكرويد هو أن تأويل المحقق بوارو لم يكن محكماً وصارماً، كما يدَّعي، بل إنه كان نوعـــاً من الهذيان العنيف الذي أجبر الدكتور شبارد على الانتحار.

لا تعود أهمية كتاب بيير بيار: مَـنْ قَـتَـل روجيه أكرويد؟ إلى كونه يكشف الاسم الحقيقي للقاتل في رواية أجاثا كريستي: مقتل روجيه أكرويد، بل إنه من خلال ذلك يدعو إلى التفكير من جديد في عمل المؤوِّل أو القارئ وطريقة اشتغاله، لافتاً النظر إلى موضوع نظري هامّ: التأويل باعتباره هذياناً.

في التصور الفرويدي، الهذيان هو أقلُّ من الجنون، أو إنه نقيضه وضدّه، فهو محاولة في تنظيم الجنون. وبهذا المعنى، فكلّ هذيان إلا ويتأسس على صوغ نظريٍّ ما، كما أن كلَّ عملٍ نظريٍّ يتنظَّم بجزء من الهذيان. وإذا كان الأمر كذلك، تبعـــاً لهذا التصور، فهل يمكن أن نسأل بيير بيار، الذي أعلن أن صوغه النظري سيكون جاداً وصارماً وبعيداً عن الفرضيات الهذيانية والشعرية: أليس في بحثه وتحقيقه المصاغ صوغاً نظرياً محكماً جزءٌ من الهذيان الذي اتّهم به بوارو في تأويله؟ ألا يمكن أن نعتبر هذه الرغبة هذيانا عند المؤوِّل في تحويل حكاية المال القذرة إلى حكاية حبٍّ عجيبة؟

ومع كل ذلك، يبقى بيير بيار هو هذا الناقد الذي يجمع بين التخييل والتنظير بطريقة مدهشة، ويزاوج بين الشك والإصغاء الحكيمِ للكلمة، كلمة الآخر؛ ويدعونا في كل مرة إلى عدم التسليم بسهولة، وعدم الاقتناع بالحقائق التي تُـقدَّم إلينا، وأن نتعلَّـم البحثَ عن الحقيقة بأدوات مغايرة، وأن نتخذ من اللعب أو السخريّة أسلوباً في التحليل والتفكير.

ولا ينبغي لنا أن ننسى أن الفرضية التي انطلق منها بيير بيار في هذا الكتاب لا تستمد قوتها إلا من كونها تقترح، باكتشافها قاتلاً آخر، نهاية أخرى للرواية دون أن «تخرج» عن النص، بل إنها تلتزم بالنص في حرفيته وكليته، كأنما الأمر يتعلق بإعادة كتابة الرواية من ألفها إلى يائها: رواية بوليسية على رواية بوليسية.

ولأن بيير بيار قد أصدر سنة 2010 كتاباً تحت عنوان: وإذا ما بدّلت الأعمال الأدبية مؤلِّفيها؟، فإننا نتساءل: إلى أي حدٍّ يصح أن نقول إن رواية: مقتل روجيه أكرويد لمؤلِّفتها أجاتا كرستي قد أصبح لها مؤلِّف آخر هو: بيير بيار؟

1- Marc Lits : Le roman policier, introduction à la théorie et à l'histoire d'un genre littéraire, Liège, ed. CEFAL, 2eme édition, 1999, p. 21.

2- مع أن أصول هذا الجنس أو بداياته الأولى، يجدها بعض الباحثين قديمة جداً، فبيير بيار يرى في «الملك أوديب» الإغريقية البداية الأولى. إلا أن الرواية البوليسية بخصائصها الحديثة تكون قد تبلورت، كما وضح مارك ليتس في الكتاب المذكور أعلاه (ص 27)، في القرن التاسع عشر مع إدغار آلان بو.

3- Pierre Bayard :Qui a tué Roger Ackroyd?,ed . Minuit, Paris, 1998.
Enquête sur Hamlret, Le dialogue des sourds, Minuit, Paris, 2002.
L'Affaire du chien des Baskerville, Minuit, Paris, 2008.

4- ترجمت هذا الكتاب إلى اللغة العربية، وصدر بالقاهرة عن دار رؤية للنشر والتوزيع سنة 2015، بعنوان: الرواية البوليسية والتحليل النفسي، مَـن قَتَلَ روجيه أكرويد؟

5- أجاثا كريستي كاتبة إنجليزية، ولدت بجنوب إنجلترا عام 1890 وتعتبر من كبار مؤلفي الرواية البوليسية بروايات عديدة تدلّ على ذكاء خارق ومقدرة مذهلة على رواية الألغاز، وتوفيت سنة 1976 بعد أن كتبت سيرتها الذاتية. ومن رواياتها: جريمة قتل في قطار الشرق السريع، موت على النيل، جريمة في العراق، الستارة، الأربعة الكبار، جريمة قتل بالمترو، جريمة في المرآة، ثلاثة عشر لغزاً...

6- ظهر المحقق بوارو في إحدى الروايات الأولى لأجاثا كريستي: جريمة غامضة في ستايلز، وكرّست له الكاتبة أكثر من ثلاثين رواية ليصبح من أشهر رجال التحقيق إلى جانب شرلوك هولمز.

مسألة مبدأ

شهد العبدولي

مسألة مبدأ

عندما تضبط ساعتك يومك وحياتك وروتينك على أن تصحو في تمام الساعة الخامسة والنصف لتصلي وتبدأ يومك بوجه جميل وابتسامة حمد وشكر على نعم الله سبحانه وتعالى وقبلة على جبين الشمس المشرقة وحضنٌ دافئ للحياة.

مسألة مبدأ

عندما تنتهج الصدق وتجعله طريقاً ودرباً تسير به، وعنوان حياة لا ترضى أبداً أن تتنازل عنه، عندما تضع جميع الخطوط الحمراء أمام إشارة مرور الحياة ولا تجعل إلا الصدق يعبر منها ومن خلالها، أما غير ذلك فيقف ولا يمر.

مسألة مبدأ

عندما تقف على ناصية حلمك و تقاتل من أجل الوصول إلى هدفك، عندما لا تعتبر الخدعة هي الوسيلة للفوز بالحرب، عندما تدخل جنتك وأنت راضٍ عنها بلا خوفٍ أو تكلف تحقق حلمك بتعبك وجهدك وعنائك بلا أي لف أو دوران.

مسألة مبدأ

عندما ترسم حدوداً بينك وبين الشخص الذي أمامك وتجبره على احترامك وذلك من خلال احترامك لنفسك، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، ومن هذا المنطلق والمبدأ فاحترامك لنفسك ينعكس على تصرفاتك التي تجعل الآخرين من غير إدراك يبادلونك الشيء نفسه، ألا وهو الاحترام. الاحترام الذي تفرضه على نفسك قبل غيرك بالأسلوب والمعاملة الحسنة لا الصراخ وفرد العضلات.

مسألة مبدأ

عندما تعمل لأجل الوطن، لأجل المصلحة العامة، لأجل رفعة اسم البلاد عالياً، عندما تعمل لأنك تريد ذلك لا لأن مديرك يريد ذلك، عندم تعمل لأنك تستشعر مراقبة الله سبحانه وتعالى

كل الاعتبارات تعتبر مبادئ، وأنت وحدك عزيزي القارئ من يقوم بوضعها وصياغتها، أنت وحدك من يضع الخطوط الحمراء لنفسه ولغيره من البشر، أنت من ترسم خريطة حياتك وتتبع مساراتها، عليك أنت أن تخطط وأن تعمل وأن تضع لنفسك أسساً واعتبارات تسير عليها، لأنه من لم يخطط لنجاحه فقد خطط لفشله ولذلك تأتي هذه المبادئ والأساسات لتكون اللبنة الأساسية والركائز الحياتية التي تبني عليها ما تريد وتنظم بها حياتك بعيداً عن عشوائيات الحياة وتدخل الآخرين.

همسة

إن لم تسعَ لتحقيق حلمك فسوف يستخدمك الآخرون لتحقيق أحلامهم.

الفرق بين مواقع التواصل ومواقع الإعلام الجديد

د. فواز حبال

قبل العام 2010 كان مصطلح التواصل الاجتماعي معروفاً ومستخدماً كمسمى عام لا كتعريف عن جميع المواقع التي تمنح المستخدم خاصية الكتابة والتواصل والصداقات ونحو ذلك.

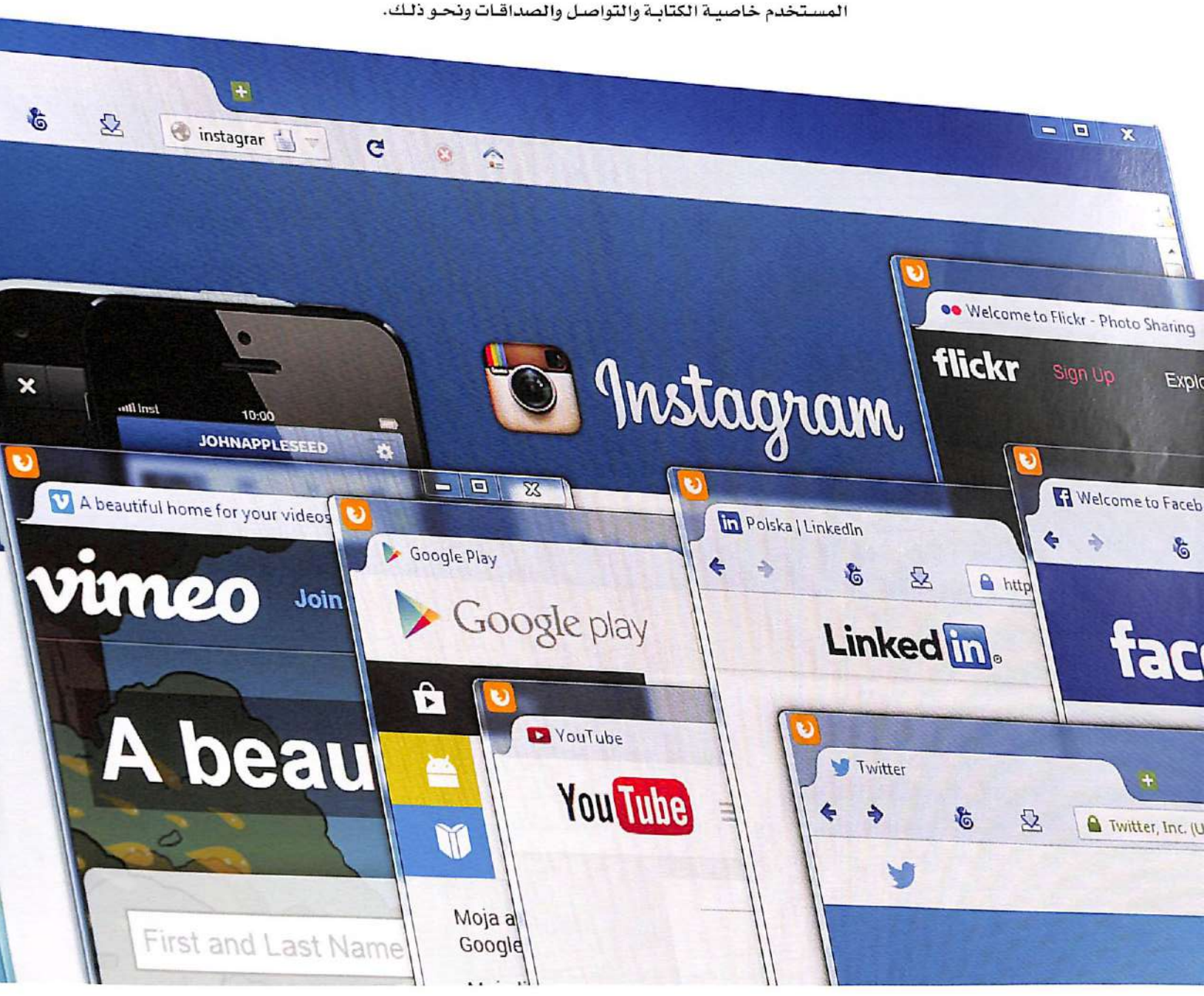

في البداية عند تأسيس مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر لم تكن تهدف إلى أن تكون مساحة للأخبار العالمية أو المحلية، بل كانت وبكل بساطة تهدف إلى خلق مساحة للتعارف والتواصل بين الأصدقاء من جهة ومن جهة أخرى كانت تهدف لإتاحة الفرصة للمستخدمين بالتعريف عن اهتماماتهم الشخصية وأخبارهم اليومية.

من أمثلة مواقع التواصل الاجتماعي في العقد الماضي كان موقع Friendster وكان شعاره:

Friendster: "Friendster is an online community that connects people through networks of friends for dating or meeting new friends".

«فريندستر هو مجتمع إلكتروني لتواصل الناس عبر شبكة من الأصدقاء للتعارف أو للقاء أصدقاء جدد».

وكان تعريف موقع فيسبوك Facebook عند إنشائه:

Facebook: "The facebook is an online directory that connects people through social networks at colleges".

«فيسبوك هو بوابة إلكترونية لتواصل الناس عبر شبكة تواصل اجتماعي في الكليات أو الجامعات».

أما موقع تويتر فقام بتغيير شعاره من What are you doing? «ماذا تفعل؟» إلى What's happening «ماذا يحدث». هذا التغيير البسيط في السؤال تسبب بتغيير كبير في فكرة مواقع التواصل الاجتماعي، وذلك بتحويل فكرة التركيز على معلومات وأخبار المستخدم إلى التركيز على معلومات وأخبار الأحداث اليومية، وبالنتيجة تحدث السيد ايفان وليامز Evan Williams (المدير التنفيذي السابق لموقع تويتر ومؤسس عدد كبير من مواقع التواصل الاجتماعي وشركات إلكترونية عالمية) عن هذا التغيير بتحول مواقع التواصل الاجتماعي من شبكات تواصل اجتماعي إلى شبكات معلومات إلكترونية. وبالنتيجة وقبل عام 2006 لم يكن أحد يتوقع نجاح فكرة مواقع التواصل الاجتماعي، وحتى مؤسسي بعض هذه المواقع كان يتوقع إغلاق معظم شركات مواقع التواصل الاجتماعي خلال فترة خمس سنوات من تأسيسها.

لذلك فإن تلك المواقع لم تكن تهدف عند تأسيسها لأن تكون مساحة إعلامية أو تكون حلاً جديداً لمشاكل الإعلام المطبوع أو المصور. بل كانت تسعى لحل مشكلة التواصل بين المجتمعات والأصدقاء في مختلف الأماكن.

بداية التغيير والتحول

بعد بداية انتشار مواقع وشبكات التواصل الاجتماعي أصبح معروفاً للجميع أن تلك المواقع هي الطريقة المثلى لتواصل الناس والأصدقاء، ومن هنا بدأ مستخدمو هذه المواقع بنشر أخبارهم اليومية ونشر ما يحدث حولهم ومعلومات عن مجتمعاتهم. وبالنتيجة كانت فكرة نشر الأخبار على مساحة واسعة بطريقة سهلة وسريعة وقراءة الأخبار بطريقة مجانية وتفاعلية تستهوي الناس والمجتمعات. ولكن من جهة أخرى بدأ هذا التغيير بالتأثير في المؤسسات الإعلامية بخسارة شريحة كبيرة من القراء والمتابعين. ولكن معظم الناس ظنوا أن شبكات التواصل والإعلام الجديد هي وجهان لعملة واحدة، وباستخدام شبكات التواصل سينتهي دور الإعلام وتكون نهاية حقبته.

أهم الفوارق بين شبكات التواصل والإعلام الجديد

مع انتشار شبكات التواصل الاجتماعي وتزايد عدد متابعي ومستخدمي هذه الشبكات، بدأ الوعي بمعنى مصطلح الإعلام الجديد بالتزايد، وظهرت فروق أساسية وملحوظة بينها، ومن أهم الفوارق بين المصطلحين:

طريقة التواصل:

في مواقع الإعلام الجديد المستخدم يكون هو الكاتب الوحيد ويقوم بنشر المعلومات والفيديوهات والصور والمقالات وما إلى ذلك. وبالتالي يقوم الكاتب بمحاولة نشر كتاباته إلى أكبر عدد من المتابعين والمعجبين لخلق أكبر عدد من قراءات

> عند تأسيس مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر لم تكن تهدف إلى أن تكون مساحة للأخبار العالمية أو المحلية بل كانت وبكل بساطة تهدف إلى خلق مساحة للتعارف

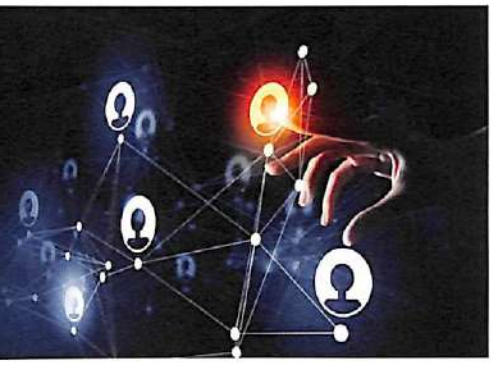

> مع انتشار شبكات التواصل الاجتماعي وتزايد عدد متابعي ومستخدمي هذه الشبكات، بدأ الوعي بمعنى مصطلح الإعلام الجديد

لكتاباته والتفاعل معها. بينما في مواقع التواصل الاجتماعي تحتاج إلى طرفين من المستخدمين للكتابة والقراءة للتفاعل والتواصل بين مجموعة من المستخدمين الذين تربطهم علاقة؛ سواء أكانت عائلية أم مجتمعية أم يتشاركون نفس الاهتمامات

الأهداف:

يمكن اعتبار أهم فارق بين مواقع التواصل الاجتماعي والإعلام الجديد هو الهدف من استخدام هذه المواقع الذي يسعى المستخدم لتحقيقه. أهم هدف لمستخدمي التواصل الاجتماعي هو إنشاء أكبر شبكة من شريحة المتابعين والمعجبين وتعزيز العلاقات بين المستخدم ومتابعيه؛ سواء أكانت لهدف تجاري أو معنوي. أما الهدف العام من مواقع الإعلام الجديد هو التأثير بأكبر قدر ممكن لمتابعة خبر أو معلومة بشكل تفاعلي لزيادة عدد قراء الخبر.

المحتوى:

المحتوى هو عامل رئيس لنشر أو تسويق خبر أو معلومة أو مقال؛ حيث إن الحاجة لاستخدام مواقع التواصل الاجتماعي أو الإعلام الجديد هي متشابهة، ولكن طرق نشر الخبر أو المحتوى تختلف بشكل ملحوظ بين هذه المواقع.

في مواقع التواصل الاجتماعي يحتوي المحتوى على الكثير من النقاشات والتساؤلات للسعي للحصول على أكبر عدد من التفاعلات مع المحتوى وبالنتيجة الحصول على عدد أكبر من المعجبين والمتابعين وزيادة شبكة التواصل للمستخدم. ومن ناحية أخرى، مواقع الإعلام الجديد يسعى الكاتب أو المستخدم فيها إلى تحويل أكبر قدر من الارتباطات للمحتوى، ويكون المحتوى في معظمه صوراً وفيديوهات أكثر من أن يكون جملاً قصيرة وبسيطة لتوصيل الخبر والمعلومة بشكل كامل.

الوقت والمجهود:

المعلوم لدى مستخدمي مواقع الإعلام الجديد أن العمل لتوصيل الخبر أو المعلومة يحتاج إلى مجهود أكبر بكثير لتوصيل المحتوى حين حدوثه وتوصيله بشكل تفاعلي لافت للنظر للحصول على التفاعلات المرجوة وجذب أكبر عدد من القراء وغير ذلك. قد يعتبر المحتوى عتيق الطراز أو قديماً وبالتالي قد يخسر الكاتب أو المستخدم شريحة كبيرة من قرائه ومتابعيه. أما في مواقع التواصل الاجتماعي فيمكن للمستخدم نشر أو كتابة أي معلومة في أي وقت يناسبه لأنه لا يرتبط غالباً بزمن أو حدث عام بل يعتمد على حالة الكاتب النفسية أو وقت فراغه.

معايير النجاح:

في عالم التكنولوجيا الذكية أصبح كل مستخدمي الإنترنت يسعون للحصول على معلومات عن نتائج أعمالهم على الإنترنت لتقييم نجاحهم أو أخطائهم للاستمرار بالعمل ورفع درجة النجاحات المرجوة من أعماله. في مواقع التواصل الاجتماعي والإعلام الجديد تختلف معايير النجاح بشكل كبير؛ فقياس نسبة النجاح بالنسبة لمواقع التواصل الاجتماعي تكون أسهل ومباشرة؛ لأن قياس النجاح يكون مباشرة عبر متابعة زيادة عدد القراء والمتابعين والمعجبين للمعلومة أو الخبر. أما بالنسبة لمواقع الإعلام الجديد فهي تقاس بالتأثير بشكل أكبر على المجتمع وخلق ارتباطات أكثر للخبر، ولذلك يصبح من الصعب قياس نسبة النجاح ويحتاج إلى وقت زمني طويل للبدء بالشعور أو الحصول على النتائج المرجوة من الخبر أو المعلومة، وخصوصاً إذا كان المحتوى يختص بعمل تجاري أو مادي فإن المستخدم لن يقيم نسبة نجاحه إلا إذا زادت نسبة البيع والعائد المادي لأعماله، وذلك بالطبع يحتاج إلى وقت ومجهود كبيرين.

الإعلام الجديد = التواصل الاجتماعي + الأخبار

معظم مؤسسي شبكات التواصل الاجتماعي والمختصين يظنون أن العلاقة بين شبكات التواصل والإعلام هي علاقة طردية وليست عكسية، وبمعنى آخر أن شبكات التواصل أصبحت أداة للإعلام ولا تعمل لإلغاء دور الإعلام المقروء أو المنشور. ولذلك أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي في معظمها هي مواقع للإعلام الجديد لتتلاقى في عدة جوانب مثل: - تعتمد بشكل كبير على الانتشار السريع للمعلومة والخبر كمعيار للنجاح.

- جذب انتباه أكبر شريحة ممكنة من القراء لمتابعة خبر أو معلومة.

- مساحة تفاعلية لنشر الأعمال والتجارة الإلكترونية والإعلانات.

ببساطة مواقع الإعلام الجديد هي مساحة لتوصيل الخبر وتستخدم شبكات التواصل الاجتماعي لنشر الخبر لشريحة أكبر من القراء والمتابعين الذين تجمعهم الاهتمامات نفسها.

أوراق ثقافية على ذمة التاريخ

فيصل جواد

لطالما كنت أعرف الشيء بدلالاته وأنفذ الى الدلالات تلك بالسؤال وأتخذ من الأسئلة عناوينا للبحث وهذا ماكان ليكون لولا إنني سمعت صغيرا عن والدي الكبير كما ظللت أراه، بأن المعرفة غواية المتعلم ولأن الكتابة محاولة في ابتسار معرفي فإنها غواية أيضا كما إن القراءة غواية الاستدراج إلى مكمن الأخر الذي يشتغل على إثارتنا بالادهاش ولأنني كثير السؤال فقد كنت أنتج علامات الاستفهام بطريقة استقصائية أروم من خلالها أن ألصق بنفسي صفة الرائي، تلك الصفة التي علمتني ابتسار العبارة والاكتفاء بالاشارة وهذا في جزء منه ربما كان ليبدو نتاجا فلسفيا يخالطه الشك والسؤال ويلمح ببوادر البحث ومن هنا تحديداً بدأ شوط «التهمة» العتيق بالتفلسف وهذا ماكان كافيا لبث الرعب في نفسي وصحبي ممن حصدوا قبلي سم المسمى هذا نحن الداخلون توا على عوالم القراءة والزاد الثقافي لأننا ندرك تماما ان إطلاق صفة المتفلسف على أحدنا إنما تعني عزلته التي سيقرر مرغما لتجنب اتخاذه موضع تندر وسخرية الآخرين وعلى فرض اعتبار الفلسفة تهمة فإن المعني بتلقي تلك التهمة سرعان مايشرع بالتبرير والتحوير وربما اقتضى الحال لفه ودورانه وسقط في فخ التدوير والتكوير بلغة لاتخلو من وعورة وتقعير ومخالطة مفردات اللهجة المحلية وهذا بدوره سيصبح دليل إثبات للتهمة لتبدأ الإدانة بأنياب الحسد والغيرة والنبذ ونسأل لماذا ينبذوننا؟ وهل أعلنوا موت المثقف؟ هل هي إذن الحرب على الثقافة والاطاحة بالمثقف ؟ هل حري بنا أن نشيع المثقف إلى مثوى الميتين في الحياة جهلا وتخلفا؟ هل يجدر بالأميين صدارة المشهد بينما ينكفئ المثقفون لصالح السيادة الأمية ؟ هل نعلن محنة الثقافة لتغدو ممنوعة عن الصرف بكل التعاملات والمعاملات المحلية والدولية ؟ من قرن الثقافة بالفقر؟ ومن لوح بشعار الكساد المعيشي كمصير لحياة المثقفين؟ ومن صور المثقف كسيحا في ميادين العمل وليس في حصاد جعبته إلا التنظير ليوهموا الآخرين بعدم توافق طروحاته ونتاجه؟ لا شك أن الذي أذن بمقايضة الثقافة بالمال هو الذي لوث طهارة الكتاب الثمين بالرفوف العاجية، ليس شرطاً أن تكون الثقافة نتاجاً للبيوت التي يسكن أهلوها الشتاء كتوائم لاتنفصل، وتهتكها إقامة الحر اللاهب في القيظ كقدر يفتك بعافية أهله.. وليس ثمة خصومة بين الصحون المذهبة والكتاب، ولا وجود لأكذوبة الثقافة بنت الفقر وربيبته حصراً ولكن يبدو أن الفكرة المراوغة أنتجها العقل الاستحواذي لثلة من المتخمين المترفعين عن القراءة كي يروضوا بها بطون الجياع بأطباق الحروف وموائد الثقافة مقصين إياهم عن إثارة مخاوفهم في تنافس محتمل بفعل ضغوطات الجوع والعوز ،والمفارقة أن الفكرة تلك وبرغم عدم مصداقيتها أنتجت أجيالا من الأدباء والمفكرين وطابوراً طويلاً من المثقفين المنبثقين من أرحام الأحياء الفقيرة ولكن هذا لا يعني أن الثقافة والفكر أسارى تلك الاحياء أو علامتهما الفارقة فعلى قائمة الادباء والمثقفين والفلاسفة صف طويل من الاثرياء وذلك أن الثقافة بنت الهاجس الذي يرقى على كل مصنفات الطبقية تلك المصنفات التي لم تعد فرسا لرهان فكري أو سياسي بعد أن تراجع الاهتمام بها محايثة مع تراجع البنية الأيدولوجية السياسية لصالح الفوارق الثقافية والتي سعت لترسيخها التقنية المعلوماتية بكل انفتاحها آخذة المجموع لغواية سحرها الافتراضي وتأخذ المسكونين بالهاجس المعرفي إلى استثمار النتاج المعلوماتي بينما تأخذ اللاهين إلى ما يشبع توقهم من كل تطبيق، إنها معادلة عصية على الاستيعاب مالم تقرن بالتجربة فلو جرب صحبنا المترفعون عن القراءة تعفير أنوفهم بروائح أوراق الكتب لأدركوا أنها أزكى بكثير من تلك التي نشأت كعملات ورقية لاتحفظ حيا ولاتخلد ميتا إلا إذا اقترنت بالاختبار الأقسى وهي أن يكن للخير فيها نصيب، بينما تحفظ أوراق الكتب أصحابها أمانة على ذمة التاريخ.

قراءة في مشروع سلطان العميمي الروائي

هوية إماراتية جديدة في الروايـة الإماراتيـة

محمد النابلسي

لا شك أن المهتمين بالرواية الإماراتية قد أسعدهم خبر وصول رواية «غرفة واحدة لا تكفي» للروائي سلطان العميمي إلى القائمة الطويلة من ترشيحات جائزة البوكر العربية في العام 2017، كأول رواية إماراتية تصل هذه القائمة منذ تأسيس الجائزة في العام 2008، ويقودنا ذلك إلى التساؤل عن سبب الالتفات المتأخر للرواية الإماراتية في تلك الجائزة، وهي الجائزة العالمية التي تتخذ من نسختها العربية أبوظبي مقراً لها.

وتتعدد الأسباب الكامنة وراء هذا الالتفات المتأخر، ولكن من أهم هذه الأسباب هي المنافسة الروائية العربية الشرسة للرواية الإماراتية، خاصة مع وجود تاريخ عريق للرواية في بعض الدول العربية مثل مصر وسوريا ولبنان، وقصر تاريخ الرواية الإماراتية زمنياً، فقد ظهرت أول رواية إماراتية بعنوان «شاهندة» للروائي عبدالله النعيمي في العام 1971. أضف إلى ذلك قلة الالتفات النقدي للرواية الإماراتية عموماً، ربما لتلك التحولات التي تشهدها الرواية العربية عموماً، مما انعكس على الرواية الإماراتية مع تحديها في إثبات ذاتها وترسيخ وجودها على خارطة الرواية العربية.

وعلى الرغم من الانطلاقة القوية للرواية الإماراتية مع "شاهندة" وأعمال الروائي علي أبو الريش ومن أشهرها رواية "الاعتراف" التي اختيرت ضمن أفضل مئة رواية عربية، وأعمال ثاني السويدي وأهمها رواية الديزل، التي حققت صدى عربياً واسعاً وترجمت للإنجليزية، وغيرها من الأعمال والروائيين والروائيات، إلا أن الرواية الإماراتية شهدت تراجعاً أثر في مسيرة تقدمها، ومكانتها على خارطة الأدب العربي. لتنشط الرواية الإماراتية اليوم، وتستعيد ألقها المفقود، وتحدد بوضوح أكثر ملامحها وهويتها، ويزداد إنتاج الرواية الإماراتية في السنوات الأخيرة، في ظل التشجيع الحكومي المستمر لعملية نشر الكتاب الإماراتي من جهة، وإقبال الشباب الإماراتي على نشر كتبهم من جهة أخرى، استجابة لسوق الإمارات النشط في هذا المجال، الذي يتجلى في الإقبال الكبير من الجمهور على معارض الكتب في الدولة.

ويسجل الروائي سلطان العميمي إنجازاً أدبياً من خلال ترشيح روايته الثانية لجائزة البوكر العربية، لتكون دليلاً على التقدم الذي أحرزته الرواية الإماراتية، والمكانة التي حققتها.

ويسعى سلطان العميمي الكاتب الإماراتي المولد في مدينة الذيد في العام 1974، لخلق ملامح خاصة لمشروعه الروائي مستنداً إلى عناصر هويته الإماراتية من جهة، ودقة نظرته النقدية من جهة أخرى، التي اكتسبها من خبرته الإدارية في إدارة أكاديمية الشعر العربي في أبوظبي، وعضويته في لجنة تحكيم شاعر المليون، وخبرته البحثية التي أسفرت عن إصدار 14 دراسة بحثية له في الشعر العربي والنبطي، مما يجعل لأعمال العميمي الروائية حضوراً نوعياً على المشهد الروائي الإماراتي.

وقد نشر العميمي إلى جانب دراساته الأدبية السبع عشرة، ثلاث مجموعات قصصية هي " الصفحة 79 من مذكراتي" و"تفاحة الدخول إلى الجنة" وأخيراً " غربان أنيقة"، أما مشروعه الروائي فقد بدأ فيه من خلال رواية " ص.ب 1003" التي صدرت طبعتها الأولى في العام 2014 وتتحدث عن حكاية حب حدثت بالمراسلة

> نشر العميمي إلى جانب دراساته الأدبية السبع عشرة ثلاث مجموعات قصصية هي الصفحة 79 من مذكراتي وتفاحة الدخول إلى الجنة وأخيراً غربان أنيقة

> في ظل كثافة الإنتاج الروائي اليوم لإشباع رغبة السوق المتزايدة، صار الكثير من الروائيين العرب يقدمون الرواية المصنوعة مسبقاً ضمن مواصفات السوق

خلال عامي 1986 و1987 بين "عالية" فتاة إماراتية تدرس في لندن، وشاب إماراتي يسكن في مدينة الذيد النائية ويعمل في مكتب البريد. والرواية الثانية هي رواية "غرفة واحدة لا تكفي" الصادرة في العام 2016 وتتحدث عن حكاية شخص يستيقظ ذات صباح ليجد نفسه في غرفة مجهولة لا مخرج منها، ويراقبه شخص يشبهه تماماً في شكله وطباعه وتفاصيل حياته، ولكنه لا يستطيع التواصل معه.

وتتسم هاتان الروايتان بملامح مشتركة، أراد من خلالها العميمي أن يصنع نهجه الخاص في الرواية، ليضع كتابين يتمتعان بأسلوب سهل القراءة غزير المعرفة أمام القارئ العربي اليوم بمراسه الصعب القائم على أحكامه المسبقة للكتب من خلال شبكة التواصل الاجتماعي، سواء أكان على الكتاب نفسه أم على الكاتب الذي قام بكتابة الكتاب، إضافة إلى رغبة القارئ العربي اليوم ونهمه إلى كتب تشبه الوجبات السريعة، يقرؤها لينتقل بها إلى الكتاب التالي ويشاركه عبر حساباته في شبكات التواصل الاجتماعي، ومشبعاً السلوك الاستهلاكي الجديد للقارئ اليوم باقتناء الكتب بناء على الكمية على حساب الجودة. فيظهر العميمي بمجموعاته القصصية وروايتيه ليقدم ما يرتقي بتلك المعايير ويرفع من جودتها، ويخلق من خلالها تفاعلاً نوعياً على شبكات التواصل الاجتماعي.

وتمتاز هاتان الروايتان بملامح خاصة، تكاد تشكل الملامح الخاصة بالمشروع سلطان العميمي الروائي، وهذه الملامح قد تظهر في الرواية الأولى أقوى مما تظهر في الثانية أو العكس، وفي كل الأحوال تشكل تلك الملامح ربما الوصفة السحرية لتميز مشروع العميمي وتفرده.

أولاً: البحث المكثف:

في ظل كثافة الإنتاج الروائي اليوم

لإشباع رغبة السوق المتزايدة، ونهم دور النشر العربية في الإقبال على نشر العناوين، الغث منها والسمين، صار الكثير من الروائيين العرب يقدمون الرواية المصنوعة مسبقاً ضمن مواصفات السوق، دون بحث أو جهد في بناء الرواية، وعلى المقابل من ذلك يوجد من الأدباء الذين يعيشون التجربة، ويبذلون الجهد المضني في صناعة روايتهم. فالكاتب الكويتي سعود السنعوسي عاش في الفلبين قرابة العام قبل كتابة روايته الفائزة بجائزة البوكر العربية "ساق البامبو" ، أما العميمي الذي استشهد بتجربة السنعوسي في مقابلة أجراها مع صحيفة الاتحاد ونشرت في تاريخ 24 يناير 2017 ، فقد أوضح أنه لم يعتمد على ذاكرته فقط في بناء روايته الأولى "ص.ب 1003" التي دارت أحداثها في فترة الثمانينيات من القرن الماضي، وإنما لجأ إلى أرشيف الصحف المحلية وما شهدته تلك الفترة من أحداث لتلقي بظلالها على أحداث الرواية، أما رواية "غرفة واحدة لا تكفي" فقد أخذ إعدادها عامين، ذلك العمل المتأني في البحث والكتابة يمنح روايات العميمي ثقلاً خاصاً في ذهنية القارئ، مما يجعلها راسخة لا تغادر ذهنه بسهولة، لما لبحثه المكثف من أثر على البناء الدرامي والمعرفي في روايتيه.

ثانياً: البيئة الإماراتية:

لا يسع العميمي وهو القادم من مدينة الذيد النائية على أطراف الشارقة، ذات الطبيعة الصحراوية، والباحث المبحر في الشعر الشعبي والنبطي، إلا أن يلجأ إلى بيئته المحلية وذاكرته الشعبية في بناء أحداث الروايتين، وأثرهما على شخصيات الروايتين، فقد استند العميمي في روايته الأولى بذكاء على مفردات البيئة المحلية في الذيد، مدرجاً تلك التغييرات والتطورات الاجتماعية على المجتمع الإماراتي في ذلك الوقت، وما تتضمنه تلك المرحلة من أحداث ثقافية ورياضية، حتى إنه في فصل بعنوان "نحن والمؤامرة" يطرح دور جمعية الإصلاح بتوجهها الإخواني في تسييس الدين في ذلك الوقت، وهو ما يحسب للعميمي فقد منح روايته صبغة تأريخية تشرح للقارئ ما يجهله من التاريخ الاجتماعي والسياسي والثقافي للمجتمع الإماراتي في ذلك الوقت، لتلعب الرواية دوراً معرفياً إضافة إلى الصنعة الأدبية فيها.

أما روايته الثانية "غرفة واحدة لا تكفي" فهي محاولة من العميمي لعصرنة الخرافة الشعبية الإماراتية أو ما يسمى بـ"الخراريف"، ليجعل منها "الخروفة" الإماراتية القادمة مستقبلاً، والقائمة على فكرة القرين أو الجن الذي يأتي ليغير حياة

بطل الحكاية، حتى إن بطل الحكاية لم تتغير مفردات حياته اليومية عن مفردات الحياة اليومية للمواطن الإماراتي.

ورغم ذلك فإن سلطان العميمي يطرح رواية عالمية بعناصر محلية إماراتية، وهو ما دفع الناشرين إلى ترجمتها بلغات مختلفة.

ثالثاً: التجريب:

يعيش سلطان العميمي في كل ما يكتبه من أعمال إبداعية هاجس التجريب، فمجموعاته القصيصة وروايتاه تكشف هاجس العميمي في التجريب، وهو ما جعله يلجأ للشعر تارة والقصة القصيرة تارة والرواية تارة أخرى للتعبير عن نفسه. ويظهر التجريب متجلياً عندما لجأ العميمي إلى أنسنة الأشياء لتلعب دوراً في رواية "ص.ب 1003" ، وهو ليس بالأمر الجديد؛ فعلى سبيل المثال غسان كنفاني في روايته "ما تبقى لكم" جعل من الساعة والصحراء بطلين يؤثران في أحداث الرواية ويتمازجان مع أبطال الرواية ويتفاعلان معهم، وعلى الرغم من أن أسلوب الأنسنة قد جاء أقل وطأة من كنفاني، ولكن يحسب للعميمي خروجه عن نمطية سرد قصة حب عادية، إلى حكاية حب مغايرة وخارجة عن الأطر الاجتماعية في ذلك الوقت، وفي نفس الوقت مؤثرة في عناصرها المحيطة حتى الجماد منها، وهو ما يجعل قراءتها السهلة بأسلوب العميمي في الكتابة تجربة ثرية مفتوحة على أبواب متعددة التأويل.

أما "غرفة واحدة لا تكفي" فإنها تميل إلى التجريب أكثر من الرواية الأولى، من خلال بنائها القصصي الغرائبي وأسلوب الكتابة المعتمد على رسم تفاصيل كل مشهد من الأحداث بعناصره المكانية والزمانية، التي منحت للرواية تلك الدهشة التي يسعى وراءها القارئ في كل رواية، وتجعله موثوقاً إلى حبل أحداثها المشدودة.

رابعاً: الفضول:

أحسب أن ما جعل العميمي روائياً هو فضوله، وصراعه مع فضوله الشخصي في البحث والمعرفة والإجابة عن الأسئلة المتراكمة في ذهنه، فالفضول كان محركاً فاعلاً في الروايتين اللتين جعلتا من عيسى ينتحل شخصية شخص ميت ويسرق اسمه وشخصيته وهوايته، ليعيش بالتالي حياة صديقه الميت. إلى بطل رواية "غرفة واحدة لا تكفي" الذي أخذ يراقب حياته من خلال سجانه الذي يشبهه، ليتهم فضوله لمعرفة ذلك الشخص الذي يشبهه أكثر من البحث عن حريته المسلوبة في غرفة صغيرة. وهو ما يجعل من الفضول سؤالاً أخلاقياً في ظل كافة الانتهاكات اليومية التي يتعرض لها الإنسان المعاصر.

ما قدمه سلطان العميمي في روايتيه حتى اليوم لا شك أنه له أبرز الأثر على حركة الرواية الإماراتية حتى اليوم، إلا أنه ليس كافياً لنصف المشروع الروائي للعميمي بأنه مكتمل العناصر حد النضوج، وإنما من يحدد هذا الأمر هو الإنتاجات الروائية القادمة للعميمي والتي قد تحدد مكانته كروائي بشكل أرسخ، ويثري المنتج الروائي الإماراتي بروايات قد تسهم في تسريع عجلة النهضة الروائية في الدولة.

> ما قدمه سلطان العميمي في روايتيه حتى اليوم له أبرز الأثر على حركة الرواية الإماراتية

> يعيش سلطان العميمي في كل ما يكتبه من أعمال إبداعية هاجس التجريب

أفق المسرح الذي نتطلع إليه

د. عبدالكريم جواد

الكاتب المصري الشهير، وأحد رواد النهضة المصرية الحديثة في القرن الماضي، سلامة موسى، يعلل تميُز الحضارة الإغريقية القديمة بنزعتين جوهريتين تمتعت بهما منذ وهلتها الأولى، «الحرية»، و«المجازفة»، بل هو يرجع اضمحلال الحضارة الغربية بعد الإغريق إلى انكماش حصل في هاتين النزعتين، ويعلل انبثاق النهضة الأوروبية الحديثة بعودة الروح إلى هاتين النزعتين، فهل كان الرواد من المسرحيين العرب وهم يحاكون المسرح الأوروبي منتبهين إلى نقل الروح مع الشكل؟ وهل نحن، الذين أخذنا المسرح عن هؤلاء الرواد، قد وصلنا شيء من تلك الروح؟ سؤالان جديران بالنظر فيهما.

على مستوى المسرح العالمي الحديث، فقد أخذ رواده الكثير من تلك الروح الغنية بالحرية والمجازفة، وليس أبلغ في التعبير عن ذلك من مقولة المخرج الإنجليزي المعاصر بيتر بروك: «عند أرتو: المسرح نار، وعند بريخت: المسرح رؤية واضحة، وعند ستانلافسكي: المسرح هو الإنسانية. ولماذا يتحتم أن تختار بينهم؟». كما عبر المخرج والناقد المسرحي التجريبي الإنجليزي جميس روس - ايفانز، على سبيل المثال، عن روح المجازفة في المسرح التجريبي قائلاً: «أن تكون تجريبياً يعني أن تقوم بغزو المجهول، وهذا لا يمكن التأكد منه إلا بعد حدوثه. وأن تكون طليعياً يعني أن تواجه الأمور في عينها» وقد وصفت فرجينيا وولف أعمال كتاب الدراما الحديثة الذين ازدهرت كتاباتهم في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي أمثال يونسكو، صاموئيل بيكت، هارولد بنتر، بأنها كتابات عن الصمت، عما لا يقوله الناس.

إذاً نحن في مقبل الأيام نريد مسرحاً يشب عن الطوق، فيتحول من الهواية إلى الاحتراف، بكل ما في الاحتراف من معنى، مسرحاً يتمرد على السكون، والثبات، وينبري لتواصل يومي بلا انقطاع، كجزء أصيل من حياة قائمة ناهضة عامرة بالأخذ والعطاء.

نريد مسرحاً يعكس كوامننا وهواجسنا وأحلامنا وتطلعاتنا بمساحات أعرض ومواقف أصلب؛ مسرحاً يرفض أن ينظر للأمور بزاوية أحادية، بل بزوايا ثنائية، وثلاثية، ورباعية، ولا عد لها؛ مسرحاً يختزل الماضي كل الماضي، ويفعل الحاضر جل الحاضر، ويستشرف المستقبل المنظور منه وما وراء المنظور.

نريد مسرحاً يتسلل بسلاسة أكبر إلى الوجدان فتنتشي به المشاعر، وتنحاز الضمائر إلى الأمل، فتتملكنا روح التغيير والتجديد والتبديل والخروج عن المألوف

والمحسوم والسائد والهامد والراكد والمتفق عليه.

نريد مسرحاً يتجاوز حدود الطرح المباشر، والفهم المباشر، والرمز المباشر، لصالح دوائر عرض لا متناهية، وخطوط أفق تظل أبداً سارية.

نريد مسرحاً قادراً على أن يستلهم الموروث بفاعلية، وأن يوظف النظرية الحديثة برؤية لا يخدشها تكلف أو اصطناع أو ادعاء.

نريد مسرحاً يتحدث بلغة الجمال، ويهمس بمنطق الطير، ويومئ للسحب فتبث رذاذ الخير.

وقبل كل ذلك نريد مسرحاً يحتضنه المجتمع ويحتضن المجتمع بعلاقة تبادلية، قادراً على الوصول إلى الناس بقدر ما يصل الناس إليه.

بيتر بروك

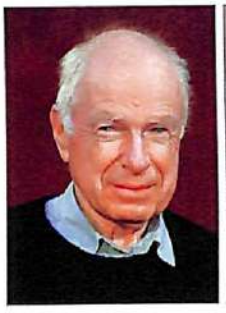

ستانلافسكي

ذلك هو المسرح الذي نهفو إليه ونرتجيه.

إننا إذ نؤمن بالمسرح ودوره الفاعل في المجتمع، فإننا نؤمن أن المسرح حالة من الانتشاء، وفرح من ذاته لذاته، ونشاط جمعي يروم الفرد من خلاله أن يهزم الغربة والاغتراب في روحه البشرية المشحونة بالقلق في مجتمع مدني حديث توالت عليه الضغوط من كل حدب وصوب. نعم، المسرح يفت في عضد غربة الدار، ومرحلة الانتقال، وبواعث الانكسار؛ المسرح مقاوم فاعل للاغتراب، والانكفاء على الذات، والانعزال عن الآخر والآخرين.

المسرح هو النداء الأثير غير المشروط للتواصل الجمعي، والتعاضد الجمعي، والتآزر الجمعي، هو النداء إلى الحد من جفوة الأحبة، وطغيان العزلة وسيطرة الآلة على حياتنا المعاصرة، المسرح هو البوح الإيجابي الذي يستثمر فينا الحس الإنساني، والذي ينتشلنا من بوح أبكم أحادي مع جهاز التلفاز أو الحاسب الآلي أو جدار الحجرة المعتمة. المسرح هو لغة الألفة المفعمة، والمودة المرهفة، المسرح هو السكينة التي تعيننا على التقاط الأنفاس، وهو الميناء لسفن أنهكها الإبحار، وقد حان لها أن ترسو بسلام وأمان، ثم تواصل المشوار بحيوية وطاقة وانطلاقة جديدة.

الكتابة

تاريخ عميق من المنافع لإنسان غير مبالٍ

فاطمة المزروعي

لا أعتقد أن وظيفة الكاتب - المؤلف - تلقى الاهتمام والجدية التي تتوافق مع أهميتها القصوى في مختلف بقاع العالم وخاصة في عالمنا العربي المثقل بالتعثر الاقتصادي وانتشار الفقر والفاقة في حين وفي الحروب وانعدام الأمن في أحيان كثيرة.

لذا فإن الدول التي تولي المؤلفين الرعاية وتقدم لهم برامج دعم مثل توفير المردود المادي والتفرغ للكتابة والتأليف، وأيضاً التدريب الإبداعي وغيرها من أوجه الدعم مثل الطباعة والتوزيع، تعتبر قليلة وتعد على أصابع اليد الواحدة، البعض من الدارسين والباحثين وأيضاً النقاد في مجال الكتابة والتأليف، لا يرون بأن الرعاية والاهتمام بالمؤلف تولد الإبداع والتميز، ويستندون في رأيهم إلى إرث طويل وكبير جداً لمؤلفين شقوا طريقهم نحو العالمية والتميز بجهود فردية وبموهبة قاموا هم بتطويرها والسهر على صقلها دون أن يجدوا أي رعاية أو برامج تهتم بهم، وإن كان مثل هذا الرأي يحمل البعض من الصحة كونه يستند إلى واقع مشاهد وتوجد له عدة نماذج، إلا أنه وفي اللحظة نفسها نجد من

يدعو لإقامة مشاريع معرفية يتم خلالها رعاية المؤلفين والمبدعين في المجال الكتابي، ودعوتهم مبررة بل تكتسب الأهمية لأن وظيفة الكتابة نفسها هامة جداً، وتعد من أهم الأدوات والمخترعات أو الكشوف التي وضع الإنسان يده عليها وساهمت بقوة في نقله وتطور، إن تدشين مثل هذه البرامج لاستقطاب المؤلفين اليافعين ومن هم في مقتبل العمر حتى تنطلق مسيرة الكتابة والتأليف وتتطور بشكل تلقائي عمل في غاية من الأهمية في عالمنا العربي.

الكتابة والتأليف لها أثر بالغ وهام على البشرية برمتها وعلى مر التاريخ، وهو أثر أعتقد أنه لا يخفى على الجميع، لأنه وببساطة كان شاملاً في كافة مفاصل الإنسان نفسه، ثم على تاريخه وحياته وتقدمه وتطوره، لدرجة أن الكثير من العلماء والباحثين في مجال تاريخ البشرية والآثار، يعتبرون أن الحقبة البشرية تنقسم إلى قسمين، حقبة ما قبل الكتابة والأخرى ما بعد الكتابة، أما تلك التي كانت قبل اكتشاف الكتابة أو اختراعها، فقد كانت موغلة في التخلف، فلا معلومات تحفظ ولا مبتكرات تنقل للأجيال التالية، ولا يمكن المحافظة على أي معرفة جديدة تم اكتسابها، ولا توجد أي طريقة تم اكتشافها لتسهل الحياة، والذي يحدث في تلك الحقبة أن الإنسان كلما وجد وسيلة جديدة للصيد على سبيل المثال فإنه يمارسها حتى يموت، وعندها تنقطع ولا تنقل إلى الآخرين، لأنه لا يملك الأداة التي ينقل بواسطتها خبراته، رغم أن لديه الدافع والرغبة في مشاركة المعرفة، وهذا الجانب أوضحته الرسوم والنقوش التي تم اكتشافها في البعض من الكهوف وعلى البعض من الصخور، والتي بينت محاولات الإنسان القديم لنقل معارفه وتجاربه ورحلات صيده للأجيال التالية. لكن الثورة الحقيقية التي تمت ونقلت البشرية نقلة مدوية كانت باكتشاف الكتابة وتطويرها باستمرار، رغم أن نجاح وتمكن الإنسان من الكتابة مرت بمراحل كثيرة وتطويرات عديدة، إلا أنها كانت الخطوة الرئيسية الرائدة للبشرية نحو التطور والتقدم.

حاجة

عند النظر في تاريخ الكتابة، نسمع آراء لعدد من العلماء يؤكدون أنها نبعت وباتت حاجة مع تمكن الإنسان من الاستقرار والزراعة واستئناس البعض من الحيوانات وتربيتها، بدلاً عن حياة الترحال والتنقل المستمر في مطاردة الفرائس، ويقال بأن هذا الاستقرار هو الذي جعل الكتابة واقع لا مفر منه، لأنه مع استقراره وعمله في الزراعة وتربية المواشي، بدأت تظهر التعاملات البينية بين الناس، ومعها بدأت تظهر الحاجة للتوثيق ومعرفة الحقوق ونحوها من الاحتياجات، فقد كان المزارعون بحاجة لتسجيل مواعيد الزراعة، مثل متى ينثرون الحبوب، ومتى يحرثون، بمعنى

> للكتابة والتأليف أثر بالغ وهام على البشرية برمتها وعلى مر التاريخ

> الدول التي تولي المؤلفين الرعاية تعد على أصابع اليد

كانوا بحاجة لمفكرات حتى في مجالات الحساب للمحاصيل الزراعية وكميتها لتسديد الالتزامات تجاه الآخرين بعد بيع أو مبادلة الحصاد، وقد وجدت آثار قديمة جداً لأشكال طينية يعود تاريخاً لنحو تسعة آلاف عام قبل الميلاد، وفي مرحلة لاحقه وجدت آثار لمحاولات للكتابة كانت عبارة عن أشكال وتطور في النقوش، وهنا أود التوقف لتبيين نقطة جوهرية تتعلق بتاريخ الكتابة نفسها، فهي في مسيرة البشرية وعمرها الطويل، ليست بذاك القدم، بمعنى لم تظهر الكتابة والحاجة لها مع فجر البشرية مباشرة، بل مضت عقود وقرون طويلة، لذا عندما يتم الفصل بين حقبتين من تاريخ البشرية، وتحدد بقبل الكتابة وبعدها، فهو فصل صحيح من وجهة نظر عدد من علماء الآثار ودارسي التاريخ البشري.

علم الكتابة

إن الأثر العظيم الذي أحدثته الكتابة في مسيرة الإنسان، جعلها علم قائم بحد ذاته وهو علم مفتوح يمكن الإضافة له، وفي هذا العصر يتم الحديث عن أنواع للكتابة، وإذا كنت أتحدث عن الكتابة الإبداعية الأدبية، فهي أيضاً تنقسم إلى أشكال وأنواع، وإذا حددنا أحد هذه الأنواع أو الأقسام بالحديث فسنجد أنه هو أيضاً له أنواع، لن أذهب بعيداً وأستحضر مثالاً لأن المثال دوماً يساعد على الفهم والتوضيح، وينحصر في أن الكتابة نفسها وبشكل عام لها أنواع، ومنها الكتابة الأدبية، وإذا خصص الحديث فقط عن الكتابة الأدبية، فإننا سنجد أن لها أجناساً، مثل الشعر والقصة القصيرة والمسرح والرواية... إلخ. فإذا اخترنا نوعاً منها، وعلى سبيل المثال الرواية، فسنجد أنها أيضاً تنقسم إلى عدة مجالات، حيث سنجد الرواية البوليسية والتاريخية والمكانية والوصفية... إلخ. لذا وعند هذه النقطة تحديداً من الطبيعي أن نجد كل هذه الغزارة وكل هذا التنوع، بل كل هذه الآراء المتضادة المختلفة أو المتفقة والمؤيدة.. في الحقيقة أنه ومنذ فجر الكتابة والإنسان بين يديه الكثير من المعلومات وما يمكن أن يكتبه وينقله للأجيال التالية، وهو في مسيرة متواصلة للشرح والابتكار والتنويع والزج بمصطلحات وسحب أخرى وابتكار وسائل جديدة، والتجديف ضد طرق قديمة، وكل تيار يحاول أن يقدم المتميز والأكثر حضوراً وتقبلاً، ولكن هذه الصفة ستجدها أكثر وضوحاً لدى مؤلفي الإبداع الأدبي، المشغولين دوماً بالتفكير والتساؤل كيف نذهل القارئ ونقدم نصاً مغايراً متميزاً مبدعاً متفوقاً.

الكتابة منحت الإنسان التفوق، منحته التميز، ولكن الأهم أنها منحته القدرة على التطوير وحفظ المعلومات، وبما أننا في زمن ننعم فيه بخصال الكتابة وحسناتها الكثيرة جداً والمتنوعة، بل ننعم بنتائجها المذهلة ونجاحها في قيادة البشرية نحو التطور والرقي والحضارة، فإنه من البديهي أن ينشأ لها الدور والمعاهد والمناهج التي تحث على الإبداع والتميز فيها، وأن تكون هناك برامج متواصلة وقوية تدفع نحو التطوير في هذا المجال، وأي تراجع أو عدم حماس في هذا المضمار فإنه ودون شك سينعكس على مجالات الحياة الأخرى.

بين الكاتب والناقد

لو قدر لك وتوقفت أمام أي مؤلف وكاتب، وسألته ما الذي تعنيه الكتابة والتأليف له؟ وما هو شعوره وهو يمارس هذا الفعل؟ فإنني أجزم بأنه سيعبر عن السعادة كونه واحداً ممن يبذل كل ما بوسعه لاحتراف هذا العمل، أو إذا صح التعبير احتراف هذا الجهد وبذله، لأن في الكتابة فضلاً عن خصالها العظيمة الأخرى لذة عظيمة وفائدة كبيرة لكل من يتوجه نحوها، وهذا الجانب هو الذي يجعل كل مؤلف يراهن على الفعل الكتابي أكثر من سواه من المفاهيم التي تتعلق بالنوع أو التخصص أو غيرها من المصطلحات التي أرهقتنا، والكثير من المفاهيم المعقدة أو المبهمة.. ستجد مؤلفين تغمرهم الحماسة ونشوة الفخر كونهم ممن يمارسون التعبير عن الأفكار والركض خلفها وتدوينها، ومرد اعتزازهم وسعادتهم تعود لكونهم يصبون جهودهم في الحقل الذي نقل أو ساهم في نقل البشرية وتطورها، أو المجال الذي كان له الدور العظيم في تقدم الإنسان ورقية وتميزه

وإبداعه، هذا في جانب الحديث عن المؤلفين ومن يمارس الكتابة، أما القراء فعليهم أن يتذكروا ما قاله الروائي التركي الفائز بجائزة نوبل أورهان باموق: « المهارة ليست بقراءة المكتوب فقط». ولعلي أنتهز المعنى العميق الذي تحمله هذه الكلمات لأقول بأنه ومن هنا يصعد دور القارئ للواجهة، كونه هو المتلقي، ومن وجهة نظري هو الفيصل والحكم والمحك، هو الصدى لأي نص، أو إذا صح التعبير لأي كتابة يقوم بقراءتها، فما هي الكتابة دون وعي القارئ دون فهم المتلقي؟ ولو لم تكن البشرية متلقى للفعل الكتابي لما تطورت ولما تقدم الإنسان.. إذن رغم كل مصطلحات النصوص وجميع نظريات النقد، فإنني أعتبرها تتوقف عند نجاح النص، عند تلقيه الحسن والإشادة من القراء، مهما كان رأي النقاد أو المدارس النقدية وبحثوها ودراساتها.. وكما قال المؤلف المسرحي والشاعر الفرنسي موليير: «على الإنسان أن ينظر لنفسه بتأمل وعمق قبل أن ينتقد الآخرين» بل كما قال الناقد كينيث تينان: « الناقد رجل يعرف الطريق ولكنه لا يعرف القيادة». ولعل هذه المقولات تقودنا نحو التوقف عند الفرق الجوهري بين من يمارس الكتابة، وبين من يقوم بدور الناقد، وهو يفتقد لجوهر هذا الفعل وقيمته، أو عدم الإلمام بعمقه أو عدم المعرفة بالتعب والألم التي يعانيها المؤلف عند الكتابة، أو عدم تقدير هذا الجهد، والاكتفاء بإصدار حكم تحت أي عنوان من عناوين النقد المعروفة.. وفي العموم تظل الكتابة رغبة للتنوير وأداة مثلى وهامة لنشر المعرفة، وأعتقد أن هذه وظيفتها منذ فجر تاريخها، وأيضاً ستبقى هذه وظيفتها رغم كل النظريات التي تدرسها وتوزع أدوارها ووظيفتها ورسالتها، وهي ستبقى الفعل الأجمل في عقل وقلب كل مؤلف، رغم أنه قد يتعرض في كثير من الأحيان لسوء الظن أو التجاهل، رغم أنه قد نزف شيئاً من روحه بين الكلمات، أو أن يحصد الجليد والبرودة كردة فعل على منجز أخذ منه الكثير من الجهد والأرق وكأنه قد تركه هرماً متعباً، ورغم هذا يعود مراراً وتكراراً لحضن الكتابة بعشق وشوق.. وكما قالت الكتابة والمؤلفة ناتالي غولدبيرغ: «تحدثنا عن آرائنا ككتاب كيف هي قوية وشجاعة، ولكننا جبناء في أعين الناس، وهذا ما يسبب لنا الجنون وهذه الهوة بين الحب الكبير الذي نشعر به تجاه العالم عندما نجلس للكتابة عنه، وبين التجاهل الذي نتعامل به معه في حياتنا البشرية الخاصة».

هموم الكاتب

وكما يتضح لنا فإن الفعل الكتابي تحيط به شجون وهموم وعقبات تقود مهمة التأليف نحو السمو ولتصبح وظيفة نخبوية جديرة بالاحترام، والسبب ببساطة متناهية، لأنهم – المؤلفين – يصارعون على عدة جبهات، يقاومون الناشر القاسي الجامد، ويكتبون لناقد غير واعٍ، ولقارئ غير متفهم، ودون أي غطاء وسياج للحماية.. بعد هذا جميعه ألا يتضح لنا دور الكتابة ودور من يمارسها، ومن يعمل على تطويرها؟ ألا يتضح لنا عمق هذه المهمة، وتاريخها الضارب العمق في تاريخ الإنسان؟ وقبل هذا وبعده ما هي العلوم والمخترعات والمبتكرات دون الكتابة والتأليف، دون أن يكون هناك ثلة ممن أخذوا على عاتقهم وظيفة القلم وإرشاد البشرية وحفظ وصون تراثها وذاكرتها من الضياع، كم نحن بحاجة لمناهج التعليم والتطوير في مجال الإبداع الكتابي، والأخذ بيد كل من توجه نحو هذا المضمار، ومنحهم فرصة التحليق في سماء الإبداع ورسم خيالات من الآمال والطموحات، والكتابة عن شغف الإنسان وتطلعاته، عن بؤسه وشقائه، تفاؤله ونجاحه، وإذا لم يقم الكتاب والمؤلفون بهذه المهمة فمن لها إذن؟!.. بل من الذي سيبلغ كل قارئ بأن الكتابة والتأليف شفاء وعون وفعل جميل يعود ويرتد عليه بالفائدة والخير، كما قالت الكاتبة والمؤلفة هنرييت كلوزر: «الترياق الأفضل للقارئ العليل، هو في الكتابة».

وفي حضرة الحروف والكلمات، وعمقها الضارب في الزمن، وأثرها العظيم جداً، هل يجدر القول بأن الكتابة تاريخ عميق من المنافع لإنسان غير مبالٍ؟!.

> منحت الكتابة الإنسان التفوق، ولكن الأهم منحها إياه القدرة على التطوير وحفظ المعلومات

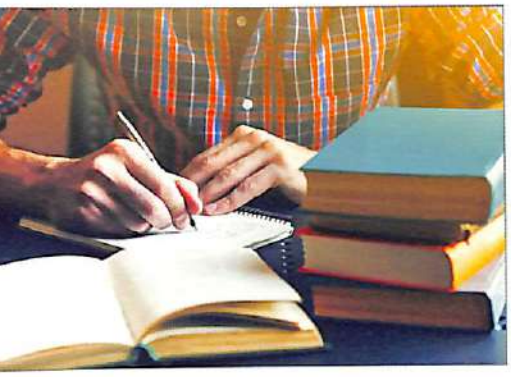

> كل مؤلف يراهن على الفعل الكتابي أكثر من سواه من المفاهيم التي تتعلق بالنوع أو التخصص أو غيرها من المصطلحات المرهقة

منصات التواصل الاجتماعي أنموذجاً

لا.. ضبط الخطاب

د. جبار صبري

بمقولة: إن الكائن أثر كائن، وهو بمقدار ما يظهر من شيء بمقدار ما يخفي من أشياء أصبح ذلك الكائن لا هامشاً في هذا العالم ولا مركزاً. ويعني ذلك أن نسبةً منه حاضرة في تحريك خطاب وبوصلة هذا العالم وهي لا تستطيع أن تؤكد ذلك الحضور إلا من خلال حاجتها إلى نسبة أخرى. أثر آخر يدل عليها ويمنحها صفة الوجود والحضور على نحو ما. هذه المقولة يمكن أن تكون الشفرة المناسبة لما عليه الخطاب العولمي المعاصر والذي يتخارج عنه التمثيل السياسي عبر دمقرطة الكائن والكون في آن واحد.

الكائن الثقافي

ولمّا تحول الكائن الحي في هذا العالم من كائن سياسي إلى كائن ثقافي بدواعي خطاب العولمة من جهة، وبدواعي أن المعنى يكمن عند كل آخر مختلف نتيجة توجه الخطاب على أن جميع الكائنات إنما هي آثار كائنات محوجة إلى غيرها من جهة ثانية. صار ذلك الأثر، أيّاً كان وضعه الحضوري: وظيفة، معنى، سلوكاً، صار عاملاً مشتركاً في صناعة الخطاب.

كسر الحد والبوصلة

من هنا باتت الحدود غير ملزمة وغياب الحد بذاته يعد غياباً لكل سيادة وانكسرت البوصلة الواحدة في تحقيق اتجاه خطابي واحد للفرد أو الدولة أو حتى صناعة هوية واحدة عامة. بل غلب التعدد ليس على مستوى الآراء بما تحمله من فوضى ولكن على مستوى الهوية أو الخطاب. كل فرد يعد دولة أو كوناً وبالوقت عينه هو لا دولة ولا كون. إن غياب الحد من شأنه أن يضيع علينا المعيار.

شدة الاستهلاك منصات الافتراض

نحن في الوقت الذي نمارس فيه دورنا بقول الرأي على نحو تشكيل خطاب ما هو الوقت ذاته الذي لا يكون رأينا إلا افتراض رأي. ولكن هذا الافتراض القادم من عموم الجماهير وإن كان في عالم رقمي لا حدّ لوجهته إلا أنه يعمل بقوة بل بإرادة فاعلة في تفعيل حركة الكائن من جهة، وحركة نموذج الخطاب وهوية الدولة من جهة ثانية. وقريباً سوف يحلّ التفارق بين أنموذج الدولة والنظام وأنموذج ثقافة الجماهير في خطابها اللامنضبط والنافر من الحدود والنظام والسيادة. وما تكون عليه الدولة من حقيقة قارة في الزمان والمكان والنظام والهوية سوف يصبح مجرد افتراض بلا مكان أو هوية واضحة أو حقائق يمكن أن تكون لها مصاديق عملية في الواقع المعاش غير مصاديق الافتراض اللامنضبط.

كنز المعلومات المشتت

نشعر جميعنا بثمن باهظ لما نكسب كل يوم من معلومات وافرة فيما نتداول عبر عوالم الإنترنت؛ عبر منصات التواصل الاجتماعي، ولكننا أيضاً نشعر بالضياع، وأن تلك الكثرة الكاثرة من الآراء والقراءات – وخاصة فيما يتعلق بالخطاب والهوية والتي تتناسل كل يوم بمزيد من الفوضى وكسر البوصلة – ستؤدي بنا إلى لا متجه؛ إلى الكثير من فقدان الوضوح في الرؤية، وإلى فقدان الأمل وأن ما نسافر به والذي هو مجرد افتراض لا سكن له إنما لنفخ وتعظيم بالون الفوضى الممتلئ بهواء مسحور وجذاب وبالوقت ذاته يكون الفارغ من كل معنى، والمتفجر بسرعة لا بالفناء بل بالامتلاء والحضور.

الأنا الهامش مركزاً

في ثقافة إلغاء مبدأ التراتب وإباحة الرأي للجمهور عموماً في تصنيع الرأي الضاغط في الإنتاج والحضور تكون تلك الأنا الهامشية مصدراً من مصادر إنتاج الخطاب. وبدلاً من أن تكون في مدار ملعب ولعبة

> شدة التهديد الواردة من التداول الهوياتي الرقمي تصادر عنها مضاعفة التأكيدات الهوياتية الفرعية التي تقابل وتضادد رقمنة الهوية العامة

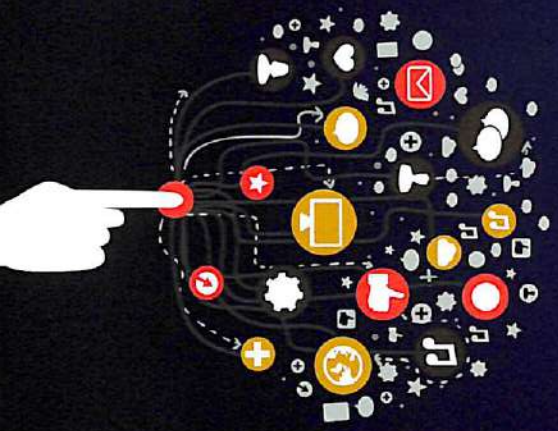

> غلب التعدد ليس على مستوى الآراء بما تحمله من فوضى ولكن على مستوى الهوية أو الخطاب

الخطاب ذاته ستكون أيضاً اللاعب الأشد غطرسة في الإنتاج. آنذاك يتساوق اللاعب واللعبة والملعب على نحو واحد ولا فرق يتجلى بينهما. ولمّا كانت اللعبة في مجملها افتراضاً ومجرد تناسل آراء كانت النتائج متجاوزة للحد الواقعي في رسم ملامح الخطاب وأيضاً متجاوزة لتحديد نسبة حضور الأنا اللاعب في تلك اللعبة. الأمر الذي يعيد بطريقة التدوير تلك الأنا إلى مصاف المركز، وإن كانت هذه الإعادة من مدخل آخر مختلف.

مرض التذاهن العام

السعة التي يتحول فيها الكائن في مدار الزمن بوصف أن العالم الرقمي يعد عالما زمانياً، إن تلك السعة تضغط أن يكون العالم برمته ذهناً واحداً يلمّ في مجاله الرحب كل أفكار أو آراء البشرية التي يتم تداولها الآن، في اللحظة والتو. وأن هذا التداول وإن كان يلغي المسافة ويقلل الفائض ويذيب الحجوم ويمحق المكان الواحد والجسم الواحد إلا أنه ومن تداعي ذلك التذاهن الكبير في إنتاج الخطاب سوف تتعزز غربة انطواء الأنا على بصمتها وفرادتها وأن تلك الغربة سوف تجعل من ذلك التذاهن مرضاً مستقبلياً تصاب به الجماهير لأنها غير قادرة على إدراك الفرادة في ذاتها طالما هي في مجال يهضم في معدته الكبيرة كل حدّ أو سيادة أو قرار ذات. هكذا يصير خطابنا كأفراد أو جماعات أو دول إنما هو تذهن منفلت لا وجه له إلا وجه المعنى المتناسل على الشتات والفوضى وعلى إلغاء الحد والفرد على نحو سواء.

مصفوفة الوطن

إزاء الانتشار الحركي لذهن الجمهور في التداول الرقمي تكمن خاصية الحضور الزماني على حساب غياب العامل المكاني. ذلك على اعتبار أننا عندما نتواصل عبر الإنترنت إنما نتواصل في الزمان مع الإدراك بتغييب المكان. هذا يعني أن السفر الزماني

الذي نتداوله كل ساعة بل كل ثانية إنما هو سفر الحضور: حضورنا في هذا العالم الذي نتأكد منه كل ثانية وكل ساعة. وبلا ذلك السفر لا يمكن أن نطمئن لوجودنا أو حضورنا. وبالتالي إن اللاسكن الذي هو ناتج ذلك السفر هو ما سيعم علينا بنعمته ونقمته في آن واحد: نعمته لأنه دليل حضورنا، ونقمته لأنه يجعل كل سكن لنا مجرد مصفوفة رقمية في هذا العالم. وبالنتيجة لا نجد الوطن بوصفه المكان الأم إلا تلك المصفوفة التي هي عالقة في رفوف كثيرة من مصفوفات السفر واللاسكن. من هنا سيكون النظر إلى التخاطب والخطاب على أنه نقطة رحيل وحركة لا يمكن أن تقرّ على مكان محدد أو حالة واحدة أو فكرة ما. ولا مناص من تلك الحركة طالما لا مناص من التواصل لتأكيد حضورنا أو وجودنا.

البنية الرقمية

ليس على غرار بندول الساعة يتناوب أو يتعاقب في تبيان موضعه: مرة في أعلى الليل ومرة في أسفل النهار أو بما يترادف حسب التوصيف التوليدي في النظام اللغوي الذي يقرر نمذجة الهيكل البنائي على نحو: تحت، فوق؛ مادة، معنى. بل سوف تلغى هذه الثنائية. إننا نصير مجرد معان سائبة في طريق الفضاء الرقمي وهذه المعاني مجردة من أجسامها بمثل ما هي مجردة من جميع العوامل المكانية. ولما كانت هي مجرد تصورات عابرة محلها الزمان وحسب. آنذاك يكون التداول لا على أساس يقر بوجود بنية تحتية بل يلغي ذلك من التصنيف ولا يتبقى من الهيكل إلا البنية الفوقية: سلسلة القيم المستخلصة من تلك اللغة التواصلية. الأمر الذي يعيد تشكل الخطاب على أنه معان سائبة في فضاء غير متناه. أي إن التواصل يتجرد من الموضوع العيني ويتجسد بطريقة مقلوبة في الذات المعنوية. وهنا تحلّ الرؤية ويغيب الملمس إذ إن ما نراه هو افتراض ما نراه مع ذلك هو كل ما نراه. وهنا سيبدو الخطاب وهماً مضافاً لا أكثر من ذلك.

رقمنة الهوية

ثمة تفارق ملحوظ ومطرد بين ثقافة تجر الإنسان في آنيتها إلى الكونية الشاملة المتجاوزة لكل خصوص وإلى التجذر والأصالة وثبات الهوية والتقاليد التي اعتادها، أدواراً وأطواراً، في سيادة نوعه الثقافي ومائزته الحضارية والتي هي من تمايزات ماضيه العريق والقارّ في لا - وعيه كقوى تحرك وعيه الآن في الحد المعلوم والخاص. هو التفارق بين وجود خطاب وبين نفي الخطاب أو بين وجود خطاب موجّه معلوم الأبعاد وقادر على حفظ الهوية المعنوية المائزة ووجود خطاب اللاخطاب وغير الموجه أو المعلوم والذي من أسبابه في الانتشار أسباب تدمير الهوية الخاصة.

إن تشكيلنا الهوياتي الجديد الناتج

عن التداول الرقمي المتسارع والمتكاثف والذي أسهم في تقليص الفائض من الكتل والأوزان والحجوم وإلغاء المسافة إذ جعل البعد قرباً متناهياً في الوعي الرقمي العام. في ذلك الذهن الواحد. صار يلزمنا هو الآخر بإلغاء الهوية؛ بل تذويبها في هلامية العموم اللامحدد بل تذويبها في الفضاء اللامنضبط. وبالتالي بلغ الإنسان المحلي من المعاناة ما بلغ إذ تجلى الصراع عنده على شكل قيمة أولية قارة في ماضيه الأثير الذي يحدد به نموذجه الثقافي المائز والمتفرد وبين حاجة وممارسة آنية وحاضرة تدق فيه ناقوس خطر إزالة تلك الهوية: هو صراع العقيدة الراسبة في الضمير المتوالد من قرن إلى قرن وصراع نفي تلك العقيدة والتماهي مع الهوية الزمانية العابرة لكل خصوص.

من هنا تمظهر الانكفاء الهوياتي المحلي وللتعبير عنه أكثر لما يعانيه من تهديد مطرد تلازم بالإعلان عنه كل ساعة بل كل ثانية وتناضحت عن ذلك التفارق نزاعات الخطاب الاثني المتضادة وبدت تأكيدات الهوية الفرعية تشتد لتعاين حضورها المفارق أصلاً لمقاومة الهوية الرقمية اللاغية للحد والخاص والفردي أو النوعي. كأنما شدة التهديد الواردة من التداول الهوياتي الرقمي المبني عن حاجتنا في التواصل اليومي تصادر عنها مضاعفة التأكيدات الهوياتية الفرعية التي تقابل وتضادد رقمنة الهوية العامة. الأمر الذي أفضى إلى مزيد من الحروب الطائفية أو غيرها تحت عنوان تأكيد الهوية الخائفة من بالوعة الهوية – اللاهوية الرقمية الضاغطة.

معدة الفراغ

ما يجري هنا أو يجري هناك هو افتراض إجراء. ومع ذلك إن ذلك الافتراض نشعر بطغيان صوته وحضوره، إن رأينا في واحة لا نهاية لها من الآراء وهو يسعى في تشكيل نوع الخطاب القادم بأسباب منصات التواصل الاجتماعي الجديدة لا قيمة له لأنه مشتت من جهة، ولا يؤخذ به من جهة ثانية. وإنه مجرد امتلاء لمعدة ذلك الخطاب الرقمي اللاخطاب من جهة ثالثة. ومع هذا هو ما يمكن أن نجد أنفسنا فيه. بل هو قوتنا في ذلك التواجد أو ذلك الحضور هنا أو هناك لا فرق. لكن ذلك التواجد الذي يراد له صناعة خطاب هو التواجد في الفراغ: فراغ الرقمنة كمعطى تكنولوجي وفراغ الشفرة التي توجه الكائن نحو هدف هوياتي معلوم. وهكذا يمكن أن نكون سلسلة من المدلولات العائمة في بحر من الفوضى الذي هو بالأساس يعد بحراً من الفراغ.

الرمز أسطورتنا الكبرى

بدلاً من الرؤية؛ من وضوح تلك الرؤية التي كان الخطاب المؤدلج يعمل على ثباتها. بل على حراستها لأنها صمام أمان سيادة الفرد والجماعة والدولة. بل صمام أمان التأريخ العملي لترسيم حدها ونموذجها فيهم جميعاً عبر وسائل الإعلام القديمة: تلفاز، إذاعة، صحف، مجلات... بدلاً من تلك الرؤية نزل الرمز: نزل الرمز ليس بوصفة أداة من أدوات التعبير وإشارة ما من سلسلة الإشارات التي توافقت عليها المجتمعات؛ كل حسبما يتفق، بل نزل كغاية عظمى تتوارد الكائنات والأحداث والأفكار فيه. إن شبكة الرموز الذائبة في معان من الرموز والتي لا نهاية لها هي أسطورة العصر الرمزي الذي نعيش بامتياز؛ إذ من لم يلج تلك الأسطورة الرمز لا وجود له لأنها بمقتضى الضرورة: ضرورة التواصل أصبحت مقتضى الحال والوجود. هذا ما يجعل خطابنا غابة مرقومة من الرموز التي لا بداية لها ولا نهاية. الأمر الذي يزيدنا متاهة في العودة إلى الرؤية أو الخطاب التقليدي المنقرض تدريجياً. موت الرؤية التي هي معادل لوضوح الاتجاه والقصد والنموذج والأدلجة المعلومة ألزمنا أن نحلّ في حيوات الغموض واللامتجه والفوضى؛ ألزمنا أن نمضي في وجودنا بدالة استعارة وجود وليس بدالة حقيقة وجود. هو الإلزام الذي هو بمقدار ما يكون ممارسة وأداء يكون قيمة وخطاباً متعالياً.

> نزل الرمز كغاية عظمى تتوارد الكائنات والأحداث والأفكار فيه

> سيكون النظر إلى التخاطب والخطاب على أنه نقطة رحيل وحركة لا يمكن أن تقرّ على مكان محدد أو حالة واحدة أو فكرة ما

وسائل التواصل الاجتماعي

تشبيك الأفكار وصناعة المستقبل المجهول!

أ.د. ياس خضير البياتي- جامعة عجمان

يمكن القول بأن الإعلام الجديد قد ساهم بقوة في رفع منسوب الوعي لدى الشعوب، وأن الشبكات الاجتماعية بالذات قد أفرزت قيماً جديدة لعل أهمها بالمطلق القبول بالآخر في تنوعه واختلافه وتباينه مادامت المطالب موحدة والمصير مشتركاً. ولم يكن لهذه الشبكات أن تؤثر وتدفع بجهة التحول، لولا توافر القابلية لذلك. لكننا لا ندري على وجه الدقة كيف ستنتهي هذه الثورة المعلوماتية، كما كان العالم القديم يجهل ما كان يعنيه اكتشاف الطاقة النووية. وكانت الآراء أن العالم اكتشف وسيلة لتوليد الطاقة وتحريك المعامل لما فيه خير البشرية ليكتشف لاحقاً أنه فتح باب الحروب التدميرية الهائلة لتدمير العالم وإشاعة الخوف والقلق وإرهاب العباد والدول ضمن الحروب النفسية. مثلما لا نستطيع اليوم أن نقرر بالتحديد مستقبل البشرية في هذا الكم الهائل والمفزع للمعلومات التي تتدفق في قنوات الإعلام الجديد، والفوضى للأفكار والمعلومات التي تزيد من القلق والإحباط واليأس للبشرية.

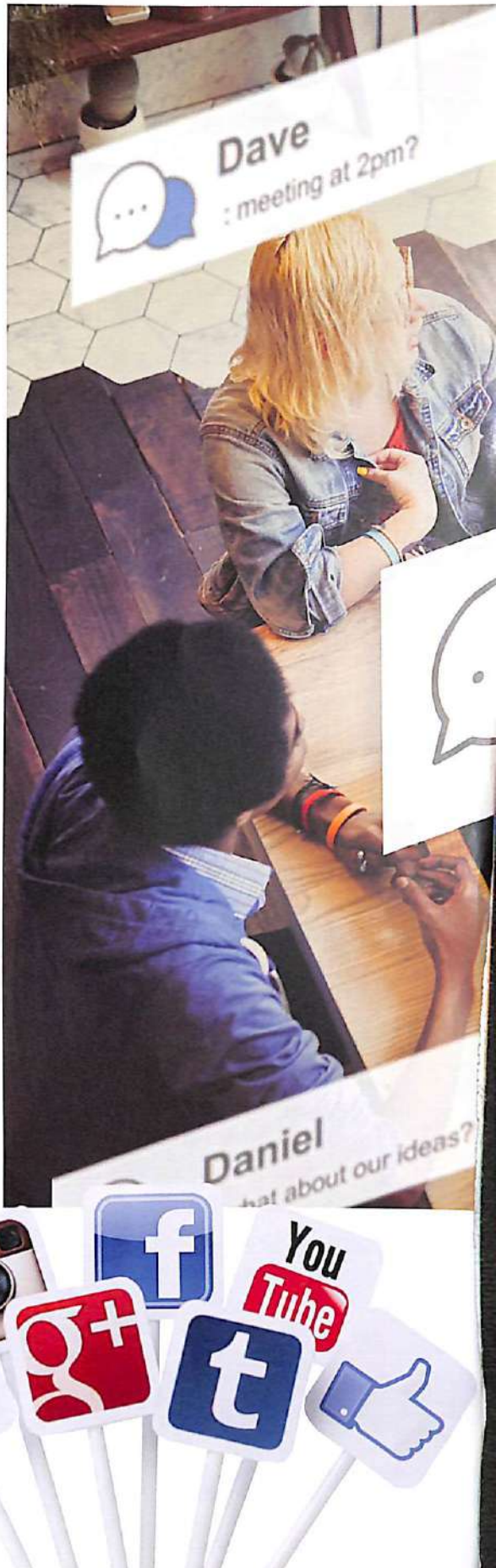

بالمقابل فإن الإعلام الجديد الذي صنعته الثورة التقنية له محاسنه ومساوئه، فهو وسيط لنقل الثقافات وتبادل الأفكار وتقييمها وساحة للتحاور والنقاش ووسيلة عرض وتسويق لإنتاجات المبدعين وميدان لإجراء البحوث والدراسات واتجاهات الرأي، مثلما هو أيضاً وسيط لنشر الأفكار الخاطئة ووسيلة لنشر الإشاعات والتحريض والتشهير، لكن من الطبيعي أن أي منتج تبرز سلبياته في بداية الاستخدام وتتلاشى مع توجه الناس للانتفاع منه. وبالرغم من إيحاء الإعلام الجديد بصفة الفوضوية، فإنه يمكن أن يكون منظماً وهو ما لا يمكن تحقيقه إلا من خلال مستخدميه بالدرجة الأولى، لأن هذا النوع من الإعلام تصعب السيطرة عليه، والطريقة الأمثل للتعامل معه هو التوعية ودفع مستخدمه إلى الإحساس بالمسؤولية، لأن الأنظمة مهما بلغت حدتها لن تكون رادعة على الرغم من نجاحها في حد إساءة الاستخدام.

إن تقويم وسائل الإعلام الجديدة ترتبط بعناصر أساسية أهمها:

1- الإعلام لا قيمة له، إلا بالنسبة إلى الذي يعرف كيف يستخدمه، ولا معنى له إلا بالنسبة إلى من يذيعه، وهو يمثل سلطة على الذي يفهمه، والذي يملك بعض الوسائل ليجني منه الربح.

2- كمية الإعلام لا تحدّد عدد المشتركين، والإعلام لا يبشر بالديمقراطيّة، وما يحدّد جوهر الديمقراطية ليست كمية الأخبار الجديدة، والصحف، بل الصراع ضد التميز

> التعددية في مصادر إنتاج القيم، كان لها انعكاسات على منظومة القيم الاجتماعية والثقافية، أسهمت في بروز أنماط جديدة من العلاقة مع المرجعية والهوية

> يبدو الجدل بشأن الرقابة في الإعلام سيظل متواصلاً، فليس هناك من حسم نهائي يضمن انتصار طرف على آخر

من جانب الذين يتكلمون، ومن جانب الذين يستمعون.

3- إذكاء الصراعات القديمة، لاسيما أنّ النزاعات التقليدية- كالاختلافات العقائدية وتعدّد الانتماءات العرقية- مازالت تعاود الظهور من آن لآخر.

4- أن تكنولوجيا المعلومات والإعلام وحدها لا تضمن إرساء دعائم الديمقراطية إذا لم يكن المجتمع نفسه مستعداً لمثل هذه التوجه.

وباختصار، إن الإعلام الجديد الذي يطلق عليه البعض بأنه (ديمقراطية المُهَمّشين) لا يتطلب أموالاً كثيرة أو تقنية عالية، وسنشهد صعوده بوتيرة متسارعة في ما هو قادم من الأيام، ليس فيه لاعبون ومشاهدون، بل الكل فيه لاعبون، سواء كانوا محترفين أم هواة، وسواء كانوا من الصفوة أم المهمشين. إعلام يقوم بكل الأدوار المتوقعة وغير المتوقعة، لا توجد موانع تحده أو سقف يحول دون صعوده.

إن المشهد العام لهذا الإعصار الجديد ينبئ بمتغيرات خطيرة، إيجابية وسلبية، لأن الإعلام الجديد أسس له دولة افتراضية جديدة بلغت مليارات من البشر يختفون وراء الشبكات الاجتماعية، ويكفي القول إن الفيسبوك الذي يستخدمه 800 مليون أصبح الدولة الثالثة بعد الصين والهند، وربما يصبح في قادم الأيام الدولة الأولى بجدارة. كما أن الدولة الفتية المرعبة التي لها أكثر من ملياري مستخدم للإنترنت على مستوى العالم، و7 مليارات مشترك بالهواتف الجوالة، و55 مليون موقع، وأكثر من 202 مليار مشاهد، وترليون مشاهد على اليوتيوب، و100 مليار صورة مرفوعة على (فلكر)، و100 مليون مشترك في الغوغل، و225 مليون حساب على التويتر، ستصبح القوة الجبارة والرادعة لمن يريد أن يغرد خارج سرب هذه الدولة التي مازالت في بدايتها!

إن التوسع الكبير للشبكات والمنصات الاجتماعية سيؤدي في المستقبل إلى تكوين قارة افتراضية تجمع جمهوريات عديدة كالفيسبوك والتويتر، لأن ما نراه اليوم يبدو خيالياً، حيث ظهور مدونة جديدة كل 1.4 ثانية بمعنى 84 مدونة في الدقيقة يومياً، و121 ألف مدونة متنوعة في مختلف المجالات، و48 ساعة فيديو يتم رفعها إلى موقع اليوتيوب كل دقيقة، وهذا يعني أننا لو أردنا مشاهدة جميع المقاطع التي رفعت خلال يوم واحد فسنحتاج 8 سنوات من المشاهدة المتواصلة. إلا أن ما يشغل بال المضطلعين في مجال الإنترنت والمعلوماتية هو شكل هذه المعلومات، وطريقة تقديمها، وأهدافها المبطنة، وطريقة استثمارها. فاستخدام المعلومات أصبح سلاحاً أكثر عنفاً وأشد تأثيراً، لذلك أدركت الدول المتقدمة تقنياً أهميته منذ ذلك الحين، فاعتمدته وسعت إلى تطبيقه في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية. وتنشط العديد من الدول بصورة صامتة لتطوير قدراتها في الحرب الإلكترونية وبناء جيوش من الخبراء الذين قد يشكّلون مستقبلاً نواة الجيش الإلكتروني للدولة. وأنشأت هذه الدول غرف عمليات لإدارة حروب المعلومات الرقمية، وبالذات من أجل تحقيق أربعة أهداف رئيسية هي: الاستغلال، والخداع، وخلق الفوضى، وأخيراً التدمير للمعلومات ونظمها، وباتت هذه الحروب أوسع نطاقاً وأعمق تأثيراً في السلوك.

منصات للأزمات المجتمعية

إن التعددية في مصادر إنتاج القيم، التي لعب الإعلام دوراً محفزاً في تكريسها، كان لها انعكاسات على منظومة القيم الاجتماعية والثقافية، أسهمت في بروز أنماط جديدة من العلاقة مع المرجعية والهوية، وساهمت في إيجاد معادلات قيمية متناقضة، بعضها إيجابي والآخر سلبي. لكنها على العموم أنتجت لنا مع البيئة العربية الملوثة بقيم الاستبداد والقهر والحرمان، قيماً عكسية أنتجت لنا ثقافات فرعية عنصرية، ومشكلات مجتمعية انحدرت فيها القيم إلى منسوب منخفض من الفاعلية والابتكار، لتنتشر قيم التعصب والكره والعنف. لكن مشكلة القيم ستكون أكثر خطورة عندما تنتقل إلى وسائل التواصل الاجتماعي، حيث ثقافة الاستخدام الخاطئ لها.

ومن الواضح أن التكنولوجيا وحدها ليست دواء حاسماً لأمراض العالم، لكن مع ذلك يمكن أن تخلق الاستخدامات الذكية للتكنولوجيا عالماً من الاختلاف. وفي المستقبل، الروبوتات والبشر سوف يقسمون واجباتهم وفقاً لما يمكن أن يفعله كل واحد على نحو جيد. فالعالم الافتراضي لن يتجاوز ولن يلحق بالنظام العالمي القائم، لكنه سيفرض تقريباً تعقيدات على كل سلوك، وسيفضّل الناس والدول العوالم التي تمتلك تحكماً أكثر فيها، أي عالم افتراضي بالنسبة للناس، ومادي بالنسبة للدول، وسوف يدوم هذا التوتر طالما أن الإنترنت يعمل.

إن ظهور أي وسيلة إعلامية جديدة يكون مصحوباً دائماً بنوع من القلق والخوف والهجوم على تلك الوسيلة. الوسيلة الجديدة توصف في البداية بأنها تضر أعين الناس وسمعهم وأي حاسة أخرى تتطلبها تلك الوسيلة، وفي المرحلة الثانية توصف الوسيلة بأنها تجعل الناس متبلدي الحس وقلقين ومضطربين أو حتى أغبياء. في المرحلة الثالثة يبدأ وصف الوسيلة أخيراً بأنه خطر يهدد المجتمع بأكمله بالتفكك والإنحلال. وحسب رأي عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر فإن تقدّم العقل بدلاً من أن يُفضي إلى تمكنه، أفضى إلى تسيبه، وأن انتصار العقلانية، بدلاً من أن يصحبها ازدهارها، صاحبها انحلالها، وتمثل هذا التسيب، أو الانحلال، في ظهور قيم متعددة، متصادمة.

ما يقلق اليوم، هو أن مواقع التواصل الاجتماعي تشهد سجالات ومماحكات بين الشباب العربي حول قضايا سياسية، مضخمة أو غير صحيحة. ولا يجد الباحث العلمي في إخضاع هذه الظاهرة للمنهج العلمي صعوبة في اكتشاف أياد تعبث بالمعلومات بطريقة منظمة وممنهجة، هدفها إشعال فتيل النزاعات الطائفية

والدينية والقومية. والملاحظ أنها تتزامن مع خطط الحروب والفوضى بأنواعها في أوطاننا، بوجود فاعل خبيث، ووجود مختبرات وغرف عمليات تدار من قبل دول لها مصالحها في تأجيج هذه المنازعات الافتراضية.

ففي التجربة العراقية استثمرت تكنولوجيا التواصل الاجتماعي لإشعال حريق الطائفية من خلال تجنيد أسماء افتراضية في غرف عمليات يعمل بها المئات من خبراء التكنولوجيا والحرب النفسية، لتغذية النزاعات من خلال تلفيق الأخبار والأحداث وتضخيم الإشاعات. وحسب اعتراف أحد عملاء المخابرات الأميركية لصحيفة نيويورك تايمز: (الهدف المركزي لعملنا هو من وراء خطوط العدو بهدف تصعيد التوتر والاحتقان الطائفي والاجتماعي لتوليد بيئة متصارعة متوترة دائماً ومنقسمة). كما نجد على مواقع التواصل الاجتماعي سجالات عقيمة بين شباب الخليج حول قضايا متعددة، هدفها إشعال فتيل الفرقة بين أبناء الخليج لغايات معروفة مرتبطة بأحداث جارية في اليمن وسوريا والعراق وقطر، وكلها تهدف إلى تأزيم العلاقات بين بلدان الخليج، وضرب التماسك المجتمعي. ويبدو الجدل بشأن الرقابة في الإعلام سيظل متواصلاً، فليس هناك من حسم نهائي يضمن انتصار طرف على آخر، وإن كان منسوب أو حدة هذه الرقابة قد تراجعت كثيراً بفعل وسائط الإعلام الجديد. وفي كل الأحوال مارست التقنيات الحديثة في ميدان الإعلام الرقمي والفضائيات ولا سيما ثورة الإنترنت، دوراً بارزاً في تطوير المهنة، وبالتالي زيادة الحاجة إلى ضوابط أخلاقية لها. ولا أحد ينكر حاجة الدول إلى قوانين لمكافحة الجرائم السيبرانية، لأن الكثير من الشباب بدأ يسيء إلى دولهم وأمنهم الوطني ومجتمعاتهم، وإلى خصوصيات الأفراد، ولكن على هذه القوانين أن تراعي حقوق الإنسان وألا تستخدم حجة للقمع.

ومن هنا، تتمثل المشكلة في بحث الضوابط المهنية للإعلام الجديد، التي لا يمكن التغافل فيها عن معايير التقنية والتي أصبح إتقانها جانباً من المهنية العالمية في العصر الجديد، كما أن هذه المعايير أصبحت لها في الإعلام الجديد تجليات مضمونية توضح صحة المعلومات وصدقيتها والثقة بها من خلال الروابط والنص الفائق والوسائط المتعددة وغيرها، إلا أننا لن نغفل المعايير المهنية المتمثلة في الصدق والدقة والموضوعية أيضاً، ولا سيما في ظل انتشار الشائعات في أدوات الإعلام الجديد، وعدم التحقق من صدقية الخبر، حيث يتم تقديم السبق الصحافي على معيار الدقة الصحافية، فضلاً عن أن صحافة المواطن تُعلّي من قيمة الفردية والموهبة الصحافية على قيمة المؤسسة العالمية والاحترافية. ودون شك مازالت هناك تحديات رئيسية متداخلة تواجه الدول العربية بهدف مواجهتها في سبيل تعزيز حرية الصحافة والاتصال في العصر الرقمي. يتمثل التحدي الأول في حماية الإعلاميين، فرغم التنصيص على هذا الأمر بوضوح على المستوى التشريعي، إلا أن هناك حاجة لتطويره، حيث مازالت تُسجل حالات الاعتداء والقتل ضد الصحافيين. كما يُطرح تحد ثانٍ على مستوى التعددية، ذلك أنه لا مستقبل لإعلام حر في غياب تعددية حقيقية، وليست تعددية شكلية أو سطحية أو نمطية، فالتعددية في الإعلام ليست تعددية المنابر بل هي تعددية تيارات الفكر والرأي، وتعددية لغوية وثقافية وسياسية تعكس الجوهر الحي للديمقراطية. أما التحدي الثالث فهو المرتبط بما يسمّى السلامة الرقمية، وهي القضية التي طرحتها منظمة اليونسكو في الآونة الأخيرة بشكل حاد، وترتبط بسرية المعطيات الشخصية ومواجهة القرصنة وحماية الملكية الفكرية وحماية الحياة الخاصة، ومناهضة الترويج للعنف والتمييز العنصري. أما التحدي الرابع فهو التحدي الاقتصادي، أي النموذج الاقتصادي للمقاولة الإعلامية في العصر الرقمي، فلا يمكن تصور مستقبل دون صحافة ورقية كما لا يمكن تصوره دون تكامل مع الإعلام الرقمي، بحيث إن المستقبل يكمن في التقارب بين الرقمي والورقي واستمراريتهما معاً.

> لا نستطيع اليوم أن نقرر بالتحديد مستقبل البشرية أمام هذا الكم الهائل والمفزع للمعلومات التي تتدفق في قنوات الإعلام الجديد

> لا يزال الواقع السياسي في الوطن العربي بعيداً عن توفير أجواء الانخراط التام في مجتمع المعلومات، وهو في أمسّ الحاجة إلى التحديث

منصات للجمهور والإعلام

لم يعد محتوى المنصات الاجتماعية مجرد يوميات وأخبار شخصية يتداولها الأصدقاء

في ما بينهم وحسب، بل أصبح أكبر من ذلك بكثير، فقد دخلت في مجالات عدة لم يكن متوقعاً أنه يمكن استخدامها لصالحه، حيث استخدمته وسائل الإعلام كمصدر للأخبار، وفي أحيان كثيرة يتم استخدامه من طرف الصحف والمجلات وحتى القنوات التلفزيونية لنشر الأخبار. فغالباً ما تجد الصحف مثلًا، تشئ حساباً لها على الموقع وتضع فيه الأخبار التي تنشرها في نسختها الورقية.

وإذا كانت المنصات تحمل مضامين متنوعة، فإن المضمون الإعلامي يلعب دورًا بارزاً في الحياة المعاصرة، ولا توجد عبارة جاهزة أفضل من (سلاح ذي حدين)، أكثر انطباقاً على هذه المنصات في جانبها الإعلامي، فكما أنها (شاغلة الناس اليوم) فإنها أداة مثلى للقفز على حواجز الإعلام الحكومي المتخشب، ومن بينه الإعلام العربي، فإنها تستطيع أن تكون مرتعاً خصباً للإشاعة وبث الوعي الموهوم.

وفي الفترة الأخيرة تحولت مواقع الشبكات الاجتماعية إلى مصدر أساسي للمعلومات ولأشرطة الفيديو وشهادات الناس، فلجأ (المواطن الإعلامي) إلى تصوير الأحداث على جواله أو كاميراته ثم وضع أشرطة الفيديو على الشبكات الاجتماعية حتى باتت مؤسسات إعلامية كبرى تأخذ قدراً كبيراً من المعلومات الموجودة على فيسبوك وتويتر ويوتيوب. ومع ذلك بدأنا نشهد تحولاً جذرياً من مفهوم الإعلام المؤثر بصورة مطلقة في الجمهور والمتحكم بالمحتوى الإعلامي بطريقة مركزية إلى الإعلام الذي يتأثر بالجمهور وينقل عنه وينتظر مشاركاته وتعليقاته وآراءه، مثلما حدث أخيراً في جورجيا وإيران وتونس ومصر وليبيا وسوريا، وهو أكبر دليل على ذلك حيث تعتمد كبرى المؤسسات الإعلامية ووكالات الأنباء العالمية على مشاركات المدونين والصور الفوتوغرافية والفيديو الملتقط عبر كاميرات الخلوي بالرغم من عدم احترافية المصور وجودة الفيديو غالباً.

إن معالم تحول هذه المنصات إلى إعلام بديل تبدو واضحة، لأنها بكل ما لها وما عليها تبقى مؤهلة لتكون بديلاً عن الإعلام التقليدي بكل ما له وما عليه أيضاً، قد يلغي بعض مساوئه مثل سيطرة الدول والحكومات عليه ولكنه قد يعوضها بأخرى مثل غياب المسؤولية وقلة موثوقية الخبر. وفي ظل تطورات كبيرة شهدتها هذه المنصات، فقد قدمت خدماتها الجديدة المجانية الخاصة بالصحافيين، وتهدف إلى مساعدة الإعلاميين على جمع الأخبار عبر فيسبوك وإنستغرام، واستخدامها لخدمة قصصهم وتقاريرهم الإخبارية باختلاف مضامينها السياسية والثقافية والترفيهية وحتى الرياضية منها. لقد قدمت المنصات خدمات مهمة لرجال الإعلام، حيث أصبح بإمكان الصحافي الوصول إلى قوائم مرتبة بالشخصيات الأكثر تأثيراً من السياسيين والمؤلفين والأدباء والممثلين والموسيقيين والرياضيين، مع إمكانية المقارنة بين تأثير كل عضو في القائمة يومياً. كما سهلت عليهم خاصية البحث عن المحتوى المرئي على إنستغرام عبر البحث عن وسم (هاشتاغ) معين أو أشخاص وحسابات معينة، أو حتى عبر تحديد المكان بدقة. مثلما سهلت عملية البحث عن المحتوى الذي يساعد الصحافي على بناء قصته مباشرة على فيسبوك، وسيجد كل ما يتعلق به بالترتيب الزمني. ويتيح للصحافي حفظ أي منشور أو صورة أو فيديو، ليتمكن من استخدامها لاحقاً في القصص والتقارير الإخبارية.

وهناك الكثير من البرامج الإلكترونية التي تركز بالأساس على الكتابة والتحرير وإنتاج المحتوى الرقمي، لكن من المهم أن يتعرف الكاتب وبشكل مفصل على جمهور الأونلاين. وهذه المعرفة هي التي تتيح لكاتب النصوص الخاصة بالصحافة الرقمية ولمنتجي المحتوى الرقمي عامة أن يخرج بمادة تتوافق مع طبيعة هذا الجمهور.

إن الكتابة الجيدة للصحافة الرقمية تعتمد بشكل أساسي على ما يعرف بالاقتصاد في اللغة، وهو ما يعبر عنه بمقولة (ما قل ودل) وهو مبدأ تحتمه طبيعة الإنترنت كوسيلة، وكذلك نوعية الجمهور المستهلك لمحتوى الصحافة الرقمية، وكذلك الحال بالنسبة للزمن والاختصار.

والمقصود بالاختصار هنا ليس مجرد تقليل عدد كلمات النص فحسب، وإنما المقصود به أن يكون التركيز منصباً في الأساس على التكثيف المفيد للقارئ.

وأصبح النقال من أخطر اللاعبين الجدد، ففي جيله الثالث صار وسيلة لنقل البث التلفزيوني. كما أن التلفزيون صار وسيلة لعرض رسائل الهاتف القصيرة، حتى إنه أطلقت محطات تلفزيونية خصيصاً لخدمة الجوال للاستفادة من مداخيل الرسائل، وبعضها أكبر من مداخيل الإعلانات التجارية، وصارت بعض شركات الهاتف في العالم من أكبر ملاكي وسائل الإعلام. أما السر الرئيسي للتسامح الرسمي للحكومات فهو المبالغ الهائلة التي تجنيها شركات الهاتف الحكومية، أو الخاصة التي تمول الحكومات بأموال صارت تمثل المصدر الثاني بعد النفط لمداخيل دول الخليج مثلاً.

إن اندماج تقنيات الإعلام الجديد وتداخلها وتطورها خلال السنوات الأخيرة، يعطي الكثير من الثقافات فرصة ذهبية جديدة لإثبات وجودها، وحماية نفسها، وتدعيم ذاتها، من خلال المشاركة بفاعلية في معركة الصورة العالمية، التي أصبحت متاحة للجميع.

وتعد صحافة المواطن من الوسائل الجديدة المتسمة بالتفاعلية والفورية التي كان لها حضور مميز في الأزمات والأحداث، وصناعة الحقيقة. ففي تغطية الانتخابات الإيرانية التي جرت في يونيو 2009 منحت لجنة تحكيم جائزة (ورلد برس فوتو)، لصورة كانت قد أخذت عن شريط فيديو بث على موقع يوتيوب يظهر الطالبة ندى آغا سلطان التي قتلت في 20 يونيو في أحد شوارع طهران خلال تظاهرات تلت الانتخابات الرئاسية.

وقال المنظمون: إن المشهد الذي التقطه أحد الهواة لعب دوراً أساسياً في تغطية الأحداث. وأصبحت ندى آغا سلطان رمزاً عالمياً للمعارضة الإيرانية، بعد أن نشرت صورها في العالم وهي تنزف حتى الموت في إحدى تظاهرات طهران. كما أن تغطية السياح لكارثة تسونامي بكاميراتهم الشخصية شكلت نقطة تحول جوهرية، حيث غيرت الناس من مجرد مشاهدين متابعين للحدث إلى مشاركين في صنع الأخبار، وهو ما يعد نقلة نوعية في مجال الإعلام. وقد ساهم أحد ضباط الدفاع المدني، الذي سجل على يده أرقام الاتصال بعدد من أقارب الضحايا، وقام بتصوير يده

وتحميلها على شبكة الإنترنت ونشرها، في لم شمل العشرات من العائلات والأسر بفضل اعتماد أساليب غير تقليدية في الإخبار ونقل المعلومات. وبعد الولادة المدوية لعدد من أفلام المحمول، انتشرت في عالمنا مهرجانات (أفلام الموبايل)، وأقيم البعض منها في البلدان العربية. كما يعرض الإنترنت المادة المصورة لمرتاديها، ويمكن للراغب أن يطلق فيلمه على مواقع مختلفة، ليشاهده من يريد في أنحاء العالم. والطريف أن الفيلم الذي يمنع في مكان ما يحظى بانتشار أوسع في مواقع عدة، مما يجعل حجب عمل ما شبه مستحيل. وهذه ثورة كاملة في صناعة الفيلم، التي باتت بعيداً عن الاعتبارات التجارية، في متناول الجميع.

ومن ناحية أخرى، ساعدت رقمنة الصور وقابلية تناقلها بين الوسائط الإعلامية المختلفة، على تناول موضوعات لم يتم تناولها من قبل، وتشكل ذات الصورة الإعلامية بعدة أشكال وفقاً لمتطلبات الوسيلة التي تعرض فيها من جهة، وإلى تناولها في عدة أشكال وفنون إعلامية من جهة أخرى، وإلى تعدد وسائل توظيفها، فضلاً عن إمكانية تحويلها وتغيير معالمها بحيث تظهر بصور متنوعة.

باختصار، أصبح النقال أحد نجوم ثورة الإعلام الجديد، وهو نجم مازال في بداية الطريق، ينتظر ثورة رقمية جديدة تحوله إلى أهم وسيلة إعلامية في القرن الحادي والعشرين، بل وسيلة اتصالية لصناعة الحقيقة!

تفجر المعلومات وصدمة المستقبل: العرب إلى أين؟

لا نستطيع اليوم أن نقرر بالتحديد مستقبل البشرية أمام هذا الكم الهائل والمفزع للمعلومات التي تتدفق في قنوات الإعلام الجديد، والفوضى للأفكار والمعلومات التي تزيد من القلق والإحباط واليأس للبشرية. وبعد جهل الإنسان بكيفية التعامل مع المعلومة واستثماره لها، وافتقاده للمرجعيات التعليمية والمعرفية التي تؤهله لاستيعاب المعلومة وتقرير أهميتها ومصدرها، إحدى إشكاليات الحاضر والمستقبل، وهي إشكاليات ستتضخم وتنمو مادامت تكنولوجيا الإعلام تتطور بسرعة هائلة كل يوم.

ويمكن تكوين الثروة اليوم في السوق بواسطة المعلوماتية، أو عن طريق التفوق في حاصل الذكاء، وهذا ما حدث في تجارب عالمية كثيرة. وبشكل عام أصبح الذكاء، وهو قاسم مشترك وملك مشاع بين الشعوب، المقياس الجديد لتقدم الأمم، بعد أن كان المعيار هو مدى ما تملكه الأمم من ثروة المال أو ما تحتويه التربة من مادة أولية متفاوتة بين الشعوب غنى وفقراً. وبحسب المقاييس الجديدة لارتقاء الأمم، فإن الإنسانية تقف على عتبة سباق واحدة لتقفز الشعوب التي تهيئ كما ينبغي لمستلزمات الثورة الرقمية وتحسن استغلال ما يمكن أن توفره تكنولوجيا المعلومات والاتصال من منافع وآليات تساعد على حيازة مقعد ضمن مقاعد الأمم المتقدمة.

عربياً، يلاحظ أن التصور الذي يحمله الساسة وأصحاب القرار في الوطن العربي عن مجتمع المعلومات، تصور يمكن وضعه في خانة الخطاب الموجه للاستهلاك الخارجي، ولا يخرج عن إطار التسويق السياسي. ومن هذا المنطلق عمدت مختلف الحكومات العربية إلى إنشاء وزارات للتكنولوجيات الجديدة أو تغيير التسميات القديمة. وغير خفي على أحد أن هذا الخطاب السياسي يضمر عداء لفكرة مجتمع المعلومات ويتجلى ذلك في التردد والتخوف من الانعكاسات المحتملة للثورة المعلوماتية على المجتمعات العربية بما فيها مسألة دمقرطة الحياة السياسية والمشاركة والمساءلة وحرية الإعلام. ولا يزال الواقع السياسي في الوطن العربي بعيدًا عن توفير أجواء الانخراط التام في مجتمع المعلومات، وهو في أمسّ الحاجة إلى التحديث، ومن المؤكد أن الحكومة الإلكترونية، تظل رمزاً للتعامل الوظيفي والفعال مع المواطن، بما يحقق الاستجابة السريعة لانتظاراته في إطار اتصال اجتماعي حكومي واضح المعالم. ووكالة لقياس فاعلية الحكومة والإدارة العمومية من حيث كونهما جهازاً في خدمة المواطن لا العكس، ولا شك أن تطوير شكل ومضمون الحكومة الإلكترونية يعد رديفاً للتحديث السياسي المنشود.

إن الثورات المعرفية والتكنولوجية والمعلوماتية المعاصرة تنطوي على تحديات وأخطار وفرص تمسّ كيان الأمة العربية.

> ساعدت رقمنة الصور وقابلية تناقلها بين الوسائط الإعلامية المختلفة، على تناول موضوعات لم يتم تناولها من قبل

> ما يشغل بال المضطلعين بمجال الإنترنت والمعلوماتية هو شكل المعلومات، وطريقة تقديمها، وأهدافها المبطنة، وطريقة استثمارها

وتعرّضها لما يسمى بـ(صدمة المستقبل). وتزداد الأخطار تأثيراً بسبب ما يعانيه الكيان العربي نفسه من عوامل الضعف المتمثلة في انتشار الأمية في مستوى برامج التربية والتعليم البعيدة عن متطلبات العصر. المسألة أننا لم نحسن الخروج من عجزنا وقصورنا لكي نتحول إلى مشاركين في صناعة العالم. ولعلّ ما أعاقنا عن ذلك هو الحمولات الأيديولوجية والمسلمات الدوغمائية. بالمقابل يرى عدد من الباحثين العرب أن المشهد العربي يستحق التوقف عنده في ما يخص الإعلام والإنترنت في القضايا التالية:

- المعرفة والخبر، وخصوصاً في العالم العربي، حيث كانا حصراً على القلة: القلة السياسية والإعلامية، وأصبح الجمهور العربي يعرف ما كان يخفى ويُخفى عنه، ومع أن الفضائيات سبقت الإنترنت في تأسيس شعبية الإعلام في العالم العربي، إلا أنها تبدو مرحلة وحسب، سرعان ما تكون جزءاً من شيء موحد اسمه الشبكة: شبكة الصوت والصورة والنص والأرشيف. كل معلومة متوفرة لا تبعد عن متلقيها أكثر من نقرة على فأرة الكمبيوتر.

- مواقع الإنترنت الخبرية: فقد تميزت منذ البدء في انطلاقتها وإن وقعت في أخطاء الخبر المقتضب والخفيف مما أساء إلى معظمها بدل جعلها المعيار الذي يصيغ شكل إعلام الغد. لكنها تمكنت من فرض نفسها بقوة رغم ضعف الإمكانات المتاحة لها وعدم إيمان المعلن بجدوى وجودها إلا أخيراً. ونستطيع القول إن الصحف ومحطات التلفزيون الفضائية والأرضية تقلد ما بدأته مواقع الإنترنت الخبرية محتوى وتصميماً.

- للإعلام العربي عبر الإنترنت مستقبل كبير. فكلما اندمج المواطن العربي في مسيرة العمل والتحديث ومواكبة العصر، ابتعد عن شاشة التلفزيون التي تشغل ساعات طويلة من يومه.

- التلفزيون يعرض الأخبار على مدار الساعة، ولكنه لا يستطيع أن يقدم كل شيء دفعة واحدة، وفي الإنترنت لا يوجد ما يمنعنا من الاطلاع على عشرة عناوين للأخبار دفعة واحدة وأن نقرأ (أو نسمع أو نرى) الخبر الذي يحتل الأولوية لدينا. فالفضائيات والمحطات الأرضية تحاول استعادة المبادرة من خلال الشريط الإخباري المتحرك أو من خلال الإعلان عن الأخبار العاجلة. لكن المشاهد هذه الأيام نهم ولا يكتفي بالعناوين.

- هناك بوادر قوية للتغيير الذي يصنعه الإعلام في العالم العربي. ثمة جيل ينشأ على توفر المعلومة كحقيقة. لكن في المقابل ثمة استخفاف بقيمة المعلومة التي يوفرها الإعلام واستخفاف أكثر بتسخيرها لخدمة المعرفة.

وتشير الكثير من الدراسات العلمية عن (الإنترنت والعالم العربي) إلى أن العرب، رغم اختلافاتهم الأيديولوجية السياسية والثقافية، فإنهم يقفون مع شبكة الإنترنت للمرة الأولى بلا حدود حقيقية تفصلهم أو حواجز تعترض تواصلهم أو تعوق عملية انتقال المعرفة بينهم؛ إذ أتاحت الإنترنت للعرب إمكانية الخوض في مناقشات ومناظرات عن الدين والمرأة والحكم بجرأة وحرية كبيرة، بل يمكننا القول إن الإنترنت أصبحت منبراً حراً في الوطن العربي بعدما أرست مجموعة من القواعد الضمنية للتواصل بين الأفراد والجماعات والقوميات المختلفة، وأتاحت إمكانية الانفتاح على المجتمع العالمي على اعتبار أن أية تكنولوجيا تعمل تدريجياً على خلق بيئة إنسانية جديدة، وستجبر القادة العرب على السماح بحريات أكثر. كما ستؤثر الإنترنت في الرأي العام وصنع القرار السياسي العربي، حيث إن استخدام الإنترنت سيؤدي إلى إيجاد نظام سياسي يتسم باللامركزية والانفتاح الديمقراطي.

ويلاحظ وجود تباين كبير بين الدول العربية في الترحيب بحرية انتشار المعلومات التي توفرها الإنترنت، مع وجود نظرة مستقبلية للإنترنت في العالم العربي يمكن تلخيصها في الآتي:

- إن الإنترنت خلقت مساحة كبيرة للتفاعل الاجتماعي في العالم العربي، وهو ما يشكل مساحة جديدة في الواقع الاجتماعي قد تفعل أساسيات قبول الآخر، وإيجاد التفاهم بين الشعوب وإنشاء مجتمع مدني أكثر قوة وحيوية.

- تمثل الإنترنت أهمية كبرى للتنمية والإصلاح في الوطن العربي، فهي كسرت احتكار المعرفة، حيث إن بالإمكان أن تتحول الإنترنت، وكل مظاهر الإعلام الجديد الرقمي في الوطن العربي إلى فاعل ومحرك للتحرر الاجتماعي وتحرير المرأة، وكسر احتكار السوق، حيث تعد التقانة، ولا سيما التقانة المتقدمة معيار القوة الأساسي في القرن الحادي والعشرين والتقدم التقاني من أهم عناصر التنمية الشاملة.

- وأخيراً، إن الحكومات العربية تتعامل مع الإنترنت بانزعاج كبير وحساسية وحذر شديدين على اعتبار أن الإنترنت قادرة على إحداث قدر من التحول في مسألة الحريات والديمقراطية للشعوب العربية.

والخلاصة

إن حروب الغد لا يكسبها من يملك القنبلة الأكبر، بل يربحها ذلك الذي يصنع الرسالة الرقمية الذكية، لأن حروب المستقبل ستكون متمثلة بالإعلام وليس بالأسلحة التقليدية أو بأسلحة الدمار الشامل، أو حتى بالأسلحة الذكية. وهذا يعني أن الإعلام هو ميزة فيزيائية مثله مثل الطاقة والمادة. وهو أمر يستدعي مواجهة هذه الثورة الكبيرة والتعامل معها بإيجابية لتأسيس مجتمع معلومات تجدد العقل العربي لنهضة شاملة، لا أن تكون وبالاً على العرب، لأن العقل العربي سينفتح على آفاق المعلومة المريضة والسريعة والهابطة، والمهم أن نعرف أن المقبل مختلف وغامض! وأمام العرب سؤال البقاء والوجود: تَغيَّرْ أو انْدَثِرْ!

عود الثقاب

كنت بْحياته مثْل عود الثقاب ... أشعل له شْموعه وانا أحترق
ما كنت أحس اني بعينه غياب ... لين العمر منّي بدا ينسرق
أطرد تناهيد الحزن والعتاب ... والليل يعزم في المحاني أرق
مثل البصر والعين كنّا قراب ... واليوم أصبحنا رياح وْورق
الحب حاله.. كالمطر والسراب ... أو كالنجاه أو احتمال الغرق
أو كالفقير اللي بحاجة ثياب ... لو تستره أو تهمله.. ما فرق
كل يوم يطرق خافقك باب باب ... يا تفتح او تتحمله لو طرق
والاختيار.. إما خطا أو صواب ... والغيم تعرف نيّته لو برق
وان ما حسبت لْكل خطوه حساب ... ما تنفع الحسره ودمعْ انهرق
وما دام آخر رحلتك للتراب ... عيش السعاده.. لو تجي بالعرق
كفّ الأمل تبغي تطول السحاب ... والحلم لا منه تمادى شرَق
وهذا أنا.. اضحك وقلبي مصاب ... وادركت يوم انه رحَل وافترق
إني بحياته كنت.. عود الثقاب ... أشعل له شْموعه وانا احترق
ما كنت أحس اني بعينه غياب ... لين العمر مني بدا ينسرق

عيضه بن مسعود

شبكات التواصل.. وعروش الإعلام التقليدي

بروين حبيب

منذ خمس سنوات قلت في أحد منتديات الإعلام إن شبكات التواصل الاجتماعي ستهز عروش الإعلام التقليدي، لم أكن متشائمة، بقدر ما كنت أنظر إلى أبعد من تلك الحقبة، من خلال إقبال الناس على إشباع رغبات الفرجة و معرفة أخبار العالم عن طريق هذه الشبكات، و الاستغناء شيئاً فشيئاً عن التلفزيون.

رأيت عن بعد أن أمي لن تنتظرني الساعة العاشرة والنصف لتشاهد برنامجي «حلو الكلام» على تلفزيون دبي فبإمكانها أن تشاهد الحلقة في وقت لاحق متى شاءت، ونفس الشيء أخي وأختي و صديقاتي، تتوفر الحلقة على شبكة اليوتيوب وهذا يلغي تماماً ذلك الموعد المليء بالشغف والتّرقب.

كلنا أصبحنا نعيش داخل تلك الشبكات، ولعلّنا نشبه اليوم الفيلم العلمي الخيالي «ماتريكس» للأختين وتشاوسكي، فقد أصبح لدينا جانب رقمي، يجعلنا ندخل في تلك المصفوفة الوهمية ونعيش حياة موازية

لحياتنا الواقعية، وبشكل ما فكل ذلك القتال الذي عاشه أبطال «ماتريكس» نعيشه نفسياً أو بالتراشق بالكلام عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وكما في الفيلم فهناك أناس فيلق الطيبين وفيلق الأشرار، والحرب قائمة حتى نطفئ أجهزتنا وننام.

لم نعد كما زمن مضى نجتمع بعد الظهر حول التلفزيون ونشاهد مسلسل «درب الزلق» لعبد الحسين عبد الرضا على سبيل المثال، وأبطال المسلسل تخطف قلوبنا وأنفاسنا.

كنا نجتمع حول التلفزيون ونعيش العرض بمتعة كبيرة، وكنا نسجل المسلسلات التي نحب على الفيديو ونعيد مشاهدتها، كنا ننتظر بلهفة وشوق مسلسل «ليالي الحلمية» و«الشهد والدموع» بعد أذان المغرب، بشغف لا يوصف، يرتبط عادة بعقارب الساعة، ثم حين تبدأ تلك المسلسلات الجميلة بأغانيها المميزة تنبض قلوبنا بالفرح حتى تقشعرّ أبداننا، يخيم الصمت علينا، ونحن مستسلمون لسحر الشاشة وهو يغمرنا، وكنّا نصغي لكل كلمة ينبس بها أبطال المسلسل، كل إيقاع موسيقي، كل تفصيل في الأداء وكأننا لجان تحكيم تختبر الممثلين وكتاب السيناريو والمخرجين ومؤلفي الموسيقى التصويرية وكل فرق العمل، كنا نركز حتى على أداء الكومبارسات ونغضب حين يكون الكومبارس ضعيفاً، ونأسف لأن بعضهم أرقى من أن يحشر في الأدوار الصغيرة، كنا نقاد من الصنف الممتاز، وقد تعلّمنا خلال هذه الجلسات أدب الإصغاء والمتابعة والتأمل وفن إعادة السرد وصياغة الأحداث.

ارتبطت تجمعاتنا العائلية حول التلفزيون بمقابلات الفوتبول أيضاً، والسهرات الغنائية والأفلام التي كانت تبث لأول مرة على قناتنا الوطنية.

كما ارتبطنا بالجرائد الورقية لمتابعة البرامج الأسبوعية، وأخبار أهل الفن والثقافة والأدب. مواعيدنا كانت منظمة بين جرائد الصباح و جرائدنا الأسبوعية، ومجلاتنا الشهرية.

وكان لدينا مفهوم واضح للزمن، كما كانت يومياتنا مقسمة على ذلك الأساس بأشكال جميلة تجعلنا نلتقي ببياع الجرائد في مواعيد معينة، وبالمكتبات أسبوعيا، وبالعائلة يوميا.

كان هناك أهمية للوقت، إذ لم أكن أتأخر عن إنجاز ما لدي من أعمال وإنهائها قبل بدء مسلسل المساء، أو فيلم السهرة الذي أكون اخترته من خلال ما نشرته الجرائد قبلها بأسبوع.

لم يكن هناك ما يعكر صفوة تلك اللقاءات، سوى ضيف مفاجئ، أو قطع الإرسال لأسباب طارئة.

كانت لدينا شراكة في أمور كثيرة، رغم استقلاليتنا، وكانت تلك الأمور المنصبة كلها في بؤرة الثقافة تزيد من روابطنا العائلية وحبك مزيد من ذكرياتنا الجميلة معا.

اليوم تبددت تلك الشراكة، وصار لكل شخص منبره الشخصي، شاشته الخاصة، وقته الخاص لمتابعة ما يريد، لكتابة ما يريد وتقاسمه مع عشرات ومئات الأغراب الذين يتصلون معه على الشبكة، صار الخبر الواحد يجر مئات التعليقات، وقد يكون بينها ما يعكّر صفوه الشخصي.

ثمة غربة وألفة داخل تلك المنظومة التي تنفتح على العالم ولكنها في الوقت نفسه تنغلق على الفرد مثل غشاء سميك وشفاف. ربّما شيء يشبه القوقعة التي تمنعنا من الشعور بأفراد عائلتنا القريبة و معانقتهم عناقا حقيقيا في تلامس مباشر.

صار لهذا الفرد صفحته الخاصة بالإنستغرام أو الفايسبوك يروي فيها بالصوت والصورة نشاطاته اليومية، شيء يضخم «أناه» ويمنحه شعوراً بأهميته وهو يتلقى «اللايكات» والتعاليق المادحة من أقصى أقطاب الكرة الأرضية. وصارت صفحته وهو يغرد في التويتر تنقل كل آرائه إلى حيث يريد، ينتقد رؤساء جمهوريات، وزراء، رجال سياسة من العيار الثقيل، مشاهير فن ورياضة، فلا شيء يمنعه من قول ما يريد، فقد نقلته هذه الشبكة العجائبية الغرائبية من حالة «اللاشيء» إلى حالة الند للند لكل هؤلاء.

ارتبطت تجمعاتنا العائلية حول التلفزيون بمقابلات الفوتبول أيضاً، والسهرات الغنائية والأفلام التي كانت تبث لأول مرة على قناتنا الوطنية

صار بإمكانه أن يصنع الحدث إن شاء، وقد رأينا أشخاصاً يدخلون عالم الشهرة بصورة أو بخبر لا يتجاوز عدة ثوانٍ. تماماً مثل الذين يعرفون باسم «الفانيشستات» والذين صنفوا على أنهم أيقونات موضة نافسوا عارضي وعارضات الأزياء، وقد صنعوا شهرتهم عن طريق انستغرامياتهم أو سناب تشاتاتهم اليومية، فقط بأسلوبهم في اللباس والماكياج مع تفاصيل صغيرة لحياتهم المختلفة. لتتفتح أمامهم أبواب الشهرة والمال على مصراعيها، من خلال شركات متابعة تستغل نجومية هؤلاء للترويج لمختلف منتوجاتها. وكما في الأفلام التي ينتصر فيها الحلم على كل العقبات تنتصر الصورة وتنقل صاحبها من حياة رتيبة بين النكرات إلى حياة المشاهير والتأثير المباشر في آلاف المتابعين. لم تعد الموضة هي التي تجر الناس خلفها بقدر ما أصبحت «الفانيشيستا» تؤثر في هؤلاء وتجرهم لنمط أناقتها وشكلها وحركاتها... وطرائق نحت جسدها لتصبح أيقونةً لملايين الشباب!!!

لنسلّم أن هذا نوع من معجزات «السوشيل ميديا» حدث بالفعل وجمع جنيات الأماني المستحيلة بساندريلات يعج بها مجتمعنا في الخفاء، معجزة حققت المستحيلات للبعض، ولكنها أيضاً قلبت حياة البعض رأساً على عقب...لكن المتفق عليه أن هذه المواقع جرفت الجميع وأدخلته في دوامة الحركة المستمرة... دوّامة عدم الاستقرار!

في كتابي «انستغرامياتي» وثقت للحظات جميلة خفت أن تندثر مع الزمن، فقد حدث أن فقدت هاتفي مرة وفقدت معه ثروة من الصور والأرقام والصفحات التي استرجعتها بطلوع الروح ، فيما سابقاً بعد كل رحلة لي أعود رأساً لزيارة المصور لإظهار الصور. لا ألبومات جديدة لدي منذ أصبحت الصور تخزن في هاتفي بشكل أوتوماتيكي، لذلك نشرت ألبوماً على شكل كتاب، ألبوم يوثق للحياة الرقمية على الورق، فمن يدري أي موجة ستأتي بعد هذه الموجة؟ وأي حياة تنتظرنا بعد هذه ونحن نتجوّل في حقل يتقلّص فيه الزمن بشكل مخيف؟

في الكتاب نفسه تحدثت عن الجمهور

الغفير الذي يتبعني ويطالبني يومياً بالجديد، ويتناقل أخباري وعباراتي، وأشعاري، وصوري، ثمة رسالة مبطنة يحملها كل متابع جديد لي، وهي أن ما أقدمه على التلفزيون لم يعد كافياً لإشباعه، نهم غريب نحو كل ما يتعلق بما أقوم به خارج البرنامج، وبعيداً عن شاشة التلفزيون، وهذا أفعله وأبقيه تحت سيطرتي، لكن هناك من يفقد تلك السيطرة على نفسه أمام تمادي المتابعين، ما يذكرنا بتلك الأطر الضيقة التي كانت ترسمها مجلات فنية صفراء حول المشاهير لتقتات على أخبارهم فترصد جوانب خاصة جداً من حياتهم وإن لم تجد حاكت إشاعات حولهم لترفع من نسب مبيعاتها. ولو أني خارج الإطار الثقافي الذي رسمته لنفسي لكنت لقمة سائغة لصانعي الشائعات والمروجين لها، فقد كنت صارمة مع نفسي وثابتة على الخط الذي مشيت عليه، مدركة تماماً لأصول ما يجب نشره وما يجب إبقاؤه بعيداً عن الأضواء.

سهام «السوشيل ميديا» قد تكون قاتلة، وإن لم تقتل فقد تترك البعض معطوباً، كما حدث مع كثيرين، إذ يسهل نشر أي خبر عن أي شخص عبر الشبكة ليبلغ كل بقاع العالم في لحظات، مثل إشاعة وفاة الفنانة منى واصف الذي كسرنا نحن جمهورها وأصدقاءها لعدة ساعات قبل تكذيبه، فمابالك بالأقربين إليها.

مطاعم كبرى خسرت زبائنها بسبب سوء خدمة أو فاتورة مضخمة نشرت عبر الشبكة، انطفاء نجوم بسبب سلوك سيئ وثق من طرف أعدائهم في لحظة نسوا فيها أقنعتهم.. حدث الكثير غير المتوقع سببه منشورات الشبكات الاجتماعية رفع البعض ودفن البعض الآخر.

أما نقطة «موت الفوارق الزمنية» التي صنعتها هذه الشبكات الاجتماعية فهو غاية في الخطورة، فما كان يصلنا بعد أيام من حدوثه أصبحنا نعرفه في خلال ثوانٍ، أرى صديقتي الجزائرية فضيلة الفاروق تحاضر في بيروت، ثم بعدها بثانية أرى صديقي السعودي محمد حسن علوان وهو يستلم جائزة البوكر في أبوظبي، أرى الصديقة الغالية ندى الحاج توقع مجموعتها الشعرية، وأرى لينا شماميان في مقطع ينقل وقائع حفلتها مباشرة من مكان ما في هذا العالم، كل شيء يمر أمامي عبر شاشة هاتفي في زمن قياسي لا يتجاوز الثانيتن.

العالم لم يعد قرية صغيرة، بل غرفة صغيرة، أو لنقل مربعاً صغيراً واحداً في كف أيدينا، أليس هذا محور التغيرات القادمة والصادمة، فماذا لو أصيبت الشبكة بالعطب فجأة، أو دمرها فيروس مفاجئ ؟ ألن نجد أنفسنا في لمح البصر عاجزين تماماً عن فعل أي شيء؟ ألن تتوقف حياتنا عند نقطة الصفر تلك، وكأننا نعيش نفس اللحظة التي عاشها آدم حين غادر الجنة ونزل إلى الأرض؟

يعيش القطن..

شيماء عماد

كنّا في غاية الاستعداد ونحن نفترش «الرحلة» بالأغراض المطلوبة من قبل معلمة العلوم إذ بدا لنا أن درس اليوم فيه من الترقب الكثير،، الأغراض كانت «طبقاً من البلاستيك وقطناً ومقدار قبضة كف اليد من البقوليات المجففة وقطناً وقدحاً بلاستيكياً»، بدأ المشوار بأن يذهب طابور الطلبة في الصف متتابعين لنملأ الأقداح بالماء ثم نعود سريعاً بعدها بدأنا بوضع طبقات القطن في الطبق ثم حبات البقوليات نفردها فوق القطن المبلل في نسق متباعد بعدها طلب منا أن نأخذ الأطباق معنا إلى البيت وعندما يحدث أمر غريب وتتغير الحبات المنثورة نجلبها معنا للمعلّمة «انتهى الدرس»

هبطت معنوياتي كثيراً، ما هذا؟

كل الشغف والترقب يتبخر، ماذا يعني أن نراقب الحبات حتى يحدث تغير؟

وماذا يعني أن نضع في الطبق ماءً كل يوم وبمقدار معين وإن نسينا لا بد أن نعوض ونستدرك سريعاً؟

ما هو التغير المرتقب؟

وما علاقه القطن بالماء بحبات البقوليات؟

كل هذا يدور في عقلي الصغير ولا جواب؟ فانفجر فمي ببنات شفاهه منذ فتحت والدتي باب البيت وأنا أعود من المدرسة انفجرت بالأسئلة وأنا ألمح في عينها الاستغراب مثلي واكتفت بالقول لا بد أن أنفذ تعليمات المعلمة وأخذت الطبق من يدي وطلبت أن أضع حقيبة المدرسة جانباً وبعد ذلك وضعنا الطبق في رف شباك الغرفة خلف الستارة كانت المساحة كافية ومستقرة ثم وضعت والدتي بجانب الطبق قدحاً فيه ماء حتى لا أنسى أن أضع قطرات الماء المحسوبة كل يوم،

إصرار والدتي أن يكون الطبق قريباً من مصدر الشمس جعلني أشك أنها متفقة مع المعلمة «هكذا كنّا نعظم الأمور ببراءة الطفولة»، مرت الأيام تباعاً وأنا إلتزم بصب الماء على البذور، أصابني الملل. مرت عشرة أيام ولم يحدث تغير، وقررت بغضب صباح أحد الأيام أن أرمي الطبق بالذي فيه، لأنّي لا أحب الكذب، لماذا تكذب المعلمة وتقول سيحدث تغير ولا شيء؟ مرت عشرة أيام، نهضت صباحاً وكلي عزيمة لأنفذ ما قررت فتحت الستارة فذهلت!!

كيف تنبت حبات الحمص الجافة على القطن؟! إنها تنبت حقاً في كل حبة برعم أخضر!؟ إذن كنت أصب الماء لينبت ووضعناه في الشمس لنفس الغرض! يا الله!

نزلت أحمل الطبق بفرح مجنون فاستقبلني والداي وهنآني ببراعمي، أدركت أنهما كانا يدركان تماماً ما هو التغير الذي أدركته بالتجربة والمعايشة فيما بعد.

«انتهت حكايتي»

اليوم كثير منا يعاني جفاف العواطف ولا توجد في حياتهم مشاعر حب ساخنة حتى وإن كانوا متزوجين فيما إذا عذرنا العزاب منا، من يعيش بهذا الجفاف كم يشبه حبة الحمص أو الباقلاء الجافة غادرتهم الحياة وفجأة يأتيهم مكان يغرسون فيه ربما حادثة غير منطقية كما القطن بديل التراب في حكايتنا موقف غير منطقي يحكم عليهم وهم رافضون غير مقتنعين بأن هناك أملاً في مكان ما ينبت فيهم الحياة والمشاعر وبتقدير الله يأتيهم ماء سقاية هذا الحب لينبت من قطن أو تراب بمنطق أو بدون فإذا بالحياة تتغير، الحب يحتاج الصبر والتعايش والصدق والداعمين المحبين عندها سوف يبزغ من القلب برعم أخضر انتظروا لم لا ؟

انتظروا حتى يرزقكم الله الحب وإذا طرق بابكم فاصبروا عليه حتى ينبت ولا تغفلوا أن الحب يحتاج للشمس ويحتاج للأمان بالاهتمام والسقاية والوضوح فإن نسيتم فاستدركوا وإن استغربتم ولم تعقلوا أن الحب يصيبكم ليكن هدوء العقل بسكينة النفس مرجعكم فيما تشعرون،

انتظروا حباً مبصراً يسعد قلوبكم ولا تتحسروا على حب أعمى لم يزركم حتى الآن.

الإعلام الرقمي ومنصات التواصل الاجتماعي

المعرفة وأسئلة الحداثة المستمرة

علي حسن الفواز

حين تحدّث يورغن هابرماس عن إعادة توصيف «المعرفة والمصلحة بوصفهما نظاماً ثقافياً يدعم البناء الحداثي، لم يكن يتوقع أنْ يكون فعلُ تحرير هذه المعرفة والمصلحة سبباً في دفع القواعد والمعايير إلى ما يشبه التشظي، فلم تعد هناك شروط تاريخية لتلك المعرفة، ولا سياقات ثابتة للمصلحة.

مفهوم التواصل الذي تحدّث عنه هابرماس، والفاعليات الاستراتيجية والتواصلية/ الأداتية لم يخرج عن المجال الثقافي الذي تتموضع فيه الأفكار والتصورات الحرّة، وعلاقته بما يمكن تسميته ب «الحداثة المستمرة»، إذ ظلّ حديثهم قريناً بوجود «المجتمع العقلاني» الخاضع لشرط المراقبة والنقد والتواصل، حتى بات النظرُ إلى أطروحات «ما بعد الحداثة» التي لم يستسغها هابرماس وكأنه نوع من «اللعنة» حيث التجاوز على صيانية هذا المجتمع المنضبط، والخاضع، التماهي مع تمثّلات ثقافية ذات مرجعية كانطية، وومضات لما تطرحه المابعديات من نزوع نحو الفردنة، والشعبوية، والهامشية، وكل ما يخصّ التخلص من السرديات والمرويات الكبرى والمركزية، بما فيها «سلطات» العقل، والتي يعدّها «البعض» مُقابلاً لتشكّلات «المجتمع الافتراضي» القائم على اللامركزية، وحتى على اللاسلطة، من منطلق أنّه مجتمعٌ ما بعد حداثي، نافرٌ عن المراقبة والتلصص والنقد، وفاقدٌ لشرط المكان الجغرافي/ الوطني، والمتماهي مع المكان الافتراضي/ الفضاء والقائم على فرضية وجود أفراد يلتقون عند الاهتمامات المشاركة، لكنهم يعيشون في أمكنة مختلفة ومتعددة، وما يجمعهم هي وسائل التواصل الاجتماعي...

هذا المُعطى الكبير في إعادة صياغة الظواهر، والحقائق وتوصيفها، أسهم بالمقابل في إعادة ترتيب الأشياء، وفي النظر إلى العلاقة مع الطبيعة والوجود، وحتى مع الذات والمجتمع، إذ يتبدى هذا المعطى من خلال تمثلاته السسيولوجية لمفهوم «الثورة الاتصالية» وللمجال المفتوح الذي يُنظّم وظائفها، وتطوّر أغراضها ومصالحها، فالتقانة التكنولوجية بوصفها جوهر هذه الثورة، أخرج مفهوم الاتصال من سيطرة إنسان الحداثة وأنواره ورقابته وسردياته، ليجعله تعبيراً عن أزمته، وعن أسئلته الإشكالية، وعن كلِّ التغايرات التي أصابت نظرته لمفاهيم العلم، والتاريخ، والقيم، ولمفهوم العقل الأداتي في نسختيه الماركسية، والمثالية.

تقانات عالم المعلومات وتكنولوجيا الاتصال صار «لوثيانا» جديداً، له سلطته وأساطيره، وله أيديولوجيته القائمة على التهشيم، وعلى خلاص الإنسان من عزلته، ومن فرضية علاقته الطبيعية بالآخر، وأنّ استعمال هذه التقانات لم يعد له تسويغ منهجي مستقر، بقدر حاجته المستمرة إلى الأداة/ الوسيط، والتي يصطنع عبرها سياقات فلسفته في التواصل، وفي الحضور، وفي اصطناع ما هو نظير للطبيعة، أو الوثيقة، أو في توصيف العلاقة مع الآخر، وحتى في النظر إلى خطابات الإعلام والإشهار والفرجة والتواصل.

تكنولوجيا المعلومات والبيوتيقيا

علاقة الإنسان بالتكنولوجيا ظلت رهينة بسيطرته على الطبيعة، وفي اصطناعه لمظاهر القوة عبرها، من منطلقات تبرير وجود سلطة العقل والعلم، والفحولة، والتبشير بموت الميتافيزيقيا، لكن هذه العلاقة ظلت محكومةً من جانب آخر بسلطة الهيمنة، بدءاً من هيمنة رأس المال، والقوة، والشركات متعددة الجنسيات، والتي تحتكر التقانات، ونظام تداول واستهلاك المعلومات وليس انتهاء بالأدلجات الكبرى.

هذه التحولات الكبرى الحادثة عبر التطورات التقانية المتلاحقة، أوجدت واقعاً جديداً لتداول مفاهيم الإعلام والتكنلوجيا والمعلومات ووسائل التواصل الاجتماعي، وأنّ أهم مزاياه ومظاهره هو القدرة على دمجه لوسائل الإعلام التقليدي، وتطويرها، والذي يعني تطويراً واضحاً لمهنيتها، ولإدخالها مجالاً تنافسياً جديداً غير خاضع للسيطرة لأو نمطية التراتب، أو للأخلاق الكانطية، لأن مصطلح البيوتيقيا يكون هنا أكثر تعبيراً عن التمثلات الأخلاقية والقيمية لهذه التقانات، فهي تعني هنا «الأخلاق المُصنّعة «والتي ستبرر التحكّم، و«التدخّل في طبيعة الإنسان وتحديد ملامحه» [1]

> معظم تكنولوجيات الاتصال الجديدة تحولت إلى سلطة عميقة

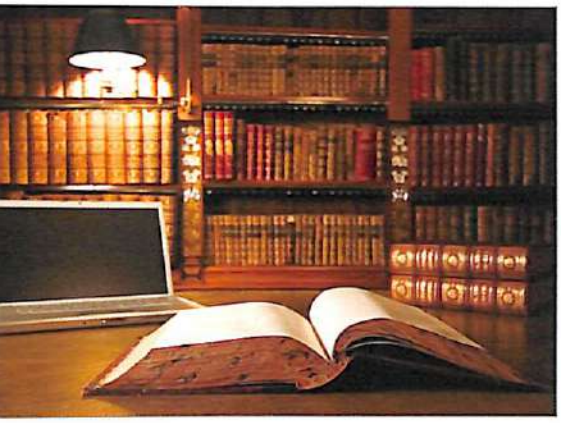

> مفهوم التواصل الذي تحدّث عنه هابرماس لم يخرج عن المجال الثقافي الذي تتموضع فيه الأفكار والتصورات الحرّة

مثلما تبدو أكثر ميلاً للحديث عن الحقوق العامة التي أراد من خلالها هابرماس الحديث عن أخلاق التعايش والمواطنة والحقوق والحريات ونُظم الخدمة العامة، وهي بهذا تكون تأكيداً على فكرة ما سمّاه هابرماس بـ «التحالف الطبيعي بين العلم والتقانة مع الفكرة الليبرالية.[2]

ما أحدثته ثورة المعلومات والتكنولوجيا الاتصالية في السنوات الأخيرة أفقد هذا التحالف قوته، وهشّم قابلية النقد التي تؤطرها مؤسسات الأخلاق العامة، وتملك شرعيتها السلطات المتنوعة بدءاً من سلطة الدولة وسلطة العائلة، وسلطة المؤسسة، وسلطة المدرسة، وسلطة الحزب والطائفة وانتهاء بسلطة الجماعة، إذ بات الفعل التواصلي -عند هذا الفقد الرمزي- يكشف أكثر فأكثر عن أزمة العقل الحداثوي، وعن محنة مؤسساته وأنماطه وطرقه في السيطرة على منظومات التعليم والأسواق والمعلومات والأخبار والصور، مثلما فقد الأهلية في «التوصّل لمعيارية عامة تمتلك القدرة على الاحتكام إليها حينما ينشأ الصراع الاجتماعي»[3]

السلطة الناعمة / السلطة الرقمية

معظم تكنولوجيات الاتصال الجديدة تحولت إلى سلطة عميقة، وإلى قوة ناعمة، وإلى مجال يتمدد مع امتداد «الشبكة العنكبوتية» وإنّ موضوع التشارك فيها يعتمد على الاستعداد، وعلى طبيعة البيئة الثقافية، وعلى القدرة الوظيفية، وعلى حيازة التقانة، وعلى مواجهة تحدياتها، فبقدر ما أنّ هذه التكنولوجيات قد فرضت وجودها، وتقاناتها وفاعليتها، فإنها وضعت نفسها أمام توصيفات جديدة لسرديات جديدة تخصّ «القوة الاعلامية الناعمة» و«القوة التجارية الناعمة» لاسيما على مستوى توصيف الخطاب الإعلامي، وعلى مستويات تعاطيه مع التحديات الرمزية للقانون والحقوق والملكية الفكرية، حيث «تشكّل رقمنة الأصوات وبثّها عبر الحدود الثقافية والقومية اختباراً للحقوق الثقافية والقانون، إذ تسرّع الشبكة مثل هذه الاختبارات والشكوك»[4]

الخطاب الإعلامي الجديد بخصائصه التقانية والرقمية ليس بالضرورة جزءاً عائماً من «السلطة التكنولوجية «فخلفه تقف دائماً سلطات مخفية، لها قوتها ولها رساميلها، ولها مؤسساتها الدولتية والعسكرية والمخابراتية، مثلما أنّ هذا الخطاب ليس إعلاماً موازياً أو بديلاً، بقدر ما هو فضاء إعلامي تفاعلي يقوم على فاعلية الاحتواء، وعلى الإبانة عن مجموعة لامتناهية من الوظائف، وعلى الدمج الاضطراري لوسائل الإعلام التقليدية في منظومته الإجرائية، فهذا الإعلام« يعتمد على استخدام الحاسب الألي في إنتاج وتخزين وتوزيع المعلومات، ويتميز بارتباطه بشبكة الإنترنت والحاسب الآلي والأجهزة النقالة، ودمج وسائل الإعلام التقليدية بعد إضافة الميزة الرقمية التفاعلية»[5]

التحوّل الفاعل في توصيف هذا الإعلام لم يكتف بتغيير وتطوير نمط الخطاب الإعلامي ذاته، ولا محتواه، بل امتد ليمسّ الجمهور وقابليته في تلقي المعلومات والأخبار، وفي تفاعله معها، مثلما مسّ المنظومة الإعلامية ذاتها، كالتلفزيون والإذاعة والصحف والكتاب والفيديو والسينما، وحتى المؤسسات الإعلامية، إذ إنّه سيجد في العمل المؤسسي مجاله الجديد، وبيئته الحاضنة للتغاير والمصلحة، وللتمثلات التقانية، لاسيما تلك التي تتعلق بـ «تعديل الأساليب التحريرية، وبما يتلاءم مع التغيّرات التكنولوجية، ثم رغبات الجمهور، وإلّا فلن تكون قادرة على مواكبة التطورات التقنية المتلاحقة التي تميّز الإعلام الرقمي»[6]

إنّ خاصيات التفاعلية والتكامل والتنوع وحرية التعبير والفورية كلّها مصادر مهمة وفاعلة، تهدف إلى توسيع مديات التأثير الرسالي للخطاب الإعلامي، ومديات خطاب التأثير على الجمهور، وصياغة الرأي العام، الفرجة والترفيه، فضلاً عن مديات الخطاب الاقتصادي أيضاً، فاقتصاديات الإعلام والمعلومات باتت هي الأضخم عالمياً اليوم، وإنّ استثماراتها تُقدّر بمليارات الدولارات، كما أنّ هيمنة الخطاب الإعلامي الرقمي وفاعلية «وسائل التواصل الاجتماعي» أسهم في الحفاظ على الأنماط التقليدية للبث- فرغم تطور تقاناته ووسائطه، إلّا أنه ظلّ مُلتزماً بصيغ التراسل الياكوبسني، القائمة على صانع الرسالة أو محررها أو صانع صورتها، مع متلقيها، وسياقها وأثرها، ورجع صداها، فضلاً عن حفاظه على طبيعة الزمن الثقافي، أي زمن تلقي المعلومات

والتفاعل معها، عبر فعل المشاهدة الحرة، والتصفّح الحر، والنشر الحر، والتلقي الحر، وعبر حيازة المكتبة الإلكترونية، والتواجد ضمن مجموعات إخبارية ومجتمعات افتراضية متعددة، لكنها تعيش في زمن واحد، هو زمن التراسل، وتبادل المنافع الثقافية والمعلوماتية..

الإعلام الجديد الإلكتروني هو مرحلة مهمة من« مراحل التطور التكنولوجي في وسائل الاتصال التي تعتمد على الوسائط الإلكترونية في تزويد الجماهير بالأخبار والمعلومات ويعبر عن المجتمع الذي يصدر منه ويتوجه إليه فهو يشترك مع الإعلام بشكل عام في الأهداف والمبادئ العامة لكنه يتميز باعتماده على وسائل تكنولوجية جديدة المتمثلة في استخدام الحواسيب الآلية أو الأجيال المتطورة من الهواتف النقالة وتصفح شبكة الإنترنت

أما الإعلام الرقمي، فهو إعلام الوسائط التي تلعب دوراً كبيراً في تنشيط الوظيفة الإعلامية، وفي تسريع تداوله وتلقيه، والتواصل من خلاله من الآخرين، وربما له الدور الكبير في إعادة توصيف الإعلام ذاته، فهذا الإعلام يعتمد على جودة الإدارة، وعلى وظائفية العلاقات العامة، وتنسيقها مع خدمات الشركات المالكة لمنصات النشر الرقمية الكبرى، مثل فيس بوك وتويتر وجوجل وأبل..

كما أنه يعتمد بالمقابل على الحصول على الأجهزة الذكية و«التكنولوجيا الرقمية مثل مواقع الويب، الفيديو والصوت والنصوص وغيرها وبالتالي فهو العملية الاجتماعية التي يتم فيها الاتصال عن بُعد بين أطراف يتبادلون الأدوار في بثّ الرسائل الاتصالية المتنوعة واستقبالها من خلال النظم الرقمية ووسائلها لتحقيق أهداف معينة وهو بهذا يشمل كلّ وسائل الإعلام التي تعمل وفق النظم الرقمية بما فيها التلفزيون التفاعلي أو التلفزيون غير التفاعلي الذي يستخدم النظم الرقمية في إنتاج وبث المضامين الإعلامية» [8]

والحديث عن ثنائية هذه الممارسات الإعلامية يدخل في سياق فكرة الحداثة المستمرة، التي تُسهِم في فعل التأثير، من خلال فاعليتها في تغيير أنماط وسلوكيات «الجمهور العام» و«الجمهور المُستهدف» بشكل خاص، حيث نجدُ أنّ الإعلام الرقمي قد أحدثَ تغييرات كبيرة في أنماط وعادات التلقي المعلوماتي والإخباري والثقافي والدعوي، وكذلك في تأثيره على أنسنة الإعلام التقليدي ودفعه للانخراط في المنظومة الإعلامية من خلال تجديد أدواته ووسائطه، مثلما أنّ التكنولوجيا الجديدة قد قامت في ذات المجال بالتشجيع الفعلي على قبول هذا الإعلام وكلّ النشاطات الأكثر تقليدية، كما في صناعة النشر، حيث إن رقمنة إنتاج الكتاب جعلت العملية أقلّ تكلفة وأسرع وأكثر مرونة مما زاد من عدد الكتب التي تنشر سنوياً» [9]

ورغم فاعليته في ذلك، وتفاعله مع طرائق الإعلام والاتصال التقليديين، والحفاظ على المبادئ العامة، إلّا أنه ظلَّ يحمل معه هاجس البحث الإنساني عن التغيير والتجديد، فهو تعبير عن ثورة وظائفية داخل المؤسسات الإعلامية، وعلى توسيع وتحفيز عمل تلك المؤسسات في مجالها البرامجي والتسويقي، حيث« أحدث تغيرات هيكلية كبيرة في نمط الإنتاج والتسويق والإعلان والاستهلاك للمادة الإعلامية، وهو ما يبرز نشاطات جديدة في المجال الإعلامي، بالإضافة لتغيير أساليب إدارة المؤسسات الصحفية وأشكال تنظيمها واستراتيجيتها، بل إنشاء وتطور مؤسسات اقتصادية في قطعات التكنولوجيا الجديدة للإعلام والاتصال» [10]

> علاقة الإنسان بالتكنولوجيا ظلت رهينة بسيطرته على الطبيعة، وفي اصطناعه لمظاهر القوة عبرها

منصات التواصل الاجتماعي والإعلام الجديد

ما هي علاقة منصات التواصل الاجتماعي بالإعلام الجديد والإعلام الرقمي؟ وهل هي منصات رقمية عامة، أمْ إنّ لها توصيفاً آخر، ووظائف أخرى؟ وكيف يمكن لهذا المنصات أنْ تُسهم في تفعيل العلاقات ما بين المجتمع الافتراضي

والمجتمع الواقعي؟

هذه الأسئلة ترتبط باستراتيجيات عمل تلك المنصات، وبنظرة الدول ومؤسساتها إلى خاصياتها الوظيفية، وإلى سياسات تأطيرها، وتنافذها لأنْ تكون جزءاً من المنظومة الاجتماعية، ومن برامج الخدمات العامة، بما فيها الخدمات الإعلامية، وبرامج التنميات الاقتصادية والثقافية والبشرية، فضلاً عن ارتباطها بأطروحات العولمة و«نظرية ماكلوهان عن القرية الكونية» على مستوى التواصل، وعلى مستوى توسيع التطبيقات الذكية للأجهزة وانعكاسها على تطور الوظيفة الإخبارية لوسائل الإعلام، وعلى مستوى متابعة النشاطات الثقافية، تلك التي تخصّ عالم الكتب، أو المؤتمرات العلمية والمهرجانات الثقافية، والتي تكون تغطيتها عبر «أو لاين» ممارسة فاعلة، لها تأثيرها في مستوى اتساع واستخدام هذه المنصات داخل البيئات المجتمعية، وفي شرائح متخصصة فيها، لاسيما الشباب، فقد «تجاوز عدد مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي في جميع أنحاء العالم حاجز الثلاثة مليارات شخص، وفقًا لأحدث البيانات الرقمية العالمية من الشركة الإعلامية «We Are Social»، ومنصة إدارة حسابات التواصل الاجتماعي Hootsuite [11]

هذه المؤشرات تعكس طبيعة التطورات المتسارعة في استخدام المنصات، مثلما تعكس علاقتها باتجاهات النمو في التعاطي مع الحاجة إليها، وإلى أنها صارت واقعاً في المجتمعات الحديثة، وجزءاً من منظومتها الاجتماعية والحضارية، فعدد مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي النشطين يرتفع بمعدل مليون مستخدم جديد يوميًا خلال الربع الأخير، مما يعني أنّ هناك تحديثات رئيسة ستحدث في هذه المنظومة، وفي زيادة أعداد مستخدمي الإنترنت، وهذا ما يعني الحاجة إلى البرامج الصيانية، وإلى إيجاد المجاورات الثقافية التي تعزز مديات الاستفادة منها في المجالات المختلفة، وتقليل هامش الضرر الأخلاقي والبرامجي الذي تعمد إليه بعض الاستخدامات المضرة كالأفلام الإباحية وأفكار التطرف والكراهية والعنف والإرهاب، وكل ما يضرّ بقيم التعايش المجتمعي.

إنّ تعريف وسائل التواصل الاجتماعي لا يخرج عن كونها مجموعة من البرامج والأدوات التي يستخدمها جمهور متنوع من خلال الوسائط المتعددة في شبكة الإنترنت وتطبيقاتها مثل« الفيس بوك، وتويتر، اليوتيوب، والمدونات، ومواقع الدردشة، والبريد الإلكتروني» وتشير الزيادة في أعداد مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي إلى أنّ استعمال الإنترنت لا يزال ينمو بمعدل مثير للإعجاب، من خلال تشكيل «المجموعات» وتصميم المواقع الإعلامية والإعلانية، والقيام بحملات التسويق الاجتماعي عبر تطبيقات الاتصال الرقمي، والعمل على تأسيس صحافة البيانات والرسوم المعلوماتية، وتصميم المواقع الإعلامية والإعلانية عبر الوسائط الذكية المختلفة، فضلاً عن تنظيم الفعاليات ذات البعد السياسي أو الإنساني أو الثقافي من

خلال سرعة نشر البيانات أو حملات الدعم أو المقاطعة، أو لافتات الهاشتاك وغيرها.

إنّ تطور وسائل التواصل الاجتماعي لا يعني فقط أنها الهواية المفضلة لجميع مستخدمي الإنترنت فقط، بل لأنها ترتبط بفكرة المصلحة التي تحدث عنها هابرماس، وبالتواصل، وبالتراسل السريع الذي يلبّي كثيراً من الحاجات، عبر منصات الفيس بوك، والتويتر وواتس آب، والتيليغرام، والانستغرام والماسجنر، والفايبر وسناب شات وغيرها، والتي تحوّلت هي الأخرى إلى مجالات واسعة، حيث أصبحت بعض« المحطات الإذاعية تبث برامجها بواسطة الإنترنت، وأصبح اليوتيوب بمثابة قناة تلفزيونية متاحة للجميع لعرض الفنون والأخبار... الخ، بينما تويتر والفيسبوك يبدو كأداة للتعبير عن مختلف الآراء السياسية وبمثابة صحيفة متاحة للجميع» [12]

فضلاً عن ما يمكن اعتماده على مستوى السرعة في التراسل، وفي البرمجة والتحرير، إذ إنّ هذه الوسائط تفعل فعلها في تطوير الفضاء الإعلامي، وتحفّز وظائفه، حيث سيصبح «الايميل مثلاً عبارة عن شكل من البريد، لكن سرعته ومقدرته الجمعية في الوصول للعديد من العناوين مباشرة، تمكنه من أن يصبح مثل برنامج إذاعي، وإن كان برنامجاً تفاعلياً» [13]

لقد تغيّر كلُّ شيء، وما عادت الجرائد والمجلات تظهر وكأنها المجال المادي الوحيد لتلقي الخبر، وغابت عنها طقوسها الصباحية، وحتى ترتيبها التحريري التي تظهر أيقوناته في أعلى الصفحة الأولى، وبات حضور الجريدة خاضعاً لمتغيرات كبيرة ذات بعدٍ تقاني واضح بدأت مع «ظهور مستحدثات جديدة في نظم الطباعة ونظم إرسال الصفحات عبر الأقمار الصناعية مما أثّر في أساليب التحرير والإخراج والإنتاج، وكذلك مع دخول الحاسوب ونظام النشر المكتبي إلى الصحيفة اليومية، والذي حمل كثيراً من التغيير في سير العمل داخل غرف التحرير والإنتاج والتصميم والإخراج». [14]

الإعلام الجديد وتحديات الواقع

ليس سهلاً الادعاء بأنّ الإعلام الجديد قد فرض نفسه، وباتت وسائطه وتطبيقاته هي المهيمنة، وأنّ قنواته تحكم مسار أنظمة البثّ والتلقي، وتفرض سيطرتها على «المجال الافتراضي» الذي تتعامل معه وعبره جماعات وأفراد ومؤسسات وحتى حكومات، دون تحديات واقعية، وفنية، وبحسابات قد تتأثر فيها المرجعيات اللاواعية في المجتمعات النامية، وقيم الأخلاق والحقوق في المجتمعات المتقدمة، فضلاً عن طبيعة تأثيراتها السياسية والأمنية، وكل ما يتعلّق بالإجراءات التشريعية التي تخصّ حماية حقوق الملكية الفكرية وحماية هيئات النشر والبث الإعلامي في بيئة الإنترنت، والتعاطي مع تعقيدات الفجوة الرقمية بين الدول، والشركات وبين مستهلكي المعلومات في بيئة الإعلام الاجتماعية أو التعليمية أو حتى البحثية والاقتصادية.

وبهذا الاتجاه تدخل تحديات مواجهة القرصنة الإلكترونية، مستوى من الخطورة التي تهدد مفهوم المصلحة القديم، والمحتوى الأخلاقي لأدوات النشر الجديدة التي قد تُعرّض الجمهور لمخاطر محتملة مثل الإشاعات وصور الفوتوشو والأخبار والتصريحات المفبركة، وخطورة التعرّض لخطابات التطرف والكراهية والعنصرية والتخندق السياسي والطائفي، فضلاً عن الترويج لمحتويات أخلاقية وإباحية ضارة من خلال تقانة اليوتوب، والبث المباشر للفيديو وغيرها، وبما يجعل من مفهوم التفاعلية خاضعاً لمهيمنات سرية، مع بروز واضح للتحديات التي تخصّ مواجهة احتكار عديد من الشركات الكبرى مثل شركة مايكروسوفت وأنتل، للتطبيقات الإلكترونية، وعدم ضبط المصداقية والمهنية والموضوعية في نشر الأخبار، وبصدقية الوثائق والأسانيد التي يتم طرحها وتداولها من خلال فضاءات الإعلام الجديد أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وبالتالي إضعاف هامش التنافس الحر، والقدرة على الحفظ الآمن للوثائق والبيانات والمعلومات، وحتى وكالات الأنباء، التي قد تتعرّض للخرق والتهكير من قبل أشخاص، أو جهات تحاول إحداث أضرار وتشوهات معنوية أو معلوماتية تُحدث مشاكل كبيرة بين الدول والجماعات والأفراد.

*: يورغن هابرماس فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر يعتبر من أهم علماء الاجتماع والسياسة في عالمنا المعاصر.

> خاصيات التفاعلية والتكامل والتنوع وحرية التعبير والفورية كلّها مصادر مهمة وفاعلة، تهدف إلى توسيع مديات التأثير الرسالي للخطاب الإعلامي

1. الإشكالية السياسية للحداثة/ د. علي عبود المحمداوي ص169.
2. ذات المصدر ص169.
3. ذات المصدر ص177.
4. الدراسات الثقافية، مقدمة نقدية، تأليف سيمون ديورنغ، ترجمة د. ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 425 يونيو 2013 ص229.
5. سعد بن محارب المحارب: الإعلام الجديد في السعودية: دراسة تحليلية في المحتوى الإخباري للرسائل النصية القصيرة، الكويت جداول، للنشر والتوزيع سنة 2011 ص28.
6. د. رحيمة الطيب العيساني: الصراع والتكامل بين الإعلام الجديد والإعلام التقليدي، الباحث الإعلامي، جامعة بغداد: العدد 20، بغداد 2013 ص65.
7. حسنين شفيق: الإعلام الجديد: الإعلام البديل تكنولوجيات جديدة في عصر ما بعد التفاعلية، بغداد، دار فكر وفن، 2010 ص53.
8. ذات المصدر ص53.
9. الدراسات الثقافية، مقدمة نقدية، تأليف سيمون ديورنغ، ترجمة د. ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 425 يونيو 2013 ص231.
10. د. أحمد شفير: الاقتصاد الجديد وتشغيل الشباب»، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر العربي الأول لتشغيل الشباب» الجزائر، وزارة العمل والتشغيل والتضامن الاجتماعي، منظمة العمل العربية، نوفمبر 2009 ص1.
11. جريدة المواطن السعودية، 9، أغسطس 2017.
12. د. حمدي بشير، ظاهرة الإعلام الاجتماعي وأبعادها الاقتصادية والسياسية والأمنية في العالم العربي، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 2014 ص32.
13. الدراسات الثقافية، مصدر سابق، ص 228.
14. د. حمدي بشير، ظاهرة الإعلام وأبعادها، مصدر سابق ص32.

الصغيرة الكبيرة

يقال إن رجلاً من فارس يجيد اللغة العربية بطلاقة، حتى إنه عندما يكلم ناساً من العرب يسألونه من أي قبائل العرب أنت؟

فيضحك، ويقول: أنا فارسي وأجيد اللغة العربية أكثر من العرب!

فذات يوم وكعادته وجد مجلس قوم من العرب فجلس عندهم وتكلم معهم وسألوه: من أي قبائل العرب أنت؟

فضحك وقال: أنا من فارس وأجيد العربية خيراً منكم.

فقام أحد الجلوس وقال له: اذهب إلى فلان بن فلان رجل من الأعراب، وكلمه فإن لم يعرف أنك من العجم فقد نجحت وغلبتنا كما زعمت. وكان ذلك الأعرابي ذا فراسة شديدة.

فذهب الفارسي إلى بيت الأعرابي وطرق الباب. فإذا ابنة الأعرابي وراء الباب. تقول: من بالباب؟!

فرد الفارسي: أنا رجل من العرب وأريد أباك.

فقالت الطفلة: أبي ذهب إلى الفيافي فإذا فاء الفي أفا.

هي تعني أن أباها ذهب إلى الصحراء فإذا حل الظلام أتى.

فقال لها: إلى أين ذهب؟!

فردت عليه مرة أخرى وقالت: أبي فاء إلى الفيافي فإذا فاء الفي أفا.

فأخذ الفارسي يراجع الطفلة ويسأل وهي تجيب من وراء الباب.

حتى سألتها أمها: يا ابنتي من بالباب؟

فردت الطفلة:

أعجمي عند الباب يا أمي!

إن كانت هذه الطفلة بهذا المنطق ومعرفة اللغة؛ فكيف لو قابل أباها؟!

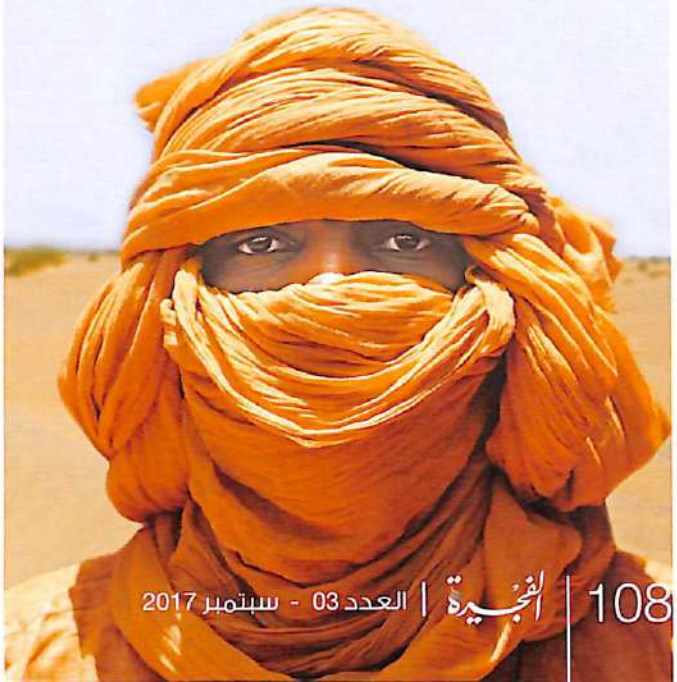

من المجنون؟

بعث الرشيد وزيره «ثمامة» إلى دار المجانين ليتفقد أحوالهم، فرأى بينهم شاباً حسن الوجه يبدو كأنه صحيح العقل، فأحبّ أن يكلمه، فقاطعه المجنون بقوله: أريد أن أسأل سؤالاً!

فقال الوزير: هات سؤالك.

فقال الشاب: متى يجد النائم لذة النوم؟

فقال الوزير: حين يستيقظ.

فقال الشاب: كيف يجد اللذة وقد زال سببها؟

فقال الوزير: بل يجد اللذة قبل النوم؟

فاعترضه الشاب بقوله: وكيف يلتذ بشيء لم يذقه بعد؟

فقال الوزير: بل يجد اللذة حال النوم.

فرد عليه الشاب يقول: إن النائم لا شعور له، فكيف تكون لذة بلا شعور.

فبهت الوزير ولم يحر جواباً، وانصرف وهو يُقسم ألا يجادل مجنوناً أبداً.

ألا أيها البنتان إن أباكما

يروى أن شاعراً كانت له ابنتان على قدر من الذكاء والفطنة، وحدث أن لقي الشاعر عدواً كان يطلبه فعرف أنه مقتول لا محالة، فرجا عدوّه بعد أن يقتله أن يذهب إلى منزله، الذي وصفه له، فيلقي على ابنتيه شطر بيت من الشعر، وهو:

ألا أيها البنتان إن أباكما

فوعده الرجل أن يفعل ذلك، وبالفعل بعد أن قتله ذهب إلى منزله وطرق الباب فلما ردت عليه إحدى البنتين من داخل البيت، قال:

ألا أيها البنتان إن أباكما

فردت البنتان في صوت واحد:

قتيلٌ خذا بالثأر ممن أتاكما

ثم صاحتا حتى اجتمع الناس، فطلبت البنتان منهم أن يقبضوا على الرجل ويرفعوه إلى القضاء حيث أقر بقتل الشاعر ونفذ فيه القصاص.

تأملات

قيل لأعرابي: لقد أصبح رغيف الخبز بدينار!
فأجاب: والله ما همني ذلك ولو أصبحت حبة القمح بدينار؛ أنا أعبد الله كما أمرني وهو يرزقني كما وعدني.

يرفع المتخاصمان صوتهما مع أنهما قد يقفان متقابلين حدَّ التلامس، ولا شك أنهما لا يحتاجان إلى هذا كله كي يسمعا بعضهما، ولكن المشكلة تكمن في أن قلبيهما لم يعودا قريبين؛ فكلما تناءت القلوب تناءى السمع؛ ألا ترى المتحابين يهمسان!

حين يكون قدرك مع من لا يقدِّر قيمتك وأنت معه، فأدبر ظهرك وولِّ وجهك إلى حيث تختار، وحين يدرك ما كان لك عليه وما كان منه لك فسيأكله الندم حين لا يجدك أمامه.

الناجح يخلق من العائق فرصة.

- أسوأ ما في الكريم أن يمنعك نداه، وأحسن ما في اللئيم أن يكف عنك أذاه.
- السخي شجاع القلب، والبخيل شجاع الوجه.

«متسول...ملحاح»

ألحَّ سائلٌ على أعرابيّ أن يعطيه حاجةً لوجه الله.
فقال الأعرابيّ: والله ليس عندي ما أعطيه للغير؛ فالذي عندي أنا أولى الناس به وأحقّ.
فقال السائل: أين الذين كانوا يؤثرون أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؟
فقال الأعرابيّ: ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافاً.

قصة مثل

أكرم من حاتم

سأل رجل حاتماً الطائي يوماً، فقال: يا حاتم، هل غلبك أحد في الكرم؟
قال: نعم، غلام يتيم من طيئ نزلت بفنائه وكان له عشرة رؤوس من الغنم، فعمد إلى رأس منها فذبحه، وأصلح من لحمه، وقدم إلي، وكان فيما قدم إليّ الدماغ فتناولت منه فاستطبته.
فقلت: طيب والله، فخرج من بين يدي وجعل يذبح رأساً رأساً ويقدم لي الدماغ وأنا لا أعلم، فلما خرجت لأرحل نظرت حول بيته دماً عظيماً وإذا هو قد ذبح الغنم بأسره.
فقلت له: لم فعلت ذلك؟
فقال: يا سبحان الله، تستطيب شيئاً أملكه فأبخل عليك به؟! إن ذلك لسُبة على العرب قبيحة!
قيل: يا حاتم، فما الذي عوضته؟
قال: ثلاثمئة ناقة حمراء وخمسمئة رأس من الغنم.
فقيل: إذاً أنت أكرم منه.
فقال: بل هو أكرم؛ لأنه جاء بكل ما يملك وإنما جدت بقليل من كثير.

نحن نمدحُ ما يلائم ذوقنا؛ وهذا يعني أننا عندما نمدح فنحن نمدح ذوقنا الخاص. ألا يخالف هذا كلّ ذوقٍ سليمٍ!

«فريدريك نيتشه»

عرفت بشرة الإنسان ثم عرفت أن هنالك روحاً تحت بشرته بعدها عرفت أن الروح في الحقيقة تقع فوق البشرة.

«جلال الدين الرومي»

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

«أبو الطيب المتنبي»

إني لأوثر أن أكون الأدنى بين ذوي الأحلام الطامحين إلى تحقيقها على أن أكون الأعلى بين مَنْ لا حُلم لهم ولا طموح.

«جبران خليل جبران»

ما شبهت الشباب إلا كشيء كان في كمي ثم سقط.

«الإمام أحمد بن حنبل»

يمكنك أن تصنع الجمال من الحجارة التي توضع لك كعثرة في الطريق.

«يوهان فولفغانغ غوته»

أصغ لمحدثك جيداً؛ فإن لسانه يغترف مما في قلبه.

«الرازي»

المدخن الشره الذي يقرأ كثيراً عن التدخين لا بد أن يقلع يوماً عن القراءة.

«ونستون تشرشل»

السمعة أكثر الخدع زيفاً وبطلاناً؛ فهي كثيراً ما تكتسب بغير وجه حق وتفقد دون وجه حق.

«وليم شكسبير»

احلم بالسمك وكل ما شئت

قال الأعمش لجليس له: أما تشتهي بناني (نوع من السمك) زرق العيون، نقية البطون، سود الظهور، وأرغفة حارة لينة؟

قال: بلى.

قال: فانهض.

قال الرجل: فنهضت معه، ودخل منزله، فأومأ إليّ أن خذ تلك السلة.

قال: فكشفها فإذا برغيفين يابسين، وسُكُرُجة كامخ وشِبَث، قال: فجعل يأكل فقال لي: تعال، كل، فقلت: وأين السمك؟! قال: ما عندي سمك إنما قلت لك: تشتهي؟

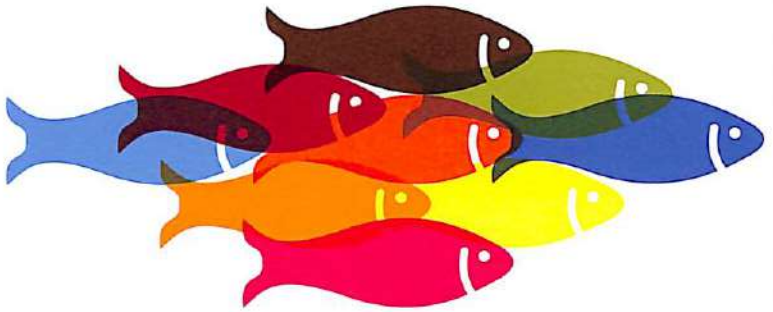

سرعة بديهة

ذكر أهل الأدب أن أحد الشعراء دخل على الأمير المهلّبي في العراق، وكان المهلّبي الوزير مهيباً غضُوباً عبوساً، فدخل عليه الشاعر وقت المساء، وأراد أن يقول: كيف أمسيت أيها الأمير؟ فغلط الشاعر من الرهبة وخوف الموقف، فقال: كيف أصبحت أيها الأمير؟

فقال: هذا مساء أو صباح؟!

فأطرق الشاعر قليلاً، ثم رفع رأسه، وقال:

صَبّحتُهُ عند المساء فقال لي:
ماذا الصّباحُ؟ وظنّ ذاك مِزاحاً

فأجبته: إشراقُ وجْهِكَ غرّني
حتى تَبَيّنْتُ المساءَ صباحا

بالصبر والاحتمال غلبت الأبطال

سُئل عنترة:
بم نلت الشجاعة؟!
قال: بالصبر.
قيل له: كيف؟
فقال: تعلمت ذلك في الصغر، كنت ألعب أنا والصبيان، فكلٌ منا يضع إصبعه في فم الآخر؛ فأيُنا سحب إصبعه الأول انهزم.
فكلما أردت أن أسحب إصبعي من فمه. قلت: لعله هو يريد أن يفعل ذلك قبلي.
فإذا هو يفعله فأنتصر أنا.
وهكذا في المعركة انتصرت وغلبت الأبطال.

النباشون وأهل الخير

جلس الشاعران العراقيان، الزهاوي والرصافي يأكلان ثريداً فوقه دجاجة محمرة، وبعد قليل مالت الدجاجة ناحية الزهاوي، فقال:
عرف الخير أهلهُ فتقدما
فرد الرصافي:
كثر النبش تحته فتهدما

«أمثال الشعوب»

لا تتحدَّ إنساناً ليس لديه ما يخسره.
«مثل فرنسي»

العبد حر إذا قنع والحر عبد إذا طمع.
«مثل عربي»

لا يتعلم الكلب السباحة إلا إذا غمرت المياه أذنيه.
«مثل روسي»

إذا لم يكن الشيء أسود فلا يعني ذلك أنه أبيض.
«مثل إسباني»

امدح الإنسان بعد موته.
«مثل تركي»

صنعَ الإنسان الثروة ولم تصنع الثروة إنساناً قط.
«مثل فيتنامي»

التسامح أبلغ درس

كان صديقان يمشيان في الصحراء، وخلال الرحلة تجادلا فضرب أحدهما الآخر على وجهه.
الرجل الذي ضُرب على وجهه تألم، ولكنه لم ينطق بكلمة واحدة، وكتب على الرمال: «اليوم أعز أصدقائي ضربني على وجهي».
استمر الصديقان في مشيهما إلى أن وجدا واحة فقررا أن يستحما.
الرجل الذي ضُرب على وجهه علقت قدمه في الرمال المتحركة، وبدأ في الغرق، ولكن صديقة أمسكه وأنقذه من الغرق.
وبعد أن نجا الصديق من الموت قام وكتب على قطعة من الصخر: «اليوم أعز أصدقائي أنقذ حياتي».
الصديق الذي ضرب صديقه وأنقذه من الموت سأله: «لماذا في المرة الأولى عندما ضربتك كتبت على الرمال والآن عندما أنقذتك كتبت على الصخرة؟». فأجاب صديقه: «عندما يؤذينا أحد علينا أن نكتب ما فعله على الرمال حيث رياح التسامح يمكن لها أن تمحوها، ولكن عندما يصنع أحد معنا معروفاً فعلينا أن نكتب ما فعل معنا على الصخر حيث لا يوجد أي نوع من الرياح يمكن أن يمحوها».

باي باي من لندن

وداعاً صانع الابتسامة

عبدالعزيز بوبر

من لندن أسدل الستار على حياة مليئة بالعطاء للفنان الكبير عبد الحسين عبد الرضا بعد أن قضى عمره خادماً لرسالته الفنية ليصبح قامة عملاقة ومدرسة كبيرة في ميادين المسرح والدراما والكوميديا، فلطالما أعطى كله للفن ليشكل ظاهرة فريدة من نوعها وثرية بتجربتها، من لندن التي اقترنت بأشهر مسرحياته «باي باي لندن» يقول وداعاً لكن هذه المرة من مسرح الحياة الكبير.

اقتفاء أثر فنان قدير كعبد الحسين عبد الرضا أو كما يحب قطاع واسع من الجمهور تسميته «بن عاقول» ليس من السهولة بمكان، ذلك أن الفنان الراحل متعدد المواهب والجوانب، لم يترك مجالاً فنياً إلا اقتحمه وأثبت فيه جدارته واستحقاقه، وقد تربت أجيال على متابعة أعماله العالية الرسالة والتي دعمت بشخصية كاريزمية للراحل مكنته من الوصول إلى قلوب جماهيره في الكويت ودول الخليج العربية ليمد ببساطة شديدة جسراً من المحبة بينه وبينهم لا يمكن أن يغلق أبداً.

هكذا هو عبد الحسين عبد الرضا المبدع الذي ساهم في تأسيس الكثير مفردات الفعل الكوميدي على المستوى الخليجي على وجه الخصوص فامتلك وحده المقدرة على تحريك مشاعر الجماهير فنياً بما ينفرد به من أداء متمكن تراجيدياً وكوميدياً، ولتقف هذه الجماهير مشدوهة غير مصدقة خبر رحيله بعد سنين طويلة من الصراع مع المرض.

عبد الحسين عبد الرضا كبير دخل قلوب الجماهير العربية.. ليس مجرد ممثل بدور وشخصية واحدة، بل بأدوار أقنع بها الجمهور أنه رجل الأعمال، التاجر، الأستاذ الجامعي، الرومانسي، الإسكافي، المطرب، الطبيب، صائد السمك... في آن واحد

عاش عمره يبحث عن فن راق صادق يحتوي موهبته وقدراته الكبيرة، وآذان تسمعه، وعقل يفهمه، ونجاح يستوعبه، حتى رسخ ما طلبه وما تمناه في جيل من الفنانين الذين جعلوه أسوة.

عبد الحسين في الفجيرة

زار الراحل الفجيرة وكرم فيها من قبل صاحب السمو الشيخ حمد بن محمد الشرقي عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الفجيرة في الدورة السادسة من

مهرجان الفجيرة الدولي للمونودراما، وتعليقاً على التكريم صرح الفنان الراحل «أمام هذا التكريم أستطيع التأكيد أنني سأظل ابناً وفياً للمسرح مهما ابتعدت أو توقفت عند هذه المحطة أو تلك، سواء التلفزيون أو الإذاعة أو غيرها من المفردات الفنية. فإنني أعتز بأنني ابن المسرح».

هموم مجتمعه

ساهم الفنان الكبير عبد الحسين عبد الرضا في نقل الدراما الخليجية سواء التلفزيونية أو المسرحية أو السينمائية وانتشارها على صعيد الوطن العربي وحبها للمشاهد العربي حيث حملت هموم المجتمع الخليجي والعربي، فكان ذلك الفنان الذي حمل رسالة هموم المجتمع في طابع كوميدي راقٍ.

نصف قرن من الفن

ولد الفنان عبد الحسين عبد الرضا في دروازة عبد الرزاق بفريج العوازم في منطقة شرق في الكويت عام 1939 لأب كان يعمل بحارًا، وهو السابع من بين إخوته الأربعة عشر. تلقى تعليمه في الكويت حتى مرحلة الثانوية العامة وذلك في مدرستي المباركية والأحمدية. عمل في وزارة الإرشاد والأنباء في قسم الطبع، ثم سافر في بعثة إلى مصر على نفقة الوزارة عام 1956 لتعلم فنون الطباعة، وفي عام 1961 سافر في بعثة إلى ألمانيا لاستكمال الدراسة في فنون الطباعة. وتدرج في الوظائف الحكومية حتى وصل إلى منصب مراقب عام قسم الطباعة في وزارة الإعلام عام 1959 إلى أن تقاعد في 30 سبتمبر 1979.

تزوج أربع مرات ولديه ثلاث بنات وولدان أكبرهم عدنان وأصغرهم بشار الذي يعمل في المجال الفني.

وهو من أسرة فنية، حيث إن أخاه «أمير» فنان تشكيلي قدم مسرحيات وأوبريتات بفن الدمى بشخصية «بو زعلان»، كما أن ابن أخيه هو الممثل علي محسن، وأيضًا ابن عمه المغني غريد الشاطئ.

عملاق الكوميديا

يعتبر الفنان الراحل من مؤسسي الحركة الفنية في الخليج مع مجموعة من الفنانين منهم خالد النفيسي وعلي المفيدي وسعد الفرج وإبراهيم الصلال وغانم الصالح وغيرهم، حيث كانت بداياته في أوائل ستينيات القرن العشرين، وتحديدًا في عام 1961 وذلك من خلال مسرحية صقر قريش بالفصحى، حيث كان بديلاً للممثل عدنان حسين، وأثبت نجاحه أمام أنظار المخرج زكي طليمات، وتوالت بعدها الأعمال من مسلسلات تلفزيونية ومسرحيات لتنطلق معها الإنجازات والشهرة والجوائز وغيرها. قدم أشهر المسلسلات الخليجية على الإطلاق الذي لا يزال المسلسل الأول بالخليج وهو مسلسل درب الزلق مع سعد الفرج وخالد النفيسي وعبد العزيز النمش وعلي المفيدي. كذلك مسلسل الأقدار الذي كتبه بنفسه.

وعلى جانب المسرح كانت له مسرحيات كثيرة أشهرها باي باي لندن وبني صامت وعزوبي السالمية وعلى هامان يا فرعون وغيرها الكثير. كما قام بكتابة بعض أعماله المسرحية والتلفزيونية بنفسه منها سيف العرب وفرسان المناخ وعزوبي السالمية و30 يوم حب وقاصد خير وغيرها، وخاض مجال التلحين والغناء

> عاش عمره يبحث عن فن راقٍ صادق يحتوي موهبته وقدراته الكبيرة

> كانت له مسرحيات كثيرة أشهرها باي باي لندن وبني صامت وعزوبي السالمية وعلى هامان يا فرعون

والتأليف المسرحي والتلفزيوني وأصبح منتجاً. اشتهر بالشخصية الساخرة المرحة التي تنتقد وتسخر من الأوضاع بقالب كوميدي. وهو أحد مؤسسي «فرقة المسرح العربي» عام 1961 و«فرقة المسرح الوطني» مع زميله سعد الفرج عام 1976، كما قام بعام 1979 بتأسيس «مسرح الفنون» كفرقة خاصة، وفي عام 1989 أسس شركة مركز الفنون للإنتاج الفني والتوزيع وكان قد أسس في عام 1971 شركة مطابع الأهرام.

الغناء

اشتهر بجمال صوته، وهذا ما أعطاه تميزًا عن بقية الفنانين في جيله، مما جعله يخوض تجربة «الأوبريتات» كأول فنان يقوم بعمل الأوبريتات التمثيلية الغنائية والتي لاقت نجاحًا كبيرًا، إضافة إلى أنه قام بالغناء ضمن أعماله التلفزيونية والمسرحية عندما كان العمل يستدعي ذلك.

الثنائيات

قدم العديد من الثنائيات في الإذاعة والتلفزيون لعل أشهرها مع الفنان سعد الفرج الذي اتضح في مسلسل درب الزلق ومسلسل الأقدار وعدد من المسرحيات، وكذلك مع الفنان خالد النفيسي في مسلسلات محكمة الفريج وديوان السبيل والحيالة، علمًا أن بدايته مع الثنائيات كانت مع عبد العزيز النمش ومحمد جابر في مسلسلات مذكرات بوعليوي والصبر مفتاح الفرج، ومن أشهر الثنائيات التي قدمها كانت مع الفنانة سعاد عبد الله في عدد من الأوبريتات.

كما أن لديه عدداً من الأعمال التي تتناول الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية بأسلوب كوميدي نقدي.

الفن .. عشق الطفولة

أحب عبد الحسين الفن منذ صغره وعشق التلفزيون والمسرح، حياته الفنية مزيج من القلق والتوتر والعصبية. ممثل مدهش مرهف الأحاسيس. وقد كان فناناً بكل ما تحمله الكلمة من معنى من قمة رأسه حتى أخمص قدميه. ذاب في أدواره وعاش فيها ليصل إلى القمة. تعامل مع الورق، مع الشخصيات التي نسجها المؤلف حتى لو كان العمل من تأليفه، فأحب الفن بكل أدواته الإنسانية الصادقة، وحرص أن يظهر عمله في صورة مشرفة متكاملة، وقد جاء دخوله مجال الإنتاج لخدمة الأعمال التي مثل فيها وإثرائها بالخبرة والرعاية.

هي مكانة لم يصل إليها بسهولة بل عبر كثير من الكفاح والجهد والتعب وأيضاً الأزمات القلبية التي تجاوزها بفضل صلوات ودعاء أهله وجمهوره ومحبيه في أنحاء الوطن العربي الكبير.

أعماله الكوميدية رسخت حضوره في وجدان الجماهير كنجم بارز في فضاء الكوميديا واحد الأقطاب التي ساهمت في زرع الابتسامة على وجوه الجماهير في منطقة الخليج العربية.

وأهم أعماله المسرحية هي: قناص خيطان، مراهق في الخمسين، سيف العرب، فرسان المناخ، باي باي لندن، عزوبي السالمية، باي باي عرب، على هامان يا فرعون، بني صامت، ضحية بيت العز، من سبق لبق، الليلة يصل محقان، 30 يوم حب، وغيرها. أما أهم أعماله التلفزيونية فهي: حبل المودة، الحيالة، ديوان السبيل، سوق المقاصيص، زمان الإسكافي، لن أمشي طريق الأمس، قاصد خير، لعبة الأيام، القلب الكبير، أجلح وأملح، مرمر زماني، درس خصوصي، درب الزلق، شرباكة، العتاوية، وغيرها.

تكريم

تم تكريمه من قبل العديد من الجهات الرسمية في الوطن العربي منها: نجم المسرح الأول 1980 بالكويت، جائزة الريادة الأولى للمسرح 1987، قرطاج في تونس، رائد المسرح العربي 1988 في القاهرة، شهادة تقدير من قاعدة الملك عبد العزيز الجوية بمناسبة مهرجان القاعدة الرمضاني الأول بالمملكة العربية السعودية في 1984، جائزة سلطان العويس 1997 من الإمارات العربية المتحدة، شخصية العام في العديد من الاستفتاءات، جائزة تقدير من مهرجان الخليج للإنتاج التلفزيوني بالبحرين 1997 للدور الريادي في مجال العمل التلفزيوني من جهاز تلفزيون الخليج، جائزة الدولة التقديرية في الكويت 1998، جائزة تقدير من وزارة الثقافة الأردنية «مهرجان المسرح الأردني التاسع 2001 وفي 2013 كرم من أيام الشارقة المسرحية، وفي 2014 كرم في الفجيرة بشخصية العام من مهرجان الفجيرة الدولي للمنودراما، وفي 2017 حصل على جائزة خلف الحبتور للإنجاز.

وفاته

توفي في مساء يوم الجمعة 11 أغسطس 2017 بعد إجراءه عملية جراحية في القلب نتيجة تعرضه لجلطة حادة في مدينة لندن في بريطانيا عن عمر ناهز 78 عاماً، وقد أعلنت عدة قنوات كويتية خاصة الحداد بعد خبر وفاته. ترجل عبد الحسين تاركاً وراءه إرثاً سيظل مضيئاً في الذاكرة ومزدهراً في الوجدان وتاريخاً لمنطقتنا نابضاً بكل تفاصيل الحياة، وسيبقى كبيراً في مقامه الفني وشخصيته الإنسانية الأصيلة، رحل بعد أن زرع البسمة في القلوب، فوداعاً عبد الحسين عبد الرضا.

المتسولة

الكاتب: ضياء جبيلي

حدث هذا في البصرة. عند تقاطع الطرق وسط المدينة. بعد الاحتلال البريطاني للمدينة بفترة قصيرة.

مجموعة من المتسولات اختلفن بشأن ملامة، المرأة الثلاثينية المنقبة التي تنافسهن في الاستجداء واستحصال العطايا من المارة والركاب. هل هي متسولة حقاً، أم هي بائعة هوى متخفية بمسوح الحشمة والتعفف؟

وبالتالي قررن مراقبتها عن قرب، والتجسس عليها، واقتفاء أثرها في كل مكان توجد فيه، والتحري بشأن المال الذي تحصّله ومصدره. وقد فعلن ذلك على مدى أسبوع كامل، إلى أن اجتمعن مرة ثانية وبدأ اللغط من جديد حول ملامة، ودار الحديث عنها لساعة، وعندما أوشكن على تبرئتها من تهمة الدعارة انبرت إحداهن وقالت إنها بائعة هوى.

«رأيتها بهاتين العينين اللتين سيأكلهما الدود وهي تكشف صدرها للجنود البريطانيين»

قالت المتسولة ذلك، وادعت أن ملامة تفعل ذلك مقابل خمسة دولارات للنظرة الواحدة. وتستعمل من أجل إيصال غايتها تلك ورقة كرتون تحملها دائماً، توضح فيها للجنود عرضها الإغرائي.

راقت الفكرة للمتسولات. فرحن في اليوم التالي يقدمن عروضهن للجنود البريطانيين، في تقاطع الطرق، بواسطة أوراق كُتب عليها:

«هل تود أن ترى ؟
ادفع لأجل ذلك
النظرة الواحدة خمسة دولارات
واللمسة عشرة دولارات»

انقضت عدة أيام ولم تجنِ مجموعة المتسولات دولاراً واحداً. في حين كانت ملامة تحصل على المزيد من العملة الصعبة، وتعود إلى بيتها مليئة بالسعادة وأكياس الفاكهة والطعام. الأمر الذي أدى إلى استعار الغيظ في نفوس المتسولات اللائي أحسسن بالبساط وهو يُسحب من تحتهن.

«هؤلاء الإنجليز بخلاء!» قالت إحداهنّ.

«تلك المرأة» قالت الأخرى:

«تعرف جيداً من أين تؤكل الكتف»

«نعم» قالت الثالثة بامتعاض:

«وإلا لما استحوذت على اهتمام هؤلاء الجنود الشقر والسود !»

«ماذا سنفعل ؟» قالت متسولة:

«إنها تسرق أرزاقنا، هل سنموت من الجوع؟»

«لا أحد يموت من الجوع « قالت أخرى بصوت غاضب سرعان من انتهى إلى التهدئة:

«سنجد حلاً»

في اليوم التالي دُعيت ملامة من قبل المتسولات ليتباحثن معها بهذا الصدد. وطلبن منها مغادرة المكان إلى مكان آخر تجد فيه رزقها، فتقاطعات الطرق في المدينة كثيرة. إلا أن ملامة رفضت ذلك قائلة إن ذلك صحيح، وإن تقاطعات الطرق في المدينة كثيرة، لكنها لا تعتقد أن أحدها على الأقل تملكه مجموعة من المتسولات الحاسدات. ثم وضحت لهن بأنها كانت في هذا المكان حتى قبل أن يفكرن بامتهان التسول، ولأجل هذا لن تغادره أبداً.

حينئذ، ازداد غيظ المتسولات والتمع الشر في أعينهن، وصارت ملامة لا تشك في أنهن سيكدن لها في القريب العاجل. وقد تحقق ذلك بعد فترة قصيرة عندما وشت مجموعة المتسولات بملامة إلى أحد رجال الميليشيات الدينية المسلحة في المدينة. ولم يمضِ الكثير من الوقت حتى شرع بعض المسلحين الموشحين بالسواد بمراقبتها. وما هي إلا أيام حتى اختفت المرأة ولم يعد يراها أحد. افتقدها سوّاق الشاحنات وجنود الدوريات البريطانية. في حين لم تهتم الشرطة بقضيتها وأُعلن عن أنها مفقودة. وكادت أن تُنسى أخيراً قبل أن يعثر عليها أحد عمال البلدية. وكما هي عادة القتلة في هذه المدينة، كانت جثتها ملقاة على مقربة من مكب للنفايات أمام دائرة الطب العدلي.

وجدوها هناك بين الأزبال، نصف عارية، وكان صدرها مشوهاً.

الأحرى لم يكن هناك ثديان، إنما آثار عملية جراحية على ما يبدو. وكانت تقبض في يدها على ورقة الكرتون نفسها، مكتوب فيها بلغة إنكليزية ركيكة:

«ساعدوني لطفاً.. أنا مصابة بسرطان الثدي!»

رأيته من قبل

الديجافو..

ظاهرة السؤال اللغز وتعدد الإجابات

حنان فايز

رأيته من قبل، يشبه شخصاً ما، وكأني مررت من هذا المكان، هل التقينا مسبقاً؟ كل هذه التساؤلات تدور في فلك واحد، وهو شعورنا بأن ما يحدث حولنا قد مررنا به من قبل ولربما حلمنا به؛ هكذا يهيأ لنا، وفي أحيان كثيرة نوقن أنها حقيقة عندما نستقرئ ما سيحدث خلال الموقف ويحدث فعلاً. تلفنا الحيرة ويصيبنا الذهول ونبحث في الغموض والتلغيز عن حلول تسعف القلق أو الاضطراب اللذين تخلقهما حيرتنا مما نرى ونتخيل أو نتوهم أننا رأينا مثل هذا من قبل، نسرح مندهشين، ونمضي.

فنتساءل مراراً وتكراراً: ما الذي يحدث؟ ونبحث عن تفسير بين المنطق وما عداه لهذه الظاهرة، وهل هو أمر يحدث مع البعض ويتخطى الآخر أم للجميع نصيبهم منها؟

«الديجافو» هذا هو الاسم الذي يفتح كل بوابات البحث للحاق بالمعلومة والاستئثار بالإجابة. فالديجافو ظاهرة عقلية بحسب ما أسماها مكتشفها «إميل بويرك» وعرفت أيضاً على أنها الشعور بالألفة مع شيء ما يفترض أنه ليس كذلك، كأن نجلس في أحد المطاعم مع أصدقائنا ونتحدث إلى أن يجهز طعامنا وبشكل مفاجئ ودون سابق إنذار ينتابنا شعور بأننا مررنا بهذه اللحظة بكل ما فيها من قبل؛ المكان، الحديث، الأشخاص، الحدث، الحركة. ويتخطى الأمر ذلك في بعض الأحيان إلى توقع ما سيحدث خلال الثواني التي تلي بريق هذا الخاطر في أذهاننا، وعليه فإن الدهشة تعقد لنا كل قول، ونحاول جاهدين أن نستذكر الموقف الذي نمر به اللحظة وأين يمكن أن يكون قد حدث وإلحاق التفاصيل التي تنشأ من التباس الأمر علينا بمجمل الأسئلة التي تتوالد عنه.

والديجافو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: هو الذي يشعر فيه الشخص أن هذا الموقف مر عليه ولكنه مجرد شعور، أي يرى الشخص نفسه أن ما مر لا يعدو عن كونه شعوراً لا يود الخوض حتى في مصدره ربما.

أما النوع الثاني: وهذا النوع يكون فيه الشخص متأكداً أن هذا الموقف حدث من قبل، ويقسم على هذا، ويظل باحثاً حائراً، ويبحث عمن يفك له عقدة حيرته ويشاركه محاولته الاستذكار أو حتى بمواساته عن أمر نجم عنه موقف لا يحسد صاحبه عليه.

والنوع الثالث من الديجافو: هو الذي يشعر الشخص فيه مع دخوله لمكان جديد عليه الدخول إليه أنه دخل إلى هذا المكان

من قبل، ويعتبر هذا هو أغرب الأنواع؛ لأنه دائماً يحدث عند الدخول إلى مكان لم يكن الشخص المعني قد ذهب إليه من قبل أبداً.

ومع تعدد أنواع هذه الظاهرة وانتشارها لنسبة تصل بين 30%-100% وتساؤل الكثير عن ماهيتها ولماذا الشباب هم أكثر من يمرون في هذه التجربة؟

يحاول البعض جاهداً إيجاد تفسير لهذه الظاهرة، ومنهم العلماء، ولكن الصعوبة في التحقق علمياً من أصل الظاهرة وتبعاتها وأسبابها وكيفية حدوثها هو عدم التمكن من نقل إنسان إلى المختبر ومتابعة ما يحدث له، وعليه فإنه لا يوجد أي تفسير آخر سوى أن الدماغ هو الذي يعطي الأمر بكل شيء. على سبيل المثال: إذا قمت بتحريك يدك فهذا يعني أن إيعازاً صادراً من الدماغ هو الذي استجابت له اليد بالحركة، وهنا ابتدأت العمليات بالاستجابة، والتي تصدر كلها عن الدماغ؛ لأن هذا هو عمل الدماغ، فهو الذي أعطى الأمر إلى اليد بالحركة، وأيضاً هذا الأمر يتعلق بالبصر حيث إن الدماغ يحتوي على مراكز متخصصة للسمع والبصر، وهنا المحتمل الأكبر أن يكون الدماغ تأخر في إدراك هذا الشيء لبضعة ثوانٍ وذلك بالطبع يعطي الشعور بأن هذا الأمر له ذكرى.

وفي تفسير علمي آخر لهذه الظاهرة قالوا: إنه حدوث عدم مطابقة في المخ يجعله يخلط بين الإحساس بالماضي والإحساس بالحاضر، إذن كل التفسيرات تثبت شيئاً واحداً فقط أن هذا الأمر مجرد وهم خدعك به عقلك ليس إلا.

أما علماء الباراسيكولوجي كان لهم تفسيراً آخر لظاهرة الديجافو على أنها جزء من الحاسة السادسة بحيث استطاع وعي الإنسان وعقله أن يصل إلى الحدث ومفرداته ووقائعه قبل حدوثه بلحظات قليلة جداً، وعندما مر الحدث بدا وكأن الإنسان قد مر به من قبل. فاللاشعور أو العقل الباطن هنا يكون قد سجل معلومات في فترة قريبة مع العقل الواعي، لذا يتوهم الشخص أنه مر بالتجربة.

وفسر من هو مهتم بعالم الأحلام وكيفية حدوثها بأن ما نمر به من أحداث نشعر وكأنها مكررة أو صورة أخرى من موقف مضى ما هو إلا نسخة لحلم قد حلمناه مسبقاً ولكننا نسيناه ولم نتذكره، وحين يحدث نفس الموقف في حياتنا العملية نتذكر أننا قد مررنا بنفس هذا الموقف أو المشهد من قبل. فنحن يومياً مهما كان نحلم بكل ما يدور في اليوم الآخر لكن بطبع الإنسان ينسى كل ما يحدث فنتذكر ما يمكن تذكره، كما يؤكد بعض العلماء أنه يحدث أحياناً أثناء النوم أن يمر الإنسان بمراحل شفافة للوعي وللروح ولاستقبال الرسائل الكونية أي إنه يحلم أو يرى أجزاء من حياته أو مستقبله كما يحدث في الرؤية الصادقة. فالنوم هو مفارقة النفس للجسد مفارقة جزئيه، وعندها تفارق النفس الجسد وتسبح في الفضاء، وأيضاً فهي تلتقي مع نفوس أخرى ربما يكون أصحابها على قيد الحياة وربما يكون مضى وقت طويل على وفاتهم، ومن هنا يأتي تفسير منطقي للاتصال بين أناس على قيد الحياة وآخرين مضى على وفاتهم وقت طويل، ومن خلال ذلك يأتي تفسير منطقي آخر لظاهرة استحضار الماضي واستقراء المستقبل. وتلتقي تلك النفوس مع بعضها في ما يسمى بالبرزخ، وهناك يحدث بين الأرواح ما لا ندركه بعقولنا الظاهرة، ولا نستطيع تذكر شيء منه في حال يقظتنا. ولكن ربما يحدث بالصدفة أن نسمع قولاً أو نشاهد مشهداً يخيل إلينا أننا رأيناه من قبل وتتفق الرؤى نفسها لدى أكثر من واحد من المشتركين في نفس المشهد أو الموقف. ويوجد العديد من المواقف التي من ضمنها رؤية إنسان في المنام لشخص يجلس معه ويخاطبه في حين أنه ميت من عشرين عاماً وقدم إليه في المنام ليحذره من أمر هام أو يوصيه وصية، أو يطلب منه تكفير خطيئة أو ذنب... وهذه حدثت كثيراً. وهو يؤكد مبدأ الاتصال بين العوالم؛ فالنفس تنفصل عن الجسد في حالة النوم وتسبح في محيطها الخارج بعيداً عن إدراكنا الحسي وعن عالم الذر، أو عالم الأرواح، وفي هذا العالم جرت له العديد من الأحداث والوقائع المشابهة والمطابقة لما يحدث له على الأرض، حتى تكون الأحداث متماثلة إلى درجة التطابق.

> الصعوبة في إيجاد تفسير لهذه الظاهرة تكمن في صعوبة وضع الإنسان تحت تجربة المختبر

ويرى البعض ممن يؤمن بفكرة تناسخ الأرواح والعودة إلى الحياة مرة أخرى أن الحياة الدنيا ما هي إلا نسخة لتلك الحياة وهي (كرة) أو محاولة ثانية أعطيت للإنسان ليمارس فيها مفهوم التقرب إلى الله والعبادة مرة أخرى. لذلك فعندما نمر بحدث أو واقعة ما ونشعر بأننا قد مررنا بها قبل ذلك فهذا عملية تذكر للحياة التي عشناها في عالم الذر أو عالم الأرواح.

ويرى البعض أن الإنسان تعرض عليه مسيرة حياته قبل أن يخلق في الحياة عند الله ثم تنفخ فيه الروح في بطن أمه، ثم قد يتكرر مشهد (ديجافو) من العقل الباطن أو من الذاكرة القديمة الأولى.

ورغم كل هذه التفسيرات والفرضيات مازالت الديجافو تحير العلماء ومازال غموض أسبابها وحدوثها يكتنف هذه الظاهرة.

التداوي بالنباتات والأعشاب الطبية

إعداد: أحمد نور

من سابغات النعم أن خلقنا الله تعالى وخلق معنا كل ما يكمل دورات حياتنا ومفارقاتها وحلول ما قد يعترضنا فيها وإنه لمن أعظم نعمه علينا أن مكننا من الطبيعة وسخرها لخدمتنا وابتكار سبل حياتنا والتعايش مع الموجودات من حولنا تعاملاً يخلق مرونة حياتنا ويمهد سبلها وهنا نتناول تحديداً ما للطبيعة من فيض مستثمر وغير مستثمر.

فالطبيعة تزهو بألوان شتى من النباتات والزروع، ففيها الجمال والفائدة، كما أراد لها الخالق في بديع خلقه، وقد ورد ذكر ذلك في كتاب الله عز وجل في أكثر من موضع، ومنذ القدم عرف الإنسان العلاج بالنباتات والأعشاب الطبية حيث تعتبر الأساس لعلم العقاقير المعروف اليوم، وظل الإنسان قديماً وحديثاً يداوم على استعمالها لما لها من خصائص علاجية عظيمة، وقصة استخدام الأعشاب قديمة ولها في العصور الأولى حضور سجله الفراعنة في برديا تهم عن بعض الأعشاب واستخداماتها في معالجة الأمراض مثل نبات الكتان وفقوس الحمار والصفصاف لعلاج الآلام والأورام، وكذلك عرفوا عدداً من النباتات مثل الحناء والصبار لأمراض الجلد والتحنيط، وكذلك اكتشفوا نباتات أخرى لعوارض مرضية أخرى، منها لمعالجة نوع آخر من الأمراض الجلدية كسقوط الشعر وأنواع الحساسية ومظاهر الأمراض الشتى كما توصلوا إلى أن

الترمس يفيد كعلاج للمعدة.

ويحسب للعرب والمسلمين الباع الطويل في المعالجة بالنباتات والأعشاب باعتمادهم على التجارب والملاحظات والبحوث، وظل البحث قائماً لسبر علم النباتات والأعشاب الطبية، ومن هؤلاء العلماء الرازي حيث وضع كتاباً في الأعشاب أسماه «الأبنية» مستعرضاً فيه حقائق الأدوية واصفاً ما يقارب (500) نبات طبي، هذا وقد حذا حذوه علماء كُثر ممن يزينون بأسمائهم صفحات الكتب الباحثة في الشأن العلمي العربي والطب العربي والإسلامي، ولكننا سنفرد لهم قسماً خاصاً يجمع أغلب العلماء والأطباء وكل من كان له دور في العلوم الطبية الإنسانية.

اعتقد الكثيرون أن الأدوية المصنعة سوف تحل محلَّ النباتات الطبية المستعملة في الطبّ، والطب الشعبي، وكان من المتوقع أن يتراجع المرض أمام هذه الثورة في عالم العقاقير، ولكن الذي حدث هو العكس تماماً، فقد عرف الإنسان الحديث أمراضاً لم تكن معروفة أو منتشرة من قبل، بل دخل عصر الأمراض المزمنة، ويرجع ذلك إلى التقدم الرهيب في عالم الكيمياء العضوية التي أدخلت مواد كيميائية في جميع مناحي الحياة.

كذلك فإن الأدوية المصنعة ما زال الكثير منها يفتقر إلى معلومات أدنى، وما زال البحث العلمي يحمل لنا الكثير من الآثار الجانبية الضارة لبعض الأدوية المصنعة.

فوائد بعض الأعشاب الطبيعية:

نمر هنا على بعض الأعشاب الطبية وكيفية توظيفها للعلاج بحسب ما توصلوا إليه محددين فوائدها الصحية والاستطباب بها مع ذكر الآثار الجانبية المحتملة:

إكليل الجبل

عشبة إكليل الجبل تعتبر مَصدراً غنيّاً بمضادات الأكسدة والمركّبات المُضادّة للالتهابات، التي تعزز عمل الجهاز المناعي، وتحسن الدورة الدموية، كما تستعمل عشبة إكليل الجبل لعلاج عسر الهضم على الرّغم من عدم وجود أدلّة علميّة مؤكّدة تدعم هذه الخاصية. قد تُزيد عشبة إكليل الجبل من القُدرة على التذكّر والتركيز؛ حيث إنّ المركبات التي يحويها زيت عشبة إكليل الجبل ترتبط بعد تحلّلها في الدم مع تعزيز وتَحسّن الأداء المعرفي، كما تحمي إكليل الجبل خلايا الدماغ بسبب احتوائها على حمض الكارنوسيك القادر على مُحاربة الجذور الحرّة في منطقة الدماغ، كما أن لإكليل الجبل القدرة أيضاً على منع شيخوخة الدماغ، وذلك حسب ما قاله باحثون في جامعة كيوت في اليابان. حيث أثبتَت دراسة نشرت في (Oncolocy Reports) أنّ لمستخلص الإيثانول المُستخرج من عشبة إكليل الجبل قدرته على منع تكاثر خلايا سرطان الدم وسرطان الثدي، كما أثبتت دراسات أخرى قدرة إكليل الجبل على مكافحة الأورام، وتعزيز صحة العين، وحسب علماء الغذاء، فإنّ لإكليل الجبل إمكانيّة تنظيم مستوى السكري في الدم بسبب احتوائها على مركّبات تعمل بطريقةٍ مُماثلة لعمل بعض أدوية السكري.

> الرازي وضع كتاباً في الأعشاب أسماه الأبنية مستعرضاً فيه حقائق الأدوية واصفاً ما يقارب 500 نبات طبي

> عشبة إكليل الجبل تعتبر مَصدراً غنيّاً بمضادات الأكسدة والمركّبات المُضادّة للالتهابات، مما يحمي يعزز عمل الجهاز المناعي

كما يُعدّ استهلاك عشبة إكليل الجبل آمناً عندما تُؤخذ بجرعات منخفضة، إلا أنّ الجرعات العالية منها قد تؤدّي إلى بعض الآثار الجانبية كالقيء، والغيبوبة، والتشنجات، والإجهاض في حالة الحمل.

زعتر الأوريجانو

يَحتوي زَعتر الأوريجانو على مُضادّات أكسدة قوية، وخَصائص مضادّة للبكتيريا، ممّا يُساعد على حماية خلايا الجسم، ومُكافحة الجذور الحرّة والعدوى؛ حيث أثبتت دراسة أجراها باحثون بلغاريون أنّ زيوت الأوريجانوم فولغاري الأساسية والمَوجودة في زعتر الأوريجانو لها فاعلية مُضادّة لـ41 سلالة من الممرضات الغذائية الليستيريا مونوسيتوجينس2 بسبب محتواها من المركب الأساسي كارفاكول المضاد للميكروبات. يمكن أن يفيد زعتر الأوريجانو في تنظيم وإدارة مرض السكري بسبب قدرته على العمل بطريقة مماثلة لعمل أدوية السكري في الجسم، ويُستخدم الأوريجانو أيضاً لعلاج اضطرابات الجهاز الهضمي والجهاز التنفسي، وتشنّجات الحيض، واضطرابات المَسالك البولية، كما أنّ تَطبيقه موضعيّاً يُساعد على علاج العديد من المشاكل الجلديّة مثل القشرة، وحب الشباب. لِزعتر الأوريجانو قدرةٌ على تعزيز صحّة العظام وإنتاج بروتينات تختر الدم بسبب محتواه من فيتامين ك، كما أنّ لزعتر الأوريجانو دور في مُكافحة السرطان والخلايا السرطانية، وذلك حسب ما ذكره علماء الأحياء في جامعة الإمارات العربية المتحدة ونشر في مجلة بلوس ون.

قد يسبب زعتر الأوريجانو اضطرابات في المعدة عند بعض الناس، كما قد يؤدي إلى التحسس خاصة من قبل الأشخاص الذين يتحسسون من الريحان، والنعناع، والخزامى، لذا يجب توخي الحذر.

الريحان

يحتوي الريحان على مجموعة كبيرة من الزيوت العطريّة الغنية بالمركّبات الفينولية مثل: الفلافونودات، والأنثوسيانين. قد يُفيد الريحان في علاج التهابات المفاصل والتهاب الأمعاء، وذلك حسب بحوث أجريت في المعهد الاتحادي السويسري للتكنولوجيا، كما أنّه يَحتوي على خصائص مكافحة للشيخوخة، وذلك وِفقاً للبحوث التي قدّمت في المؤتمر الصيدلاني البريطاني في مانشيستر، وللريحان خصائص مضادة للأكسدة ومثبطة لعمل الجذور الحرّة في الكبد، والقلب، والدماغ، كما له خصائص مضادة للبكتيريا.

قد يُسبّب تناول الريحان الحساسيّة لدى بعض الأشخاص، لذا يجب توخّي الحذر عند استهلاكه.

الزعتر

للزعتر خصائص مضادّة للبكتيريا، ويُمكن أن يتمّ اعتماده مُستقبَلاً كمادة لعلاج حب الشباب، حيث تمّ إجراء اختبار من قبل مجموعة من الباحثين في بريطانيا لبيان تأثير نقع الزعتر في الكحول لعدّة أيام أو أسابيع وتحوّله إلى صبغة مُعيّنة على حب الشباب، وأظهرت دراسة أجريت على صبغة الزعتر قدرتها العالية على مُحاربة البثور مُقارنةً مع المنتجات المضادة للبثور والتي شملت البنزويل بيروكساید لمُستخلص الزعتر أيضاً قدرةٌ كبيرةٌ على خفض مُعدّل ضربات القلب، وارتفاع الكولسترول عند مرضى ارتفاع ضغط الدم، وذلك حسب دراسة دَرست تأثيرَ الزّعتر على الفئران. للزعتر أيضاً قُدرة على وقف السعال وعلاج التهاب الحلق، وتعزيز مناعة الجسم بسبب مُحتواه الجيّد من فيتامين أ وفيتامين ج، كما يُستَخدم مركب الثيمول المُستخرج من الزعتر في العديد من المُبيدات المُكافحة للبكتيريا، والفيروسات، والفئران، والحشرات، والحيوانات الأخرى، ولزيت الزعتر قدرةٌ على تَعديل المزاج عن طريق استخدامه في الأغراض العلاجيّة والعطرية، وذلك بسبب مُحتواه من مركب الكارفاكلور، وذلك حسب دراسة أجريت في 2013 بيّنت أنّ مُركّب الكارفاكلور يؤثّر على نشاط الخلايا العصبيّة بطريقة إيجابية، مما يؤثر بالإيجاب على المشاعر والمزاج.

> يحتوي الريحان على مجموعةٍ كبيرة من الزيوت العطريّة الغنية بالمركّبات الفينولية

> للزعتر خصائص مضادّة للبكتيريا، ويُمكن أن يتمّ اعتماده مُستقبَلاً كمادة لعلاج حب الشباب

الرواية الشاطئ الآمن للقراءة

محمد المرزوقي
كاتب إماراتي

لماذا تشكل الرواية الجزء الأكبر من اهتمامات القرّاء؟ ولماذا تخصص كافة المكتبات أجزاء كبيرة من رفوفها لهذا النوع من الأدب دون غيره؟ ولماذا يجد الراوي نفسه سريعاً في عالم الشهرة مقارنة بزملائه الكتاب في المجالات الأدبية الأخرى؟ وهل الرواية وحدها كافية لتشكيل حصيلة ثقافية كافية لدى القارئ؟ وهل يمكنك أن تحصر قراءاتك في مجال الرواية وأن تطلق على نفسك لقب مثقف بعد ذلك؟

الرواية واحدة من أقدم اهتمامات الإنسان وحاول أن يوثقها في رسوماته القديمة على جدران الكهوف، فلوحة الرجل الصياد الذي يطارد مجموعة من الثيران البرية التي عثر عليها في أحد الكهوف قد صنفت كأقدم رسمة في تاريخ البشرية، وهي لم تكن إلا محاولة لكتابة رواية قصيرة عن حياة البشرية في أيامها الأولى للأجيال اللاحقة.

ولهذا السبب فإن شهرة الروائيين تفوق بمراحل عدة شهرة أي كاتب في المجالات الثقافية الأخرى لأن الروائي يدغدغ المشاعر المدفونة في النفس البشرية حتى عند الأطفال المحبة للقصة والإثارة المصاحبة لها حتى ولو كان الخيال هو مصدر هذه القصص، بينما باقي أنواع الكتابة تحتاج إلى مجهود أكبر من القارئ لكي يفهمها ويستفيد من طرح الكاتب ولهذا فإن عدد القراء في هذه المجالات يقل كثيراً عن عدد قراء فن الرواية.

ولكن مشكلة فن الرواية هي أنها تحصر القارئ في زاوية صغيرة من عالم القراءة متوقعاً بأن هذه هي حدود عالم القراءة، ولو امتلك المحب للقراءة بعض الشجاعة وحمل مشعل فضوله بعيداً عن فن الرواية لاكتشف أن عالم القراءة لا متناه وأن فن الرواية هو العتبة الأولى فيه، وسيكتشف أنه كان يلهو مع أمواج الشاطئ متناسياً المُحيط الضخم للقراءة أمامه ومتجاهلاً أنه يستخف بالمتعة التي سيقضيها في رحلته لو امتلك الشجاعة للإبحار بعيداً عن الشاطئ الذي ألزم نفسه فيه. وللأمانة فإن بعض كتاب الروايات قد استشعروا هذا الخطر ولهذا تراهم يحاولون أن يشجعوا فضول القارئ على البحث عن مصادر أخرى للثقافة وقدموا في رواياتهم شرح بعض علوم الثقافة الأخرى كالتاريخ والدين والسياسة ولكن بشكل مبسط جداً، مثل الطفل الرضيع الذي تقدم له والدته الطعام المهروس ليسهل عليه تناوله وبلعه ولكي يتعود على مذاق الطعام وهذا ما يطلبه منك الروائي نفسه وهو يقدم لك روايته، فهو يحاول استثارة فضولك لتقرأ في باقي العلوم التى قدمها لك مخففة في أعماله. فمثلا في رواية «عالم صوفي» تلخيص أجزاء مهمة من تاريخ الفلسفة وفي رواية «25 ساعة» مادة تاريخية مهمة عن فظائع الحروب وفي رواية «مزرعة الحيوان» شرح مبادئ السياسة وفي رواية «دافنشي كود» شرح مبسط في العلوم وفي رواية «حلم القصور الحمراء» شرح لكيفية الحياة في الصين قديماً، كلها والكثير غيرها كتابات أدبية جادة يحاول الكاتب من خلالها أن يستغل حب الإنسان القديم للرواية لدفعه لاكتشاف وقراءة العلوم الأخرى المهمة لحياة الإنسان.

مقابل كل خمس روايات تقرأها حاول أن تقرأ كتاباً متخصصاً في العلوم أو التاريخ أو الفلسفة أو الصناعة وغيرها الكثير من العلوم، فَلَو اعتمدت البشرية على قراءة الرواية فقط لما استطاعت التطور، ولما استطاعت التكيف مع التغيرات، الرواية هي الشاطئ الآمن الذي يلوذ به أغلب القرّاء الذين يخافون الغوص عميقا في بحر القراءة، لأن باقي المجالات ستستفز عقولهم وستقدم لهم المعلومة بطريقة صعبة وستطلب منهم أن يمضغوها مستخدمين طاقات عقولهم. لن يفلح الجميع في فهم كل ما سيقرأونه لأن عقولهم خلقت غير متساوية ولهذا يخشى البعض السباحة بعيداً مخافة الغرق! ولكن أين المشكلة في ذلك! فأن تغرق في بحر العلم خير من أن تعيش على شاطئ الرواية وأنت تحاول إقناع نفسك بأن هذه هي حدود المعرفة البشرية.

إعلام المستقبل ومستقبل الإعلام

حمدان كرم الكعبي

بعد أن آل الإعلام إلى ما لم يتوقعه متوقع بكل فروض الحصافة والتنبؤ وتطور عمل سادسة الحواس خرج مارد الحدس من قمقم الغفلة ليرسم لنا آفاق العمل الإعلامي في لاحق لا يلحق بتخمينه إلا جهابذة الاستثمار في ظروف مماثلة فصرنا نقرأ عناوين ما كنا لنقرأها لولا انكفاء المعيار لصالح العشوائية؛ فيا ترى هل سيسود اعتباط الاجتهادات على علمية المعيار؟ وهل سيتخلى الإعلام عن بنيانه العلمي مقابل أن يظل مراوحاً في مكانه حافظاً لأنفاس ديمومته بين مديات الشهيق والزفير بينما رايات التشفي له تلوح عن بعد وكأنها قدر محتوم، ما سر تراجع الإعلام؟ هل هو أرذل العمر؟ أم إن الإعلام الجديد استعان بتقنية لا يقف بوجهها قلم ولا تحتفي بالورق الذي عرفته الخليقة في مستهل بداياتها وظل واسطة التدوين الأهم؟ فصرنا نطالع العناوين الطالعة من خاصرة الشيطان تدس سمومها في صحون الإعلام التقليدي ملمحة للخطر القادم وتسمع في كل حرف من مفرداتها صدى طبول الحرب التي تتوزع كفتيها الحداثة من جهة، المعتمدة على تقنيات العصر بصفتها نتاجه الطبيعي والخبرة بكل ثقلها التاريخي لإعلام طالما شكل مادة أخبارية وثقافية على حدها تكسرت كل أسلحة الأمية الطامحة لتفتيت البنى الاجتماعية والاقتصادية والأمنية حتى، والسؤال الآن لمن الغلبة في النهاية ؟ لإعلام ظهر ليبسط جناحيه مستحوذاً على سوق الأخبار العاجلة التي يكفل لها الانتشار الأسرع والتسويق الأجدى والأضمن والأقل كلفة، أم لإعلام أكاديمي علمي تراكمت بحثاً فيه الدراسات والبحوث التي كفلت علميته وسارت وفق مسارات محدداته ؟ أم إننا قاب قوسين أو أدنى من أن نكون شهوداً على سقوط سلالة وصعود نشء؟ والمتابع لكلا الكتلتين سيجد أنهما متصالحتان في الندية ومتوافقتان في الاختلاف وأن كليهما متفق على قوانين اللعب الهادئ هذا؛ فالحتمية التي قررت نشوء منصات التواصل كابن شرعي لعصر تقنية المعلومات هي ذاتها التي نصبت فخ الانكفاء واقترحت مشروع عزلة الموثوق الذي ظل للناس رمزاً لمصداقية يبحثون وبرغم هذا التشخيص الذي يكفل إزالة اللبس إلا أن المشهد يشير في بعضه إلى مكابرة ينطوي عليها موقف الأب الشرعي للإعلام الذي يبدو وكأنه يقر بصراع مسكوت عنه من أجل البقاء والرهان على المهنية في رجحان الكفة أمام إعلام مفتوح لا معيار للداخل إلى عوالمه ولا إجراء يوقف زحف الخطأ فيه، صراع تكتب بيانه في الفضائل المحصية لكل طرف على حدة وفي السلب الظاهر لكل منهما على حدة ليكون الحكم بالتالي لجمهور واسع دون استبيان يفك شفرات الصراع ويكفي للخروج بمحصلة التوقع أن نحصي الإقبال الأكبر على أحدهما بينما تتناقص مناسيب الإقبال على الآخر وأرى أنه ليس من الإنصاف إطلاق الحكم لصالح أي من الكتلتين والسبب أن الناس في كل المعمورة إذا ما التبست عليها المصداقية والموضوعية وبحثوا عن الحياد فإنهم قطعاً يتجهون صوب وسائل الإعلام التقليدي بالسمعي منه والتدويني والبصري وهنا نقطة تعد الأهم في سر أن يحيا الإعلام التقليدي رافلاً بثياب عزه تقليداً ومصداقية ليبقي على ما يصله بسر بقائه ولو تشريفاً غير أنه التشريف الأكبر فيما لو قورنت مهنيته بانفتاح الإعلام الجديد على الجميع بلا محددات ولا سلطة معايير.

تصوير: محمد ماهر

صدر حديثاً

كتاب

صاحب السمو الشيخ حمد بن محمد الشرقي

سيرة حاكم